

أنور الجندى

المجتمع الإسلامى المعاصر

فى مواجهة ربح السموم

دار الاعتصام

المجتمع الإسلامي المعاصر

في مواجهة رياح السموم

أنور الجندى

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

المجتمع الاسلامي المعاصر

إن التغريب والغزو الثقافي المتسلط من خلال قوى كبرى هي الاستعمار والصهيونية والماركسية تهدف إلى غرضين كبيرين :

الأول : هزيمة العقل الإسلامي بإذاعة الإلحاد والنعتيل من خلال نظريات هدامة وإيدولوجيات مادية تستهدف إعلاء الفكر البشري والتشكيك في العقائد والأخلاق والقيم التي قدمتها رسالة السماء .

الثاني : تقويض المجتمع بذكر الإباحية والفساد وتدهير الأسرة المسلمة وضربها بإقامة الخصومة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأبناء وبين الشباب وأدوات الترفيه واللهو وخاصة المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون والصحافة .

وقد وفينا الهدف الأول بدراسات واسعة ونحاول في هذا البحث مواجهة هذا الهدف الثاني الخطير ، كاشفين عن تلك التحديات الخطيرة والأعاصير التي تحمل رياح السموم .

هذه التحديات المنطلقة من معسكر الاستعمار على نحو من الانحاء والمنطلقة من معسكر الماركسية على نحو آخر والمنطلقة من معسكر الصهيونية ثلاث تحديات خطيرة تنفق في الهدف والغاية وتختف في الأسلوب والطريقة

وهي في مجموعها تستهدف إخراج المجتمع للمسلم من طبيعته وقيمه وأسلوب حياته الذي بناه الإسلام وكبريته رسالة السبيل إلى منهج بشري مضطرب شديد الإضطراب ، وكان أشد ما فرض عليه أسلوب البيت الغربي ، وهو ما أطلق عليه اسم « التفرنج » ، خروجاً عن تقاليد المسلمين وأسايلهم في الطعام والشراب والزواج والتعامل ومواجهة الحياة وهي في مجموعها أساليب تقوم على الرحمة والحب وتتبع من الفطرة ثم جاءت المدرسة الاجتماعية لتقول أن الزواج ليس من الفطرة وأن الدين والخلق ليس من الفطرة ! وكما افترضت أن الأخلاق الناجمة التي هي من صميم الدين ، عادات وتقاليد تخضع للتعبير مع أهواء المجتمعات واختلاف العادات والأزمنة .

ثم جاءت الماركسية لتجارب الأسرة حرباً عواناً ولتخطيها وتعمل على تدميرها ، وتنشئ مفهوماً اجتماعياً تستبدل به وجودها ، وجاءت فردية تنفسي مفهوم المجلس ويجعله مصدراً للعلاقات ثم جاء ماركس لينفسي مفهوم المعدة والطعام ويفسر به المجتمعات والحضارات وأخرجت الحضارة المرأة من بيتها ودفعها إلى ميادين العمل نهاراً وإلى المراتص وغلب الليل مساءً أفدمت الأسرة تدميراً وطرحت إلى المجتمع أجيالاً من الشباب الذي فقد الحنان والأومة والذي عاش في أحضان الخادومات والمرضعات حيث غاضت بنابيع الرحمة وحل محلها لون من القسوة والعنف دفعه إلى الرفض والعمل على تدمير المجتمع الذي لم يقدم له ما يتطلع إليه من أشواق وآمال

لقد طرحت الحضارة الغربية سمومها إلى أفق المجتمع الإسلامي ، من خلال ثلاث تيارات عاصفة عنيفة ، عندما سقط المجتمع الإسلامي في براثن النفوذ الأجنبي فعاش أسيراً لنفوذ الحضارة المادية بأساليبها وإيدولوجياتها وقرضه عليه من خلال مناهج التعليم والتربية والثقافة فلسفتهم المادية والإباحية بانطلاقها إلى هدم قيم الدين والأخلاق فأصبحت هذه

الخطوات مبرراً لفساد المجتمعات وانحرافها عن الأسس التي بنيت عليها على أساسها الإسلام .

في سنة الاقتباس بين الأمم أمر طبيعي ولكن الاقتباس الذي فرضته سطوة الاستعمار والنفوذ الأجنبي هو من أخطر ما واجه المجتمعات الإسلامية التي لم تكن تملك إرادتها في الاختيار لما يوافق طبيعتها ورفض ما لا يتفق مع قيمها . ولهذا تشكلت المجتمعات الإسلامية تشكيلاً خاطئاً خلال النفوذ الأجنبي الذي فرض عليها ثمار أخطائه وفساد تجربته وبعد أن انخرم النفوذ الأجنبي ما تزال المجتمعات الإسلامية عاجزة عن التحرر أو استعادة شخصيتها والنسألها .

إن ميزة الإسلام الكبرى أنه بنى المجتمع الإسلامي من نقطة الصفر ، وأنه صنع مجتمعه الخاص منفصلاً عن المجتمع الوثني وانشأه نشأة مستأنفة فقد خلع أبنائه ماضيهم كله وانصروا في مفهوم الإسلام الأصيل وقد حول عقيدتهم وتقاليدهم وقيمهم واخرجهم من الجاهلية بكل مفاهيمها .

ثم كان أبرز ما أعطى الإسلام للبشرية كلها : تحرر الفرد من عبودية المجتمع وعبودية الإنسان وعبودية الوثنية والمادية وما يتصل بهما من جبريات وفيرد وجهه ربانياً لا يستعبد نفسه إلا لربه وحده كما جعل للقيم سلماً ثابتاً لا يتغير ولا يخضع للمواطف والأهواء ولا للبيئات والعصور . ثم كان الإسلام شرعة شرعها الحق تبارك للأنسان ولم يتركه يشترع لنفسه . بينما جاء المجتمع المعاصر في ظل الحضارة الغربية ليستنسخ أهواله ومطامعه في فرض شريعة زائفة .

يقول الفقيه الفرنسي ريجي في مؤلفه السيادة والحرية :

كيف يملك البعض إرادة البعض ويقيد هذه الإرادات ويسو عليهم

ويعرض عليهم القواعد والنصوص ، وكيف يمكن أن يكون من البشر
للشئ من يعطى حق التشريع ، لا بد أن تكون هناك جهة أعلى من البشر
هى التى تمنح البشر قوانينها .

ومن الحق أن يقال أن الإنسان جزء من عصره ولكن دون أن يفصله
ذلك عن أصله الثابت المتمدن مع العقيدة وضوابطها وون أن يقطعه ذلك
عن رسالته وأمانته ومسئوليته أمام بناء الحياة والتقدم ، على أن لا يفضيه
هذا التقدم إلى الانحراف نحو المادة وحدها وأن يجعل كل حضارة ومحصوله
قرب العاملين يبتغى به رضاه ويستهدف به إغاثة المجتمع الربانى والاستعلاء
على الشر والارتقاء إلى مقام الحياة الأخرى :

وهم بهذا الفهم يعارضون النظرية البشورية :

هذه النظرية الباطلة التى دمرت المجتمعات الغربية اليوم وخلقت أزمة
الإنسان الحديث . تلك النظرية المتمثلة فى النفسية الفردية وبيدية والنظرية الجماعية
للدوركايم والنظرية الاقتصادية لماركس ، والنظرية الوجودية لسايرز ،
والنظرية البرجماتية القائمة على المنفعة .

وعلى المسلمين اليوم أن ينظروا إلى تجربته المجتمع الغربى بعين منتوحة
لقد تنقلت البشرية بين نظم عديدة : الفردية والجماعية والأعمالية والماركسية
وجرت المتاع الحسى المنطق بلا غاية أو هدف وجربت الإيمان بكل إله
من صنع الإنسان والإنسان المتأله والإلحاد بكل إله .

وقد عرف العصر الحديث تجاوزات خطيرة : بمفاهيم ترمى إلى عودة
الإنسان إلى الرق ، وإلى الجبر ، وإلى الوثنية ، وإلى حيوانية المجلس
والطعام والانحراف عن الفطرة والطبيعة الإنسانية الأصيلة .

لقد كان هدف الدعوات الهدامة إعادة الإنسان إلى الرق وإعادة الفكر إلى الجبر وإعادة البشرية إلى الوثنية ، ورد الإنسان إلى حيوانية الطعام والجنس والقضاء على الفطرة الطبيعية الأصلية للإنسان بعد أن حرره الإسلام من ذلك كله وفتح له الطريق إلى إنسانيته المندمعة إلى القيم العليا .

واليوم تطرح القوى ذات النفوذ هذه المذاهب الهدامة في أفق المجتمع الإسلامي وتزين آراء فرويد ودارون وهيجل في هدم كل عقيدة دينية وتجميع جماعة الساخطين والحنافس والهيبيز والعبث واللامعقول ، عن طريق ذلك الركام الضخم من الكتب والمسرحيات والقصص والأفلام .

ومن أخطار التحديات التي طرحها الفكر الوافد في أفق المجتمع الإسلامي : تلك الفكرة المسمومة « عبادة الحياة » ودعوة الناس إلى الإنكباب على الدنيا محاولون إشباع نهمتهم منها ولا يفكرون في الآخرة

وكانت محاولات إسقاط الأسرة ، وانقول بأن القيمة للمجتمع من الفسبات الخطيرة التي ترفضها الفطرة ويرفضها العلم .

وهناك شبهة القول بأنه ليس هناك فارق بين الشرق والعرب أو بين الأمم والشعوب ، الذي قد يكون صحيحاً من ناحية التكوين الإنساني العام ، ولكنه يكون فاسداً أشد الفساد من ناحية الثقافات والعقائد ، فقد تكونت لكل أمة خصائص متميزة وإتجاهات مختلفة .

ولقد كان المجتمع الإسلامي بطبيعته قائماً على النظرة الجامعة ، بين العقل والقلب والمادة والروح ، والدنيا والآخرة بينما سيطرت على المجتمع الغربي (إنشطاره) مدمرة تحول بينه وبين التكامل ، وقد دخل المجتمع الغربي مرحلة الأزمة منذ وقت طويل ، بعد أن عجزت الحضارة الغربية

أن تعطى سكينه النفس أو طمانينة الحياة ، بهذا دخل المجتمع الإسلامى فى نهاية عصر التبعية وبدأ عهد الترشيد .

فالمسلمون وإن كانوا قد خضعوا زمامنا فى ظل النفوذ الأجنبى إلى مفاهيم ليست مفاهيمهم ، فإنهم قد تنبهوا اليوم بعد التجربة المريرة فى الخضوع للنظرة الليبرالية أو النظرة الماركسية أن الطريق أمامهم مغلق ، وأنهم قد خسروا أكبر خسارة ، وأنهم وقعوا فى براثن الهزيمة والتسكية والتسكسة سنوات طويلة وأن لا مخرج لهم إلا بالتقاس المنايع والعودة إلى الأصالة وعليهم أن يقدروا أن منهجهم الأصل هو طريقهم الوحيد ، وأن لهم منهاجاً متميزاً فى الاجتماع يقوم على مفهوم أخلاقى .

ويفرق الإسلام بين الأخلاق التى هى جزء من الدين وبين التقاليد التى هى من صناعة المجتمعات ، وتقرر بأن التقاليد العامة لا يجوز أن تنبع من منابع غير إسلامية فالأزياء والزىارات والإختلاط وشئون الأفراح والموت والأمور العامة والأسرة والبيوت وكل ما يتصل بها من شئون يجب أن تستمد مفهومها من الأصالة الإسلامية وأن يرفض المجتمع الإسلامى كل تقاليد مجلوبة ومستوردة ولست تابع من دين آلامه أو تقاليدها الأصلية .

والإسلام مفاهيم أصيلة فى شأن المرأة والأسرة والعادات والملابس ، ويرفض ما نقوله المذاهب الواحدة من أن الجلس عملية بيولوجية لا علاقة لها بالأخلاق ، ويرى أن عفاف المرأة والبكارة أصول أصيلة ، وتقرر أن لا صلة بين المذاهب الاجتماعية والحقائق العلمية فالحقيقة العلمية تثبت فى المعامل أما المذاهب الاجتماعية فهى نظريات وفروض تخطئ وتصيب وتصلح القوم ولا تصلح لآخرين وهى ليست إلا استجابات لتحديات مجتمعات خاصة أو عصور بعينها وأنها لا تصلح لتسكون قرائن عامة صالحة للبشرية .

واقف حاولت القوانين الوافدة التي فرضها النفوذ الأجنبي على المجتمع الإسلامي أن تحمي الربا والزنا وبذلك أفسدت الأجيال وهددت وجود الأسرة وبدأ خطر ذلك كله في الهزائم المتوالية أمام الغزو الأجنبي والرحف الاستعماري والصهيوني والماركسي الذي لا يتوقف وكانت أخطر المحاذير التي تهدد المجتمع الإسلامي اليوم : إنما تأتي عن طريق العجز عن تأمين الحدود والضوابط وما تنطلق منه افلام ومسرحيات الجريمة والجنس وعلينا أن نتساءل ماذا حققت دعوى البرالية والماركسية اللتين فرضتا على المجتمع الإسلامي ثم تبين فشلا ما : هل حقق الماركسيون حرية الطعام وهل حقق البراليون حرية الفكر ، وهل كان على المسلمين أن يختاروا بين الطعام وحرية التفكير ، مع أن الإسلام حقق لهم حرية الطعام وحرية التعبير معا . ذون أن يكلفهم صراع الطبقات أو تدمير الأخلاق .

الباب الأول

رياح السموم التي طرحتها النظريات المادية

- أولاً : أثر الروافد الثلاث : الاستعمار والصهيونية والماركسية .
- ثانياً : هدم الأسرة المسلمة .
- ثالثاً : محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية .
- رابعاً : محاذير تواجه رسالة الامومة .

القضيل الأول

أثر الروافد الثلاث

(الاستعمار والصهيونية والماركسية)

منذ بدأت سيطرة النفوذ الاستعماري الغربي على العالم الإسلامي ، حاول الفكر الغربي (الليبرالي الديمقراطي) السيطرة على المجتمع الإسلامي ، كان هذا الفكر مسيحيا كرسيا ، له جذور يونانية ومفاهيم رومانية تقوم على :

(أولا) الاستعلاء بالجنس واللون وتنظر إلى الشعوب الإسلامية على أنها شعوب ملونة متخلفة .

(ثانيا) السيطرة الاقتصادية التي كانت تدفع النفوذ الغربي إلى سرقة ثروات هذا العالم الإسلامي ومواده الخام عن طريق إعداد حكام وأمرأه ووسطاء يمكنونهم من نهب هذه الثروات .

(ثالثا) العمل على دوام السيطرة الاستعمارية وامتدادها وذلك بتطويع القيادات والأمة للخضوع لأمنلوب العيش الغربي والتبعية للفكر الغربي .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد من إحتواء المجتمع الإسلامي من خلال مفاهيمه الاقتصادية والسياسية والتربوية .

ولذلك فقد طرح النفوذ الاجنبي منذ اللحظة الأولى فكرة فصل الدين عن السياسة وإعلاء شأن العلمانية بمفهوم (اللادينية) التي تقرر إتخاذ

القانون الغربى الوصى نظاما للمجتمع فى مشئون القضاء ونظام الربا فى مجال الاقتصاد والنظام الديمقراطى الغربى فى نظام السياسة والعمل على حجب الشريعة الاسلاميه بكل معطياتها ومن ثم فقد فتح القانون الوصى الباب واسعا أمام رباح السموم التى اجتاحت المجتمع الإسلامى (وفى مقدمتها الحر والربا والزنا) وسرعان ما تحطمت الحضارة التى كان عرفها المجتمع الإسلامى خلال قرون ثلاثة عشرة متصلة منذ بزوغ الإسلام فلأول مرة توقفت الحدود والضوابط والقواعد والنظم الإسلاميه .

وهكذا طرح فى أفق المجتمع الإسلامى (أسلوب العيش الغربى) تحت اسم الحضرة والمدنية والتقدم وارتفعت أقلام وعاء النفوذ الغربى لتدعو المسلمين إلى الأخذ بأسلوب « التفرنج » ، لأنه هو الطريق الوحيد إلى الحصول على الحرية والاستقلال ، وبينما كان المسلمون يدفعون النفوذ الأجنبى والاحتلال العسكرى بكل ما يمكن من وسائل الجهاد ويستشهدون كان زعمائهم يقبلون أساليب الغرب فى السياسة والاقتصاد والتعليم ويمكنون لها فى المجتمع الإسلامى وعاش كرومر فى مصر ربع قرن حتى تمكن من تخريج الطبقة المتفرنجة التى قبلت التعاون مع الاستعمار لتكون البديل لوجود الاستعمار السياسى ولتحمل لواء أهداف « التفرنج » ، كاملة فلما تحقق ذلك انسحب الاستعمار العسكرى مطمئنا إلى أنه أقام من الوطنين من يعمل من أجل تأكيد وجود « المدنية الغربية » ، والحضارة :

لم تكن محاولة طرح أسلوب العيش الغربى فى المجتمع الإسلامى باستعمال الوسائل الحديثة هى المقصود فإن المجتمعات تستطيع أن تعيش من الأساليب المادية ما تراه صالحا لها ، وكان الهدف كان أبعد من ذلك ، كان وضع المجتمع الإسلامى فى حالة التبعية والإحتواء للغرب ، ونقل الجماعة الإسلاميه إلى حالة جديدة من شأنها أن تمزق الأسرة :

١ -- بالسهرات الصاخبة والخمر ويتصل بهما امان اختلاط الرجال والنساء .

٢ -- التخفف من التماسك الخلقي وفتح الباب أمام الرشوة باسم الهدية في مقابل خدمة مقدمة على حساب المجتمع .

٣ -- الولع بالترف ، والزخرف ، والأواني ، والزينة ، والتحف والموسيقى والتخفف من جدييات الحياة وخلق طابع التحلل والرخاوة .

٤ -- خلق بوع من الاعجاب بالغاصب وتقليده والتعلم في مدارسه والإنبعاث لبلاده والاعجاب بأبطاله وكل هذا كان من شأنه أن يحطم في الجماعة روح الخشونة والصلابة والقوة بحيث تصبح عاجزة عن مواجهة النفوذ الأجنبي والغزو الخارجي ومقاومة السيطرة الأجنبية المتغلغلة :

ومن شأن هذا كله أن يجرى تحريفا خطيرا في فهم الاسلام ، فقد استطارت دعوات الاستشراق والتبشير إلى القول بأن الاسلام دين عبادى لاهوتى محض لا علاقة له ، بالنظم الاجتماعية والسياسية وبذا سرى روح مسيحي كنى في محيط الاسلام حتى وجدنا من يقول أن الاسلام بخير ما دامت المساجد مفتوحة والموالد مقامة ، أما التنظيم الاجتماعى الاسلامى فقد حجب حجبا تاما خلف الابدولوجية الغربية الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية

وسيطر التعليم الغربى الذى صاغ أجيالا من المؤمنين بالديمقراطية الغربية نظاما للحكم ، والاقتصاد السياسى الربوى منهاجا للتعامل وعن طريق التعليم انطلقت ايدولوجيات أخرى في مجال الفلسفة الاجتماعية والنفس والأخلاق استمدت مفاهيمها من مدرسة الفلسفة الاجتماعية التى أنشأها (دوركايم) والتي كانت تستهدف سيطرة النظرية المادية والفلسفة الماركسية على الفكر الاسلامى .

فلم يلبس المجتمع الاعلامي ان دخل مرحلة أشد خطراً حين أصبح
الفكر الماركسي هو منهج السياسة والاقتصاد والاجتماع في بعض المجتمعات
الاسلامية بديلاً للنظام الغربي الديمقراطي الرأسمالي ومرة أخرى خضع
التعليم لدراسات الماركسية والنظريه الماديه وأصبح الاقتصاد هو التفسير
الوحيد للمجتمع والحضارة والتاريخ .

وقد أمكن عن طريق التعليم والثقافة والصحافه إحتواء المجتمع الاسلامي
في نظريات غربية وافدة وإبدولوجيات غربية وماركسية أخطرها الماركسية
والفرويدية والوجودية حيث تفسر الماركسية المجتمع تفسيراً إقتصادياً
وحيث تفسر الفرويدية المجتمع تفسيراً جنسياً وحيث تفسر الوجودية المجتمع
تفسيراً فردياً :

ومن خلال ذلك طرحت نظريات خايرة : منها نظرية التطور المطلق
ونظرية نسبية الاخلاق ونظرية لافطرية الاسرة ووجدنا كلا من ماركس
وفرويد يحاول أن يقدم منهجاً اجتماعياً كاملاً من خلال فرعيتهم الاقتصاد
التي هي قطاع من الفكر الانساني لا يستطيع أن يفرد بنفسه بتوجيه
الحياة ولا كذلك فرويد من خلال فرعيتهم النفس .

وكذلك خاضت المناهج والدراسات الغربية من خلال سيطرة المفهوم المتأدى عليها في قضايا لم تستطع أن تقدم فيها الرأي الصحيح ، وكان أبرز هذه القضايا قضية الإنسان نفسه ، وهل هو حيوان يخضع لقوانين الحيوان أو يخضع لتطبيق منهج العلوم التجريبية عليه ومنها قضية الدين ، وهل نزل من السماء أم خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، على النحو الذي طرحه دور كايم وغيره ونقله إلى أفق الفكر الإسلامى طه حسين وغيره .

ولقد كان من وراء تجارة الغرب المصدرة إلى عالم الاسلام يقوم على الربا والمحرمات والخمر والمخدرات والسموم فقد كانت الاخلاق عتقة في سبيل نجاح هذه التجارة فكان لابد من أن يطرح في أفق العالم الاسلامى دعوى حارة إلى هدم الاخلاق وتدمير القيم حتى تزخر علب الليل والكازينوهات وتجارة الجنس والفساد ولا بد من الدعوة إلى الترف والرفاهية والانحلال لامتناع روات الامم الاسلامية عن كل طريق : عن طريق النفوذ وعن طريق الربا وعن طريق الفساد وقام في العلم الاسلامى مجتمع اللهو الذى أعانت على قيامه كل الايدولوجيات الغربية والماركسية واليهودية التلودية وفي سنوات قليلة لم تتجاوز العشرة من وصول ركب الاستعمار أمكن للرايين وتجارة الخمر وتجارة الرقيق الأبيض من الاستعلاء على نصف روات المسلمين .

وكانت أخطر التحديات التى واجهت المجتمع الاسلامى ومؤامرة برتوكولات صهيرن ، التى تخدمها الناس وتحاول تحقيق هدفها عدة مؤسسات منها الماركسية والشيوعية العالمية ومنها مدرسة العلوم الاجتماعية التى تدرس في الجامعات على أنها علوم أساسية .

ذلك أن الأيدولوجية التي تقدمها اليهودية العالمية للسيطرة على العالم كله
تستهدف تدمير القيم الدينية والأخلاقية وإفساد المجتمع بالتملل والإباحية
وهي تطلع مخططاً خطيراً للشباب ، يقول البروتوكول التاسع ، « فاما شباب
الجزع (غير اليهود) فقد فتناهم في عقولهم ودونناهم وسهم وأفسدناهم
بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التي نعلم أنها فاسدة مع أننا نحن الذين
لقنهم ما تربوا عليه ، البروتوكول التاسع ، وهناك إشارات متعددة إلى
تدمير اليهود لانجاح النظريات الدارونية والماركسية والنيشسية .

ولقد وضحت خطة الصهيونية العالمية في تدمير المجتمع مع في ذلك المخطط
الذي جرى تنفيذه مما أطلق عليه إنشاء العادات الجديدة وإيقاد العواطف والاستثارة
والاستفزاز والتبرم من شئون الحياة (وذلك كله حتى يصبح ، من المستحيل
على أى شخص أن يعلم أين هو من هذا المعترك الذي خاض فيه وقد عم
الناس اليأس والبلبله ،

وهكذا نجد أن اليهودية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم والتي
أصبحت قادرة منذ سنوات على اختواء الفكر الغربي والتي تسعى حثيثاً
لإفساد المجتمع الاسلامى . نجد هنا طرح مخططاً غاية الخطورة يبدأ من نقطة
الانهيار التي قام بها النفوذ الاجنبى الامتعارى . ولقد كان لسيطرة اليهودية
العالمية على مجالات الاعلام العالمى والسينما والمسرح وكل ما يطرح في باب
القصص والمسرحيات من مفاهيم مسعومة أبعد الارضى خلقاً أخطر تعديين في
حياة المجتمع الاسلامى الحديث بهما (الجنس والجريمة) .

يقول الدكتور أحمد محمد خليفة (إن هناك ظاهرة حديثة أملت بالمجتمع
تلك هي أن عدداً أكبر من الشباب قد انزلق إلى هوة الجريمة ، وإن الرأى
في تحليل هذه الظاهرة قد تعصب إلى فريق يلقي اللوم على سياسة التوسع

في التعليم حتى كان من نتيجةها أن الطلبة الذين ينتمون إلى أسر رقيقة الحال اندمجوا في أوساط أكثر اقتداراً و ثراء فشعروا بالعجز عن مواجهة الحاجات التي يتطلبها مستواهم الجديد فاندفعوا للحصول على المال ولو من غير الطريق المشروع ، وفريق يرى ظروفًا أخرى اجتماعية و تربوية منها ضغط الإغراء الجنسي ومؤثراته على الشباب في الوقت الحاضر ، ومنها مظاهر التبرج التي جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين والأشرطة السينمائية ولون معين من الصحف والمجلات وخاصة قصص المتعة ودعوة الانطلاق والتحلل والرضا الجسدى ،

« هذه الدوامة الهائلة التي تقدمها الحضارة الحديثة تفقد الشباب توازنه وتبدل تفكيره مما يعجزه عن العمل ويقعده عن الإنتاج ، وفي البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة ، فملك الأماكن مغارس للجرائم لا بد أن نغنى بها وإن ينفعنا سن القوانين والإكثار من الشرطة . وإن العلاج الحقيقي هو إصلاح الأنفس ومواجهة هذه الآراء الدخيلة وتمكين الأخلاق القويمة التي هي عماد كل إصلاح .

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

ذلك لأن مرض الانفس هو المرض الدائم ، هو مرض الوطن ، فإذا عولج سهر الاستعمار لتكوين كيانات النفسى في مجتمعاتنا العصرية على أساس يضمن له استمرار ضعفنا فقد رسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التي اقتصر فيها على التعليم الشكلى دون التوجيه النفسى ، حرص الاستعمار على إيقاظ شهوات الناس وهذه آفة الأندية والحانات ودور المقامرة وأسواق الدعارة .

وقد كانت هذه المرافق كلها بما كان يسمى نظام الحماية الأجنبية أما

الصحافة فقد تطورت إلى صناعة تجارية تدفع الضرائب وتستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم فنشأ مجتمع الملامى والسينما الملاحية وتمجيد لا عيبها ، وقد قلدت السينما الصحافة في استلهاهم أهواء الجماهير وقال إن على البلاد أن تبني كيائها الروحي والفكري والمادى ،

وهكذا نجد أن المجتمع الاسلامى قد وقع تحت سيطرة النفوذ الاجنبى فأنحرف عن طريقه الطبيعى وقد نشأت تلك التحديات الخطيرة في مجال الشباب والمرأة والطفولة والأسرة وكان لهذا أثره الكبير في الاخطار التى هى بمثابة الانحراف عن منهج الاسلام في بناء المجتمع .

الفصل الثاني

هدم الأسرة المسلمة

ركزت الفلسفات المادية ومناهج العلوم الاجتماعية والدعوة الماركسية ومذاهب التحلل والإباحية الغربية المبنية من خلال القصة والمسرحية والرواية السينمائية والتي تستمد مفاهيمها من آراء فرويد وماركس وسارتر وغيره على هدم الأسرة بصفة عامة وحين تطرح هذه المفاهيم في أفق الفكر الاسلامي فإنما تكون بمثابة أخطر التحديات التي تواجه المجتمع الاسلامي .

ومنذ سنوات طويلة نجد محاولة هدم الأسرة الاسلامية عمل ضخم منظم لا يكشف عن هدفه ويتخفى وراء عبارات براقة لامعة كتمجيد المرأة وحرية الجنس وعمل المرأة ، وخلق البدائل المختلفة كصديق الأسرة وسهرات أندية الليل وإيجاد البديل عن الزواج الطبيعي وحبوب منع الحمل وغيرها من وسائل تستهدف ضرب الأسرة في الصميم .

وقد كان لهذه العوامل أثرها في دخول (الأسرة المسلمة به مرحلة حرجية في محاولة لازالة قناعاتها وتعرية وجودها وتصويرها بصورة فردية حتى تستهين قوس الرجال والنساء بها .

والواقع أن الأسرة بوصفها حصن المجتمع كله تتعرض لمخاطر وأخطاء كثيرة من أبرزها محاولة تجاهل الأسرة كأساس للبناء الاجتماعي كله في الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلا بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعراطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها ،

ولا ريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلزل كيان المجتمع كله ويعرضه للزلزل ولا يحصى وجود الجماعة الكبرى .

(ثانيا) خطأ النظرية التي تحاول أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين ، ذلك لأن مهمة الأسرة تسهم في الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشء ورعايته وإيصال القيم والمثل التي تحفظ للمجتمع استمراره وتطوره .

(ثالثا) محاولة جعل استقلال المرأة اقتصاديا من عوامل تعتبر علاقتها بالرجل وبالأهله بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت وتهدمها والافتقار بهم إلى الخدم ودور الحضانه ولا بد أن ذلك ستكون له آثاره العميقة في المعاناة العاطفية لهؤلاء الأبناء نتيجة لنقص الختان العاطفي الذي لا تقدره إلا قلوب الأمهات .

(رابعا) خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين مما يوقع الأبناء في حيرة نفسية تشتت عواطفهم وتبدد أمنهم النفسي الذي يستمدونه من مكانة (الأب) باعتباره المصدر الأساسي للسلطة .

(خامسا) قصور الأسرة الجديدة عن رعاية كبار السن من الأباة والأهل والفقراء والبعداء .

(سادسا) صراع الأجيال داخل الأسرة مما يؤدي إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها في الضبط الاجتماعي وتوجيه الفكر والسلوك مما يعرض الأسرة للتفكك .

هذه المحاذير ترجع إلى تلك المحاولات التي قامت بها مدونة العلوم الاجتماعية والماركسية لمحاولة هدم الأسرة ، بالإضافة إلى الدعوات المثارة إلى

تغير العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة ، وإعلاء شأن الجنس ، والدعوة الصارخة إلى إخراج المرأة من بيتها واستغلالها اقتصادياً مما أدى إلى سقوط الغيرة من أجل الزوجة وسقوط العطف من أجل الآباء والأهل .

ولا ريب أن الدعوة إلى هدم نظام الأسرة هي أخطر التحديات التي واجهت المجتمع الغربي وكانت مصدر أزمة الاجتماعيات القائمة اليوم ، وهي تهدد المجتمع الإسلامي تهديداً شديداً ، مما يتطلب العمل المتصل على حماية الأسرة المسلمة من تلك الأخطار الواقعة ، وذلك بالنظر إلى الركائز الحقيقية الفطرية التي قعدها لها الإسلام بحيث أصبحت الأسرة في المجتمع الإسلامي أكبر من كونها مجرد وسيلة لتحديد النسل وقرينة الآباء وإعدادهم للقيام بدورهم في الحياة الاجتماعية .

فالأسرة - كما يقول الدكتور محمود حسين في كتابه الأسرة ومشكلاتها - كجماعة وظيفية تزود أعضائها بكثير من الاشباع الأساسية من بينها - تحوفر مسالك الحب بين الزوجين وبين الآباء والأبناء وكذلك بين الأطفال أنفسهم .

ولقد كانت الأسرة المسلمة ولا تزال هي البؤرة الوحيدة لتشكيل الحياة العاطفية والجنسية والاجتماعية للمتزوجين ، ولا يأتي الخلل إلا من خرق هذا الجدار ومن نشوء علاقات جنسية خارج الأسرة ، ومن وراءها . ولا ريب أن شيوع ذلك سواء بالنسبة إلى حياة ما قبل الزواج أم بالنسبة إلى فترة الحياة الزوجية هو إضعاف للأسرة وإفساد لتكوينها وخرق لجدرانها .

ويقرر الباحثون أن الأسرة المسلمة تنطلق من نظام فكري كوني يقرره التصور الإسلامي في الخلق (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ويقر به التصور الإسلامي اجتماعياً ونفسياً وعقلياً على حد تعبير الأستاذ

محمد العربي الناصري ومن هنا فإن محاولة فهم نظام الأسرة إنما هي بمثابة معارضة لحقيقة قائمة عميقة الجذور قوية الدعام لا سيال إلى مواجهتها بالحذف والإزالة عن طريق طرح مجموعة من الافتراضات على طريق التعداد لنظرية دارون وماركس . وفرويد . ودوركايم ذلك أن الأسرة تعتبر النظام الانساني الأول في تقدير علماء الاجتماع ومن وظائفها استمرار النوع والمحافظة عليه . وقد صمدت الأسرة في وجه مختلف الأحداث والتحديات يقول الدكتور عثمان خليل عثمان : أن للأسرة نصيب كبير من الفطرة آيته ذلك المزاج الدافع إليها من غرائز الجنس وحب البقاء وعواطف الأمومة والأبوة والنبوة والأخاء والرحم مع ما يفتعل من خلال هذه المشائج المتعددة من مودة وحب ورحمة) وقد صمدت الأسرة الإسلامية في وجه التيارات الغربية الوافدة التي تحاول اعتبار الزواج مجرد رابطة عقدية مدنية كسائر العقود المدنية وتحجزها من السند الديني والعقائدي التي تحميها من عواطف الزمن ومخاطر الانحلال .

ومن أجل هذا كان على المجتمع الإسلامي أن يحمي نظام الأسرة ويوفر لها أسباب الاستقرار ويساعدها على القيام بدورها وأداء وظيفتها

وقد فصل الإسلام أحكاما شاملة للزواج والأمومة تتناول الجانب الشخصي والمالي منذ بدأ الخطبة إلى عقد الزواج إلى واجبات الزوجين والأبناء والأقربين إلى النفقات والطلاق والميراث والوصية وما إلى ذلك وهي أحكام ملزمة ترتبط بالعقيدة وبالحلال والحرام .

ومن هنا يتبين فساد محاولات استقطاب ولاء الفرد للدولة عن طريق إبعاده عن الأسرة ؛ أو وضع الأسرة في مواجهة المجتمع ، وفساد القول بين تعلق الفرد بالأسرة يضعف ولائه للجماعة الكبرى ، وقد سقطت نظرية أفلاطون هذه التي جددتها الماركسية سقوطا شليعا ولم تصدق حين زعم أفلاطون بأنه حتى للأطفال منذ ولادتهم أن ترعاهم الدولة بدلا من الوالدين .

وقد تنبه كثير من الباحثين إلى هذه التحديات المحدقة بالأسرة المسلمة نتيجة لتقليد الغرب ولسريان ذلك الفكر المسموم الذي حملته دعوات المادية والشيوعية وكشفوا عن أهمية الأسرة من حيث أنها الحصن الذي يقوم المجتمع لبنائه ، وأنها هي القادرة على توفير الافراد المسلحين بالمعرفة والعادات وتقاليد المجتمع ووسائل التعامل والتفاعل في حياته بالقدر اللائم لتوافقهم الاجتماعي والنفسى ومن هنا جاء ذلك الرفض الكامل للمفهوم الذى تقدمه النظرية المادية الأسرة ، على النحو الذى عرفته فلسفات المزدكية فى القديم والنازية والشيوعية فى التاريخ الحديث وبالرغم من كل هذه المحاولات فقد بقيت الأسرة وستبقى لأنها صادرة عن الفطرة السكينة فى الطبيعة البشرية ولولا ذلك لاستطاعت المحاولات المتكررة على مر التاريخ من أن يقضى عليها فقد نشأ من النظم السياسية على مر التاريخ ما حاول القضاء عليها وسوف تبقى صورة ما أصاب الأسرة الغربية من تفكك يهدد بالقضاء على المجتمع بأسره ، علامة حذره أمام الأسرة المسلمة فقد جاءت اليوم أبحاث العلماء تنذر بالخطر تقول مجلة تايم (١٩٧٠/١٢/٢٨) .

إن الأسرة الأمريكية غارقة فى شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الأمة الأمريكية بأسرها وإن نحو أربعة آلاف متخصص فى شؤون الأسرة والطفل قد أصدروا توصياتهم بسرعة تلاقى أسباب التدهور الأسرة الأمريكية وأن الأسرة لم يعد لها الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الأساسية فى المجتمع وأن تحلل الأسرة ينتهى إلى تحلل المجتمع بأسره وأن هذا شبيه بما حدث فعلا فى أئينا فى القرن الذى أعقب الحرب اليولونيزيه وفى روما فى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد . ويتساءل علماء الانثولوجيا بناء على الواقع فى المجتمع الغربى هل تبقى الأسرة ، ويحجب ريتشرد فارسون أنه لم يعد للأسرة وظيفة .

هذه الصورة القائمة للأسرة في الغرب من شأنها أن تضع أمام المسلمين علامات التحذير الشديد من الانبعاث ودم السموم التي تقدمها مفاهيم مديسة المفهوم الاجتماعي (هوكايم) أو فرويد أو سولز أو ماركس وكلها ترمي إلى هدم المجتمع عن طريق هدم الأسرة .

إن هدف التغريب والاستعمار والماركسية والصهيونية العالمية هي تعويض المجتمع بتعطيل الأسرة المسلمة ونشر الاباحية ، وأنه يتخذ لذلك عددا من الوسائل منها تعليم المرأة المسيسة في مدارس الإيساليات وفرض الأزياء الغربية وأساليب الزينة ، والدعوة إلى الاختلاط وتقليب تيارات أدب الغدق والمجون وإخراج المرأة من المنزل إلى عمل لا يتفق مع طبيعتها وفطرتها واستغلالها اقتصاديا ونفسيا .

وقد استطاع أن يؤثر في وظائف الأسرة ، فانجاب الأولاد أصبح مهددا بالدعوة إلى تحديد النسل ، والوظيفة الجنسية التي تمنح المرأة علاقة طبيعية مشروعه مهددة بحرية الجنس والوظيفة الأخلاقية في تربية الأبناء القائمة على احترام الكبير وعمل الخير والعطف على الضعيف مهددة بالرفض المطلق وظاهرة التمرد على الوالدين ، وظاهرة الفهم المختلط بمعنى الحرية عند الفاشية ولا ريب أن ظاهرة الحيرة والتمزق التي تواجهها الأسرة المسلمة اليوم إنما هي نتيجة الأخذ بسليات الحضارة المادية ومحاولة تقليد المجتمع الرأسمالي الذي يقوم فيه الزواج بغير عقود وحيث يوجد الرجل الثاني في المخدع وصديق العاملة والإنحراف الجنسي أو تقليد المجتمع الماركسي من حيث إنكار الأخلاق في العلاقة الجنسية أو تقبل فكرة البديل عن الأسرة .

وعلى المسلمين أن يلتزموا منهمجهم الاصيل في الأسرة فقد حرصت الشريعة الإسلامية على نقاء الحياة الزوجية وسلامتها وحث على حق العشرة ودعا إلى الإبقاء على رابطة الأسرة وأجاز الطهر في حالة طهر حتى يتأكد

الإنسان أنه طلق زوجته وهو في حالة لا تمنعه من الاتصال بها وحتى تكون هناك إمكانية رجعة الزوجة في فترة القدرة بدون مهر جديد ولا شهود .

وقد جاء نظام الزواج لاشتراك فردين في حياة واحدة لغاية واحدة دون أن يقضى على فردية الاثنين ولا يطلب صهر أحدهما في الآخر (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالمائلة قائمة أما هذه الدرجة المميزة فليست إلا تلك القوامة (الرجال قوامون على النساء) وليست هذه القوامة سلطة أو سيادة وإنما هي توجيه وقيادة ولم يجعلها الإسلام في جانب الرجل إلا أن الرجل بحكم تكوينه في طبيعته ذو مسؤولية في الحياة الخارجية لا تستطيع المرأة بحكم طبيعتها أن تقوم بها .

الفصل الثالث

محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية

هناك محاولة استهدفت هدم الأسرة وتدمير المجتمع ووضع المرأة في غير موضعها الطبيعي تلك هي القول بالمساواة بين الرجل والمرأة في التركيب الجسمي والبيولوجي الادعاء بأنها يمكن أن تقوم بعمل الرجال وأن تحتل من وظيفتها الأساسية ، هذه المحاولة من بين الخطط التي رسمتها القوى التلمودية الصهيونية لتدمير المجتمع الإنساني وقد كان الإسلام قد كشف منذ أربعة عشر قرنا عن تلك الفوارق في الطبيعة والتركيب بين الرجل والمرأة ، وأبان عن الوظيفة الطبيعية للرجل والمرأة ، وقد تدبى إلى ذلك بعض العلماء المشتغلين بالطب والعلوم البيولوجية أمثال اليكس كاريل الذي أعلن أن الاختلافات بين الرجل والمرأة ليست في الشكل الخاص للأعضاء التناسلية وفي وجود الرحم والحمل ، بل هي ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ، إن الاختلافات بينهما تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة يفرزها المبيض ، وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجلسان تعليما واحدا وأن يمنح سلطات واحدة ومسؤوليات متشابهة . والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل فكل خلية من خلاياها تحمل طابع جنسها والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها ولجهازها العصبي . والنساء وحدهن - من بين الثدييات - هن اللاتي يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين كما أن النساء اللاتي لم يحملن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات فالأمة لازمة لاكتمال نمو المرأة . إن على النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن وأن لا يحاولن تقليد الذكور فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة .

وهكذا كشف الغرب الحقيقة ولكنه عاجز عن الاستجابة لها ، فعلى المجتمع الإسلامى أن يكون قادراً على أن يحتاط دون السقوط فى نفس الهوة الخطيرة . وعليه أن يعرف أن هناك مؤامرة مدبرة حملت المرأة حملاً إلى أوضاعها التى تعيش فيها الآن وكان من ورائها قوى تريد أن تستغلها إقتصادياً واجتماعياً وأنها لم تكن راغبة فى ذلك . وقد ساقَت المرأة سوقاً إلى المصانع والأسواق هذه الحملة تمثل الآن فى تلك الدعوة المسمومة المسعورة التى تحملها الصحف ويحملها عدد من كتاب التغريب تهال لكل عمل يخرج المرأة عن الفطرة أو تؤدى إلى تدمير الأسرة ، تحت ذلك الاسم المثير (تحرير المرأة) .

إن الهدف من وراء هذه الظواهر البراقة هو خلخلة البناء الداخلى للأسرة وتقويض دعائمها ، وإخراج المرأة من رسالتها ومهمتها الطبيعية وإعدادها لمهمة أخرى ذات بريق أخاذ ولكنها لا تحقق إلا تدمير المجتمع .

وقد جرت المحاولة أساساً على تمييز التعليم وخلطه بين الذكور والإناث فلم يَقم تعليم مستقل خاص للمرأة يوجه أساساً لتكوينها كأم وزوجة وصاحبة بيت ومسئولة عن الأسرة وحامية لنظامها فى المجتمع واقتصرت الأنظمة الوافدة على تخريج عدد من حاملى الشهادات . فكانت وجهة المرأة أن تعمل لتكون صاحبة مورد دون أن تبحث ما إذا كان ذلك مطابق لطبيعتها أم مناقضاً لها ولذلك فإن من أكبر المحاذير بقاء التعليم على النحو الذى يجرى به الآن دون تقدير لثروة المرأة وتكوينها وإعدادها لمهمتها ويجب أن توضع الحقائق الخاصة بالفوارق بين الرجل والمرأة ، هذه الحقائق التى أثبتتها الدراسات العلمية والإحصائية والتجارب الاجتماعية أمام المجتمع المسلم ليكون على بينة من أن هناك ثمة فروق واسعة فى استعداد جنسى المرأة والرجل حيال أمور الحياة وشؤونها ، هذه الفوارق التى تكفل تحقيق كل منهما لرسالته . ولقد كشف الإسلام عن هذا المعنى وأقر كل من الرجل

والمرأة لمهمة الطبيعة التي أعد لها فجعل من مهمة الرجل كسب العيش ووسائله في إدارة المصانع والتاجر والمزارع وغيرهما مما ينحو منحاهما وجعل مهمة المرأة إدارة المنزل وتهئية لوازم الأسرة والحمل والوضع والرضاع وتربية الأولاد والحنو عليهم ، الرجل للكسب والسكد وتدير الحياة الخارجية وللرأة المملكة المنزلية وتدير حياة الأسرة وليس في ذلك انتقاض لأحدهما وإنما هي القسمة العادلة بينهما ولهذا خلق الرجل قوى الجسم قوى العضلات قوى الفكر واسع الحيلة وخلق المرأة لينة الجسم لينة الشعور عاطفة كلها .

وإذا كان الإسلام قد انتقص من المرأة فجعل شهادتها بنصف شهادة الرجل فهو مجازاة لطبيعتها فالمرأة بعاطفتها لا بعقلها وتمتاز المرأة بعاطفتها ولا تمتاز بعقلها وهي مع ذلك سريعة النسيان لهذا لم يسو الإسلام بينها وبين الرجل في الشهادة وعلل ذلك بقوله تعالى (أن تضل أحدهما فذكر أحدهما الأخرى) فهو اعتبرها إنسانا ولكنه لاحظ الفرق بينها وبين الرجل وجعل الميل إليها أمرا عزيزا لما يترتب عليه من عمار الكون والميل أساس النسل والدنيا لا تقوم لغيره وليس الميل مقصود لذاته وإنما هو وسيلة لغيره وقد نظم له (لا لشمس) الكامل الصحيح وحدله الحدود وأمر المرأة أن تستتر وأن لا تبدى مواضع الزينة فلا يليق بها أن تلبس ما يحدد العورة ولا ما يصفها فضلا عما يكشفها . ويديها وقد أجمعت الأمة على ذلك . أما كشف الوجه واليدين فإن أمنت الفتنة جاز لها ذلك وإلا فهو حرام أيضا ، وكما حرم الإسلام ذلك حرم الإسراف في الزينة فالمرأة التي تلبس ثوبا رقيقا يصف جسمها والمرأة التي تغير من خلق الله ملعونة (لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشوة والمستوشمة والنامصة والمتنصبة والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله) (النامصة : النافذة لشعر الجبين) . (المتنصبة : التي تفعل الفاج في أسنانها) .

كذلك يحرم عليها الخلوة مع ذي محرم لقوله ﷺ : ما خل رجل امرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، ووقف الإسلام من هذه المسألة موقفا محكما محرم إبداء

الزينة والإسراف فيها وحرم الخلوة والاختلاط لأنه يؤدي إليها أما إذا
باشرت المرأة حقوقها في حشمة ورفق من غير خروج على الحد المشروع فلا
مانع في ذلك من غير خلاف ، أما الذي عليه الآن من غشيان الحفلات
ودور السينما والتمثيل وشواطئ البحار وما إليها عارية متهتكة فهو أمر
لا يعرفه الإسلام ولا يرضاه الدين فهمة المرأة أن تكون زوجة صالحة ،
وأما صالحة تلزم تدبير بيتها ، وتدبر شئون منزلها وتصلح من شأن زوجها
ولولادها . أن رفق المرأة يعتبر نهضة الأمة ولكن ليس أهميته كأهمية
إصلاح الأخلاق وتربية النفوس فليس معناه الخلاعة والإباحة والتهتك ولكن
معناه التهذيب الصحيح والتربية الفاضلة والعلم النافع .

إن مسؤولية المرأة التي تفرضها عليها طبيعتها ويحددها قانون الإسلام إنما
هي حماية الأسرة والقيام بالواجبات الأخرى ومن هنا يكون من المسؤولية
الاجتماعية البالغة إعداد المرأة المسلمة ثقافيا وخلقيا واجتماعيا بما يؤهلها لأن
تكون (أما) صالحة لتحمل المسؤولية التربوية المنوطة بها وأن يكون ذلك
في إطار كريم للزينة والزي وصيانة لحرمتها وحفاظا على تكريمها .

ولقد كان منطلق الشريعة الإسلامية هو حماية المرأة حماية تامة من أن
تكون تحت ضغط الحاجة مهددة في شرفها وعرضها ومن أجل ذلك أعطاها
نصيبا واضحا في الميراث وجعل لها حقا واضحا في المعاش وماكينة واضحة
للإلزام بما لم تستطع أن تصل إليه المرأة الغربية حتى اليوم وما وصلت إلى القليل
منه بعد نزول القرآن بأكثر من أربعة عشر قرنا ولقد كان الإسلام يقصد
بذلك إلى حماية شخصية المرأة وكيانها بحيث تكون الظروف كلها صالحة لكي
تكون عفيفة ظاهرة ، وبذلك حال دون تطلع بعض القوي المضلة إلى السيطرة
على المرأة واستغلالها على نحو جنسي دخيس فأعلن سلامة المرأة في سلامه
كيانها وفي حماية عفتها لأن دمار نفسية المرأة من شأنه أن يهدم حياتها ويجعلها

خاضعه لأهواء الرجل ومطالبه ، وهذا ما استطاعت هذه القوى المضلة أن تحققه في المجتمع الغربي حين أدلت المرأة وجعلتها أداة متعة وعرضتها للاستغلال الجسدى والاقتصادى وقد أحست المرأة الغربية بدمرارة التجربة أنها تجرى ضد الفطرة ، وتتمنى عودتها إلى الأسرة والبيت .

وقد جعل الإسلام العفة هى قوة وجود المرأة ، والعفة أن تكون المرأة للزوج وحده ، دون غيره روحيا وجسديا وجعل أيما امرأة استعرضت فرت على قوم ليجدوا ربحها معصية ، كما أنكر تشبه الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وحرّم عليها أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا دون محرم ودعاها منذ أن تبلغ المحيض أن لا يرى منها إلا وجهها وكفيها واشترط لها البعد عن مظاهر الزينة ودعاها إلى ستر الجسم وإحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف وحرّم الخلوة بالأجنبي مهما كانت الظروف .

وفضل الإسلام القول فى المساواة على نحو يختلف عن أهواء البشرية الذى تحاول به الدعوات الهدامة تحطيم الأسرة وتدمير المجتمع .

فالمساواة فى مفهوم الإسلام تقتضى توزيع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء على سبيل التكافؤ أو المماثلة الواضحة فى قول الله تعالى :

(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)

وبذلك يرفض الإسلام مفهوم المساواة التى يقوم على تجاهل الفروق الواضحة بين الجنسين فى الخلق والتكوين والموهبة والاستعداد . حيث اختص كل جنس بمواهب خاصة وقدرة معينة لا يقدر عليها غيره .

وقد أكدت الأبحاث العلمية والتجارب الصحيحة فى مجال المجتمعات خطأ القول بالمساواة فى كل أمر يتم بين الجنسين فى القدرات والأعمال ، ذلك لأنه أمر لا دليل عليه فى تكوين الفطرة ولا فى تجارب الأمم بل قام الدليل على نقيضه فى جميع هذه الاعتبارات .

ولا ريب أن (الأزمة) التي تمر بها المجتمعات العصرية بالإضافة إلى الأخطاء وسوء التصرف ترجع إلى التجاهل لفردية رسالة كل من الرجل والمرأة والخلط بينهما وعدم تقييم الفوارق ، من حيث أن كل جنس له وظيفه لا يصلح لها الجنس الآخر ، وخاصة في مسألة إنشاء الأسرة والطفل والأمومة والزوجة الحامية الراعية للنفس الإنسانية للرجل والخالقة لطمأنينتها هذا بالإضافة إلى أن الرجل إقْد تفوق في الأعمال التي تخصص فيها النساء كالطبخ والأزياء .

وان التفرقة بين الرجل والمرأة هي تفرقة عضوية اقتضتها حكمة الله لضمان استدامة حياة البشر وتكاملها . وليست تفرقة من حيث الجوهر والمعدن والعمل .

الفصل الرابع

محاذير تواجه رسالة الامومة

إن الفكرة المسمومة التي يحملها الفكر الغربي التامودى عن المرأة يتجاهل وظيفة المرأة الحقيقية ، كزوجة وأم وكيف أعدت لها شريعة الله منها صحيحا يحمى هذه الرسالة ويحول دون أن تكون المرأة سلعة أو أداة جنس وهوى ومن ذلك تلك الضوابط الخاسرة بالاختلاط ودورها في بناء الطفل وفساد الوسائل البديلة كدور الحضانة وغيرها .

يقول الكسبي كاريل : لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة استبدالا تاما ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأهولهن الخاصة أو مطامعهن الاجتماعية أو مبادئهن وهواياتهن الأدبية والفنية ودور السينما . انهن مسئولات عن إضفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل الطفل فيها بالكبار فيتعلم منهم أمورا كثيرة لان الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى طبقا للقوالب الموجودة في محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلا من الاطفال الذين في مثل سنه وعندما يكون مجردا وحدة في المدرسة فانه يظل غير مكتمل) .

كذلك فقد اكتشف المجتمع الغربى فساد النظام الذى يقوم عليه بالاختلاط ومدى أثره في تدمير الأسرة حتى قال الفيلسوف برتراند رسل في كتابه (الاخلاق والزواج) : (هناك شرط مهم في دعم الحياة الزوجية ذلك هو خلق الحياة الاجتماعية من النظم التي تسمح بالمصادقة

والمخالط بين المتزوجين من الرجال والنساء سواء في العمل أو في المناسبات والحفلات وما شاكلها . أن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق وليس عسيرا أن تجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التي انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم في الحياة الزوجية) .

وقد نعت السيدة مريم جبهة (الاوربية التي اسلمت) على النسائين أى دعاة تحرير المرأة المسلمة في العالم الإسلامى فهمم الخاطئ . لمعنى التحرر على أنه الاباحية المطلقة للنساء فى الاختلاء بالرجال حيث شئن وإنى ذهبن ، بدون قيد ولا شرط ، وفى اختيار الأزياء غير المحتشمة وفى توظيفهن خارج البيوت فى الاسواق والمسارح ودور السينما ، وفى مساهمتهن فى الحياة العامة مهما تمزقت أضرار الاسرة وانتهكت حرمان العفة والاباء .

وتقول ذلك عن تجربة مثيرة مرت وتمر بها المجتمعات الاوربية والامريكية ، الغربية المتحررة وتدعو باخلاص بمد اعتناقها الاسلام ومعرفتها أحكامه وأدابه إلى أن يعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين الذى جاءه أحكامه وأدابه صائنة لحرمانهن راعية لكرامتهن محافظة على عفافهن وحياتهن من الاتهاك وضياح الاسرة) .

ولاريب أن رؤية الاسلام صادقة وصحيحة لانها مستمدة من منهج ربانى لا يخطئ ، بينما تستمد النظرة الغربية منطلقاتها من الاهواء والمطامع ، وقد قرر الباحثون المسلمون أن المجتمع الإسلامى مجتمع فردى لا زوجى وأن الرجال لهم مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن ولقد أباح الاسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطا شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة

ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب فلا تصف ولا تشف ومن عدم الحارة بأجنبي مهما تسكن الظروف .

ولا ريب أن الستر في الملايس أدب من آداب الاسلام وإن تحريم الخلوة بالأجنبي حكم من أحكامه وغض الطرف واجب من واجباته والعكوف في المنازل للمرأة حتى في الصلاة شعيرة من شعائره والبعد عن الإغراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وخاصة عند الزوجة هو حد من حدوده ، وقد حذر الاسلام من فتنة المرأة ، وهى أحب الفتن إلى نفس الرجل ودعا إلى أن تسلم المرأة من فتنة الرجل (قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الأربطة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بخمرهن ليعلم ما يبدن من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

وهكذا كشف الاسلام عن محاذير دعوة الاختلاط التى هى حلقة من حلقات المؤامرة الخطيرة الرامية إلى هدم الأسرة وتدمير المجتمع وقد تبين من النتائج التى كشفت عنها التجربة الغربية مدى الآثار السيئة التى ترتبت على الاختلاط والتى تربو ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد

ومن أخطر نتائج الاختلاط التبرج والفساد ، فلا ريب أن الاختلاط من شأنه أن يؤدي إلى كل ما يتصل بالزنا والفوضى الجنسية وتكشف المجتمعات الغربية ما كان من نتائج هذه الدعوة وفى مقدمتها

١ — عزوف الرجال عن الزواج لأن المرأة سهلة المنال بلا تكاليف ولا مسئوليات .

٢ - منع الحمل والإجهاض مما أدى إلى تناقص السكان نتيجة لزيادة الوفيات على المواليد

٣ - ازدياد الأولاد غير الشرعيين ، ففي السويد يولد طفل شرعى بين كل عشرة أطفال ، وفي الدانمرك يولد طفل شرعى بين كل ثلاثة عشر طفلا ، وفي أمريكا يولد ٥٢ طفل غير شرعى فى كل ألف طفل

٤ - كثرة الأمهات غير المتزوجات

٥ - شبرع الأمراض السرية القاتلة كالسيلان والزهرى التى غدت من الأوبئة التى استفحل أمرها

٦ - ظهور جيل من الخفافس وهو شباب رانض لكل القيم هادم لما بقتة البشرية

وكل هذه نتائج طبيعية ومصير محتوم للتبرج والتمحلم وقد أشارت الدكتور عميده كلية بنات جامعة الأزهر إلى أن الاختلاط الموجرد فى الجامعات غير جامعہ الأزهر مريب وذريعة لجلب المفسدة وأن عدم الاختلاط هو الضمان الحقيقى للسحافظة على كرامة الفتاه ومنع الشبهات عنها والوسيلة الوحيدة لسد الطريق الذى يودى إلى الإتحراف ، وهذا أيضا يحافظ على سمعة وعادات وتقاليده الأزهر فالإسلام كريم له قوانين وتشريعات تحافظ بها على كرامة المرأة وحياء المرأة ويحول بينها وبين الفقة والمفسدة ، وقالت نحن كجامعة أزهرية يهيمن عليها الدين الإسلامى رأينا أن نحافظ على أبناءنا بأن يجعل لهم جامعة خاصة تتوانر فيها كل الامكانيات العلمية والتعليمية وإتاحة الفرصة أمام الفتاة لدراسة جميع العلوم فيما عدا مجالات معينة لا يتصور أن تمارسها الفتاة ودعت إلى ضرورة عدم الاختلاط إلى الحياة العملية فهناك الكثير من الأعمال يجب

الإلتزام الفيتاء بممارستها ويجب كذلك أن تخصص لها وحدات خاصة من المواصلات وأن عدم الاختلاط ليس عقبة في حياة الفتاة العاملة لأنها في حياتها مع أمومتها وتحت إشرافها تختلط بالكثير من أقاربها وجيرانها وأيضاً القيم والمثل التي تتعلمها من خلال العلوم الإسلامية تساعدك كثيراً على التكيف حسب المجتمع الذي تتواجد فيه والحرص على كرامته ،

وقد علمت القيم الإسلامية منذ وقت طويل إلى أن تتعلم المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها وهي تدبير المنزل ورعاية الطفل

ولقد تبين للمرأة الغربية فساد الطريق الذي تسير فيه والذي ينتزعها من رسالتها ومهمتها فتقول الطيبية سالى . سويرنر . أن وجود الأم شيء حاسم بالنسبة للنمو الباكر للطفل ، أن من التضييل وعدم الانصاف القول بوجود أن ترتفع المرأة الذكية عن غرائزها الأمومية ويعود إلى العمل وتساءل : هل تستطيع المؤسسات أن تحل محل الأم بديلاً ملائماً ، كما أن حليب الأم لا يمكن أن يستخرج منه فكذلك الأم ، أن معنى تحرير المرأة في نظري هو أن تشعر المرأة بالثقة في نفسها في كونها امرأة في كونها أما

وتساءل الكاتبة الأجنبية : هل من الممكن الجمع بين الأمومة والعمل وتجييب بأنه ليس من السهل ذلك ، أن الأمومة تعاني من الامتحان وأن اختيار البقاء في المنزل والعناية بالطفل قرار ليس من السهل اتخاذه في هذه الأيام ، أن النساء اللواتي لا يرغبن في الإشراف على تربية أطفال من يرتكبن خطأ فادحاً ، إذا اردت أن تقومى بالأمومة وأن تعملي فإن مجالك سيتوقف على مدى استطاعتك تجاهل غرائز الأمومة ، لقد كنت برغم ثقافتى المهنية

غير مدركة إطلافا لقوة هذه الغرائز وللرابطة بين الطفل والام حتى رجعت إلى البيت مع رضيعي الاول .

على النساء ألا يبقين خجولات بعد الآن من أن يفاخرن بكونهن نساء وأن يستمتعن بالارتباكات الخاصة بالنساء مثل الامومة وعندما تشعر النساء أنه يلغى عليهن أن يجرن أنفسهن من خواصهن الانثوية المنفردات بها فانهن لا يحققن المساواة وإنما يفقدن الذاتية وإذا فكرت المرأة في أن تكون شخصا فاعليها أن لا تكون مثل الرجل .

ولقد كرم الاسلام الامومة فجعل زمام البيت بين المرأة ، فالمرأة راعية ومسئولة عن بيت زوجها والرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ، وشخصية المرأة في نظام الاجتماع الاسلامي لا تنفي في شخصية الزوج فهي لا تفقد شيئا من حقوقها المكتسبة لفرد في الهيئة الاجتماعية البشرية ، وإن الفوارق الطبيعية عن الرجل والمرأة قد أعدت لصلاحية مهمة كل منهما ولم تعقها عن نشاطها الاجتماعي .

وينخص النظام الاسلامي بشدة على معاملة الزوجة معاملة حسنة (فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان) و (عاشرهن بالمعروف) والرحمة بالمرأة واجبة حتى في حالة الكراهة (وعسى أن تـكـرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) وخياركم خياركم لنسائكم ، وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة بعبارة دقيقة (أن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، فاستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا)

لقد كرم الاسلام وحفظها من أن تكون سلعة لكل إنسان ولذلك فإن محاولة تقليدها المرأة الغربية ليس في حقيقته إلا محاولة تستهدف كرامتها وحلقها ودينها ، يقول بهذا الغربيات اللاتي اسلمن فتقول إحداهن : لقد

صدمنى من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضّر هو فى تقليد المرأة الغربية وقد نسيت أنها تستطيع أن تتقدم فى حدود تقاليدها ، أن الاباحية الغربية هى التى تهدم المجتمع فى أوروبا وأمريكا وأن الاختلاطية فى المجتمعات هى التى حطمت الاسرة وزلزلت الاخلاق .

وحين نرى بعض الدول الاسلامية والعربية تفرض ذلك بقوة القانون كما حدث فى تركيا ويران وتونس تعرف إلى حد يمكن أن يكون الخطر الذى يواجهه الاسرة المسلمة والامومة والمجتمع الاسلامى كله .

يقول حان بول رو فى كتابه الاسلام فى الغرب : أن التأثير الغربى الذى يظهر فى كل المجالات ويقلب رأينا على عقب المجتمع الاسلامى لا يبدو فى جلاء أفضل مما يبدو فى تحرير المرأة ، ويبدو ذلك فى تقليد أوروبا فى المساواة المطلقة بين الجنسين فى الحقوق والواجبات ، وقال أن أوروبا تريد من العلمانية بأن لا تطفو على السطح فحسب ، بل ترغب أن تنفذ إلى قلب الخلايا العائلية ذلك أن النفوذ الغربى يعرف مدى ما يكتسبه من السيطرة على المرأة وإخراجها من طوايقها الاسلامية ، ومن العجيب أن تدعى المرأة المسلمة إلى ذلك فى الوقت الذى يضطرم فيه المجتمع الغربى بالازمات التى حطمت الاسرة وهندت المجتمع حتى تقول السكينة الامريكية (جرمن حرير) فى كتابها المرأة المستعبدة ، أن عصرنا يمثل أقصى مراحل الظلم والظغيان والاستبداد التى عرفتها المرأة منذ وجودها على الارض . أنها تغامر بلا دليل ولا مرشد فى ظلمات المجهول) .

وهناك من يعرف مدى أهمية المرأة التى تحيا بمفهوم الاسلام فى بناء المجتمع حيث يقول جان بول شارنيه (أن جميع المعتقدات التى حارب من أجل محوها علماء الدين المصلحين قد صنعت فى الواقع من المرأة المسلمة حصنا فعلا للإسلام ولما كانت المرأة تضمن استمرار النوع فإنها من أقوى الحواجز التى تحمى الاسلام من التفرج) .

الفصل الخامس

أخطار في وجه الطفل المسلم

إن هناك محاذير ضخمة ومخاطرة كبيرة تواجه الطفل في العالم كله ، وقد واجهت هذه الأخطار الطفل في الغرب وهي الآن تمتد إلى أفق المجتمع الإسلامي وتتلخص هذه المحاذير في أمرين : في أمر تكوينه وفي أمر تربيته . فالأم العصرية الآن قد تخلعت تماما من رخصة الطفل وحماية طفولته ليس بالغذاء وحده ولكن بالحنان والوجدان والعطف الذي يصنع وجود الطفل وتحفظ كيانه النفسي من الوقوع في الأزمات والتمزق .

وليس هناك تفرقة بين الأمرين : أمر التغذية وأمر العاطفة فان تولى الأم رخصة طفلها من شأنه أن تحقق تلك الحضانة العاطفية وفي السنوات الأخيرة وجهت الهيئات الطبية العالمية تحذيرات شديدة من انقطاع الأم عن الرخصة الطبيعية للأطفال وأنه ليس هناك بديل للبن الأم الغني بالبروتين . وكان النذير يعلن هذا الخطر في مواجهة المجتمع الإسلامي إذا توقفت سيدات قارة آسيا عن إرضاع أطفالهن فسوف يكون هناك حاجة ماسة إلى قطيع آخر من الماشية يبلغ ١١٤٠ مليون رأس لتعويض النقص في الألبان .

وفي مؤتمر الصيدلة الدولي الذي أقيم في باريس ١٩٧٢ أعلن عن أهمية حليب الأم في رخصة الطفل بما لا بديل له لصحة الرضيع ، ومدى الفارق البعيد بينه وبين حليب البقر وأشار الدكتور هرن لسترادن أن لبن الأم قد زود بعشرات من المعطيات الصحية التي لا يمكن أن توجد في حليب البقر . منها مادة كولوستروم وكريات حلويين وما يحتويه من نسب عالية من السكريات والحوامض مما لا يوجد في حليب البقر .

وأن الأم التي تغذى طفلها بحليب البقر إنما تفرض عليه زيادة في المواد البروتينية تفوق حاجته ثلاث مرات بينما تنقص حاجته من السكريات والأحماض التي لا يحتاج إليها عجل البقرة وتنتج لذلك فإن كل من السكبد والكلتين لدى الرضيع المعدى بحليب البقر يصاب بالتضخم من جراء المجهود اللازم لتحويل المواد البروتينية . وأن نقص المواد السكرية والحوامض الدسمة في لبن البقر الذي يقدم للطفل من شأنه أن يوجد نقصاً جوهرياً في خلايا الدماغ البشرى ، وما يصاعف الخطر أن خلايا الدماغ تتكون مرة واحدة في السنين الأولى من العمر ولا تتجدد . وأضاف الدكتور ليستراد حقائق جديدة لم تكن معروفة إلى وقت قريب وهي أن حليب الأم لا يشمل على عناصر غذائية فقط بل يشمل أيضاً على عناصر وقاية من الأمراض الجرثومية تشبه اللقاحات ومعنى هذا أن خالق الطفل - لا الطبيعة كما يقول الطبيب - قد مكن الطفل الرضيع من الشهور الأولى من عمره من مقاومة بعض الأمراض الجرثومية .

ويتساءل الطبيب في الأخير : كيف يمكن أن تحجم الأم عن ترضيع طفلها إذا تأملت في هذه الفوائد التي لا تحصى في حليب ثديها ثم في هذه المساوئ والمخاطر التي لا تحصى في حليب البقر .

وقد اندلعت في السنوات الأخيرة في الغرب حملة شعواء على الرضاعة الصناعية تحت عنوان مثير : نعم للثدى لا للحليب الصناعي .

وكانت الدكتورة بامبلا ديفنز الباحثة بمعهد أبحاث الطفل بمدينة لندن قد انتهت من دراسة كل أنواع الألبان قد أعلنت تحذيراً للأمهات من إرضاع أطفالهن لبن الأبقار وما في مستواها وقالت أن هذه الألبان تحتوي على نسبة عالية من الدسم الذي يصلح لعجول الماشية وحدها بينما ضرره يلحق بالإنسان الرضيع لأنه يؤدي إلى الإفراط في السمنة ويفتح الطريق في جسم الطفل إلى أمراض القلب وأن الرضيع الذي يعتمد على اللبن الصناعي أكثر تعرضاً

للإصابة بإكزيما الجلد أو الربو وأمراض الجهاز النفسى الأخرى . والأهم أنه يشب أنانيا جافا غليظ القلب قاسيا قليل التعاطف يفتقر إلى الارتباط الوجدانى على نطاق واسع .

ولقد كشفت الأبحاث والأحداث أخطارا كثيرة فى مجتمع الطفولة نتيجة انصراف المرأة عن أداء واجبها فى رضاءة وحضانة طفلها وإسلامه للخدمات والجهات الأخرى بل إن اشتغال المرأة بأعمال لا تتفق مع طبيعتها قد كان بعيد الأثر فى اضطراب عملية الحمل والولادة إلى حد أن هناك نسبة كبيرة يولد فيها الطفل ميتا وأنها ترهق نفسها فى وقت يسكون فيه جهازها العضى أ كثر حساسية وأ كثر تأثرا مئات المرات بكل صغيرة وكبيرة وقد أشار علماء الدراسات البيولوجية إلى أن هذا يرجع إلى الفروق العامة فى التكوين الفسيولوجى بين الرجل والمرأة وتعارض قدرتهما فى تحمل الإرهاق ، وكذلك الفروق فى الوظائف الطبيعية والاجتماعية لهما وما يخضع له كل منهما من عادات وقيم سائدة تجعل المرأة العاملة تنفرد بظروف متميزة فى مطالبة بالإضافة إلى دورها فى مواقع العمل أن تقوم بأداء وظيفتها داخل الأسرة كأم وزوجة مسئولة عن البيت ومن شأن هذا الإضطراب إصابة الأم بمرض السكر أو نقص أ كثر من اللازم فى الدم .

ولا ريب أن تقليد الأم العربية الإسلامية الأوربية والأمريكية فى هذا المجال لها أخطرها ومحاذيرها ولها نتائجها السيئة فى المجتمع الإسلامى نظرا لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية وخاصة أن شروط الرضاءة الصناعية الصحية يصعب توفرها فى البلاد النامية ، وأن أدوات الرضاءة كالزجاجة والصمام قد تتحول إلى مركز خطر للجراثيم ينتقل إلى الرضيع وتشير لوحة الأرقام المعبرة عن انتشار أمراض المعدة بين أطفال العالم الثالث .

وتركز اليوم الحملة على الطفل بالتحكم في ثقافته والقصص التي يقرأها والمعلومات التي تقدم إليه بهدف تدمير كيانه النفسي وإفساد عقليته منذ أول الشوط وتستهدف مخططات النفوذ الأجنبي وبروتوكولات صهيون التحكم في الطفل قبل أن يصبح شاباً وتنسكيله تشكيلاً يؤثر على فطرته ويحوّله إلى الوجهة التي يريد توجيه إياها ، ولقد احتاجت هذه الموجهة عالمنا الإسلامي وأصبحت هناك ثقافات وكتب ودراسات وقصص تقدم للطفل ترمي إلى غسل دماغه وتدمير كيانه وتحطيم وجهته الخلقية والدينية ، وهناك محاولات لكتابة قصص للأطفال ومسرح للأطفال يقوم بها مغربيون من غير المسلمين أو من اتباع الدعوات الهدامة وتستهدف هذه الخطة صناعة هدف للطفل غير هدف أمته وعقيدته ، وذلك عن طريق تسليط الأسطورة والقصص الخيالية ومفاهيم العنف والجريمة عليه .

ولا ريب أن فترة الاختبار في حياة الطفل تأتي بعد فترة التأسيس التي يقوم بها الوالدان والمدرسين على أساس إرساء الدعائم الأولية للشخصية فإذا تعرضت فترة التأسيس هذه لتلك التحديات الخطيرة فإن الطفل سينشأ فاسداً مضطرب الشخصية مزلزل الوجدان وسيكون عاملاً من عوامل الخطر على مجتمعه .

والإسلام يدعو المسلمين إلى بناء شخصية الطفل بالإيمان والخلق والقوة وإقامتها على العزيمة والإرادة وعلى اختيار الأقوى والاتباع وعلى الاخشيان والتقشف وعدم الركون إلى الترف والبسائط وقطم النفس عن الشهوات وذلك كله حتى تكون الأجيال الجديدة قادرة على حمل أمانة مسؤولية وطنها وأمتها ولا ريب أن ذكاء الطفل ينمو وترداد قدرته على الكلام والفهم والادراك إذا نشأ بين أبويه ولم يترك للحاضن أو رياض الأطفال أو المربيات الأجنيات ولا ريب أن الكثير مما يصيب الأطفال بالعصاب النفسي يرجع

إلى ضعف السلطة الأبوية لا العكس ، ويقول الباحثون الذين أجروا تجارب واسعة على البيئات المختلفة أن منشأ الكثير من الاضطرابات النفسية لدى الأطفال إنما هو نتيجة الارتياح الذي أصاب الكثير من الآباء حول الطريقة المثلى في التربية مما جعل الكثير من الأبناء ينشأون كنف أسرات يجهل الوالدان فيها كل شيء عن التربية ، ولو كان لدى الآباء « الثقة » في أنفسهم لكانوا أقدر على تربية أبنائهم فإن الشك الذي يخيم على عقول الآباء سرعان ما ينعكس على عقول الأبناء فلا يلبث الأطفال أن يقعوا فريسة سهلة لوساوس القلق والشك والخوف والارتياح .

وأنه لا بد من إعادة روح الثقة بالنفس إلى الآباء والامهات حول قدرتهم على تربية أبنائهم وما لم يحدث ذلك فسيظل عدد الأطفال المصابون باضطرابات نفسية تتزايد يوماً بعد يوم .

وأنه لمن أخطر الظواهر في المجتمع الغربي الحديث هي ضعف سلطة الآباء ، وأهم سبب لذلك هو أن الآباء قد أصبحوا عاجزين عن تقديم نموذج سليم أو تكوين آراء أخلاقية بعيدة عن الرذيلة . ولا ريب أن هناك أزمة فساد النموذج الداخلي للاب وبذلك انهار أضخم ركن من أركان التربية وهو (القدوة) ولقد تبين للباحثين فساد نظرية التحرر المطلق الذي قالت بها المدارس المادية والتلوذية وفرضتها على المجتمع العربي كله ، ونشأت في ظله أجيال عظماء ، وتبين اليوم أن حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن لا تقل عن حاجته إلى الشعور بالحرية .

وقد أثبتت التجربة أن الأبناء الذين ينشأون في كنف أسرة ذات عقائد راسخة كانوا ما كانت يكسبون الكثير من وراء هذه البيئة المستقرة ، قد يختلف الاب مع ابنه ، حول بعض الأمور والمسائل ، ولكن ذلك لا ينقص مكانة أبيه في نظره ولا بد أن يعترف له بالفضل ويظل مقدراً له ومحترماً .

ومن هنا فإن الخطأ هو في غيبة المفهوم العقائدى والأخلاقي في الأسرة
الذى هو صمام الأمن وعصمة الأمر كما أشار إلى ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فاذا وجد هذا المفهوم واستقر بالتربية مع الطفل من اليوم الأول أمنت
الأسرة وأمنت المجتمعات تلك العواطف التى تثيرها القصص والمسرحيات
والأفلام حينما تصور الأب بصورة يراد بها السخرية به واحتقاره وانتقاص
دوره الأصيل وما يجرى فى هذه القصص من محاولة تحريض الأبناء على
التمرد على الآباء والقول بأن هذه الأجيال الجديدة بغير أساتذة أو بغير توجيه
أو تلك الصيحات المريبة الظالمة التى تجرى على لسان الآباء بأنهم يتركون
لأبنائهم خربة الوجهة التى يريدونها ولا يدرون أنهم بذلك يحتملون أكبر
التبعة فى الأخطار التى يواجهها أبنائهم وأن العلاقة بين الآباء والأبناء يجب
أن تكون مليئة بالثقة وأن يكون الآباء على مستوى المسؤولية والخلق حتى
يستطيعوا أن يوجهوا الأبناء من ناحية وأن تجد أرائهم ثقلاً وثقة لدى الأبناء
والواقع أن (القدوة المثل) هى قدوة البيت فى الآباء والأمهات وأن قدوة
المدرسة تأتى من بعد .

وأن الشارع والصحيفة والسينما والقصة (وأحياناً أساتذة المدرسة)
يتكئون فى صف محاولات الهدم والتدمير وحيث يفقد المثل الأعلى فى الأب
والأم داخل الأسرة فلا أمل فى قدوة خارجة إلا نادراً وأن كل قدوة خارجة
هى مكملة لقدوة الآباء .

ومن ناحية الطفل فقد ثبت علماً أن استهانة الأم بالرعاية والحضانة الحقيقية
للطفل وتسليمها إياه إلى دور الحضانة والخدمات - إن لم ير ضه للمعانة العاطفية
نتيجة نقص الحنان الفطرى الذى جبلت عليه قلوب الأمهات .
كذلك فإن عناية الآباء والأمهات الزائدة وتساهلهم المفرط الذى يعوتون

عليه الطفل هو مصدر متاعب خطيرة له فإنه يحمله يتوقع نفس المعاملة من الآخرين قلنا لم يجد هذه المعاملة من الغير يصدم وتتولد لديه مشاكل نفسية واجتماعية متعددة .

ومن الخطر أن يشكل الطفل على أساس الاحساس بأن العالم من حوله قد وجد لتلبية رغباته أو إشباع حاجاته أو حماية تصرفاته .

ولا ريب أن التسامح الزائد أو الاضطراد المتصل في حياة الطفل كلاهما خطر شديد الخطر ، وكذلك الترف والحرمان جميعا . ولذلك فإن الطفل في حاجة إلى موازنة شديدة في مطالع حياته تمكنه من أن يشق طريقه بإرادة خالصة وأخلاقية واضحة والاسلام يرفض تماما تلك المحاولات المسمومة التي تدعو إلى إطلاق حرية الطفل بغير رعاية وتسديد في الخطوات الأولى ، ولقد تبين أن الأجيال الساخطة المتبرمة إنما نشأت على ذلك المفهوم الخاطئ الذي روح له فرويد وسارتر والدكتور سنوك وقد تبين للمجتمع الغربي اليوم فساد هذا الاتجاه وطالب المربون بعد قياس سليم للآثار الخطيرة للجريمة والجنس والفساد الخلق المتفشى في المجتمعات ، بالعودة إلى أسلوب الأصالة وإلى العودة إلى عقوبة الضرب وغيرها في المدارس حتى ينشأ الشباب وهو يعرف أن هناك ما هو مقبول وجاز وما هو غير مقبول وغير جاز وأن ظاهرة العنف والجريمة قد جاءت نتيجة هذه الحرية الظالمة .

(٢)

يقول الأستاذ عامر عبيد : قبل أيام نشرت صحيفة الديلي تاجراف البريطانية أن فتاة عمرها خمسة عشر عامًا سُرقت طفلة كانت قد تركتها أنها في عربة صغيرة أمام مبنى بنك في لندن وكان السبب الذي دفع تلك الفتاة إلى سرقة الطفلة أنها قرأت كتابا في المدرسة بعنوان (سام وأنا) وتعلبت منه كيف تسرق الأطفال وتحوّلوا المرأة في ساحة تسلية بريئة إلى واقعة حقيقية عندما وجدت الطفلة في متناول يدها ومن مخططات بروتوكولات صهيون التي

اعتمدتها الصهيونية العالمية والحركة الماسونية قانوناً لهما في تنفيذ مآربهما أن يتم الاستيلاء بصفة مباشرة أو من وراء ظهر للتحكم في الكلمة الصادرة حتى تكون ملائمة لتحقيق أهدافها.

ومن أجل هذا يتحتم النظر في جميع الطبوعات التي تطرح في الأسواق سواء أكانت صحفاً أو مجلات أو كتب مسلسلات لا سيما تلك التي تخص الصغار .

أن هناك مطبوعات خطيرة مطروحة على الأرضة منها سورمان وأرسين لوين ، وشرلوك هولمز ، غير هامن مطبوعات منمقة وقد تبين أن الأطفال يقبلون عليها ولا يعرفون الوجهة الخطيرة التي تحتوى عليها (القيم الإسلامية) ذلك أن هذه المجلات تستمد مادتها من مصادر أجنبية وأن اختبارها قد روعى فيه هدم القيم الإسلامية في نفوس الأطفال . وأن هذه الأساطير الغربية المقدمة للطفل العربي والمسلم من شأنها أن تخاف في أعماقه خوفاً وإعجاباً بالبطولة الغربية وبذلك يظل على جبل يبطولات أمته من ناحية ويلتشىء في أعماقه حالة تبعية تحول بينه وبين فهم مقررات الأمور من حيث إخطار الغزو الغربى التي يجب أن يعد منذ نعومة أظفاره لمواجهة ومقاومتها .

كذلك فإن من الأخطار الشديدة على الطفل العربى المسلم ذلك الاذمان التلفزيونى الخطير حيث تقدم الإذاعة المرئية شرائح خطيرة من الجريمة والجنس وصور الصراع فى الأسرة والخلاف بين الآباء والامهات وأن هذه البرامج التى هى فى حد ذاتها خطيرة بالنسبة للشباب فإنها بعيدة الأثر فى تشكيل نفسيات وعقليات الأطفال . فهى تحول بينهم وبين تكوين آراء صحيحة لواقع المجتمعات وللأساليب الصحيحة لمواجهة المشكلات والقضايا ومن ثم فانه لابد من حماية الأطفال من هذه البرامج العامة .

الفصل السادس

فساد أسلوب العيش الغربى

كان المجتمع الإسلامى هدفاً للقوى الأجنبية التى أصبحت قادرة على التأثير فيه عن طريق وسائل التقدم والحضارة التى أمكن توجيهها إلى دفع المجتمع نحو التسلية والترف وتوفير أسباب الإغراء المادى بهدف إخراج المسلمين من أجشيشان المجاهدة إلى رخاوة الحياة ، ومع أن الإسلام لا يحرم متاع الحياة ولكنه يفرض قدراً معيناً من الضوابط التى تحول دون تدمير الوجود الفردى والوجود الاجتماعى بحيث يصبح المسلم قادراً على مواجهة أحداث الحياة المتغيرة ومواجهة الغزو الخارجى .

كذلك فإن دفعات الحضارة المادية التى شاقها الاستعمار باسم التقدم والرفاهية إنما قامت على أساس مادى خالص ، وعلى أساس إعلاء شأن طائفة صغيرة من القادرين ، بينما أصبحت الطبقة الأكبر عاجزة عن الوصول إلى هذا القدر من المتاع ، بينما يقارب الإسلام بين الطبقات فى وسائل العيش ويجعل من المعنويات أساساً لكثير من التضحيات ، وقد استطاع هذا التأثير الأجنبى أن يعلى شأن المقاييس المادية فى التعامل وأن يوجد صراعاً عنيفاً ، وتطلعاً إلى الماديات ، على نحو يقضى على كثير من القيم المعنوية وبذلك يتأثر الاتجاه الإسلامى القائم على الجمع بين المادة والروح .

وهكذا نجد أن النفوذ الأجنبى الذى سيطر بالاحتلال العسكرى أو الاستعمار الذى سيطر سيطراً على المجتمعات الإسلامية قدر جيلين أو ثلاث يحاول أن يطرح أسلوب العيش الغربى فى المجتمع الإسلامى باستعمال الوسائل الحديثة ليحتويه وليصهره ويصنع من قيمه الجديدة مزيجاً عن طابعه الأصلى

(م - ٤ المجتمع الإسلامى المعاصر)

ولما كان الفكر الغربي الليبرالى - والفكر الماركسى شطرنجه واستجابة له الذى حاول السيطرة على المجتمع الاسلامى كان فكرا مسيحيا كنسيا له جذور يونانية وثيقة ومفاهيم رومانية عبودية ، ولذلك فإنه يطرح من الوهلة الاولى محاولة فصل الدين عن المجتمع وإعلاء شأن العلمانية التى تقرر اتخاذ القانون الوضعى نظاما للمجتمع فى شئون القضاء والاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم وتحجب الشريعة الاسلامية بكل معطياتها ، ومن ثم فقد فتح القانون الوضعى الباب واسعا أمام الخمر والزنا والربا وحطم الحصانة التى تقيمها الحدود الاسلامية لحماية المجتمع الاسلامى .

وفى مجتمع كهذا تسمع لأفلام هليود ولحلقات الجريمة والجنس فى السينما والتلفزيون والإذاعة والمجلات المصورة أثارها البعيدة فى تكوين الأجيال الجديدة وفى الشاب والطفل والفتاة العذراء على وجه الخصوص فإذا كانت المرأة عاملة تقضى وقتها كله فى العمل نهارا وفى النادى ليلا ، وكان الرجل لا يجد وقتا للبيت فإن الأجيال الجديدة لا تجد إجابة عن تساؤلاتها فى جهود المراقبة إلا من كتب رخيصة تباع على أسوار الحدائق أو عن طريق صحبة الشر وبذلك تفقد الأسرة مهمتها تماما .

وهكذا يتجه المجتمع الاسلامى إلى أن يكون صورة من الاحتواء الغربى على نمط مجتمع الاستهلاك الذى يقوم على تطلع يومى إلى المودات والأزياء والنماذج الجديدة والمتعددة سواء فى الملابس أو الأدوات أو الأفلام مما يدفع الانسان دفعا إلى الاستعباد لهذا التغيير الدائم ، فى سبيل بيع هذه البضائع ، ومن حولها دعاية خطيرة تملأ الصحف وواجهات التلفزيون ، ومن هنا فلا بد من وجود فلسفة تحول دون العقوبات : عقبة الدين وعقبة الأخلاق وعقبة الضوابط ولا بد من هدم هذه العقبات (فلا اقتحم العقبة) ولما كانت هذه المعاملات تقوم على أساس الربا فلا بد من دعم الربا ولا بد من الانتقال

إلى مراحل الترف والرفاهية والإحلال ولابد من قيام مجتمع اللهو والفساد الذى هو أشبه بمخدر وهمى للذين لا يستطيعون أن يحصلوا على المتاع .

كذلك فإن محولة فرض أسلوب العيش الغربى قد زلزل مفهوم أصيلا من مفاهيم الاسلام وهو الارادة الفردية والمسئولية القائمة على الايمان بالحساب والجزاء الأخرى وذلك باستمراء نظرية مدرسة العلوم الاجتماعية التى قدمها دوركايم المفكر الغربى الليرالى الذى يقيم أسس فكره على المفاهيم الماركسية والنظرية المادية فهو ينكر فطرية الانسان وفطرية الدين وفطرية الاسرة ويرى أن القيم والعقائد الروحية والمعنوية التى قدمتها الأديان لقيمة لها وأن الفرد لا قيمة له ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية وإنما يرى أن القيم كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد ولذلك فهو يدعو إلى الاستمارة بالأخلاق ، ويرى أنها ليست من الثوابت وأنها متطورة لأنه لا يؤمن بأصلها الدينى الإلهى ، وهذا كله يستهدف تدمير الضوابط ودفع البشرية إلى التحرر من القيم والحدود التى جاءت بها الأديان فتندفع إلى المطامع والأهواء والفساد فهو يدعو إلى هجران كل أساس إلهى ، بل أخلاق ميتافيزيقى وبذلك يقيم مع نظريات فرويد فى التحليل النفسى وسارتر فى الحرية الفردية فكرة جبرية العلوم الاجتماعية والحتمية التاريخية ، ولا ريب أن حتمية الإنسان من شأنها أن تنفى المسئولية والجزاء .

وهكذا يطرح الفكر الغربى الوافد فى آفاق المجتمع الإسلامى مفهوما خطيرا يعارض الأصالة والفطرة وهما رضى مفهوم الدين الخالص ، قوامه النظرة للمادية الخالصة إلى الإنسان ومحولة إخضاع الإنسان للقوالب العلمية التجريبية التى تخضع لها المادة أو ما تخضع له تجارب الحيوان ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يخضع لمثل هذه المناهج ، والنظريات ، لأنه روح وجسد وعقل لذلك فإنه هناك منهج خاص مستقل لدارسته .

وتمضى هذه النظريات إلى إنكار وجود عاطفة دينية فطرية لدى الإنسان أو أن الإنسان مزود بحد أدنى من الغيرة الجنسية والبر بالوالدين ومحبة الأبناء وغير ذلك من العواطف وكل هذا يرمى إلى هدم العقيدة والأسرة والعلاقات الشرعية بين الرجل والمرأة .

ومن أخطر ما تقول هذه المذاهب الاجتماعية أن الأخلاق ليست قيمة ذاتية ولا هي ثابتة على وضع معين فانما تأخذ صورتها من المجتمع الذى توجد فيه ، وأن المجتمع هو الأصل فى كل الظواهر الاجتماعية وليس الإنسان ، ولا ريب أن طرح هذه المفاهيم واستمرار بثها عن طريق الصحافة والكتابة والإذاعة وتظيمها القصص والمسرحيات والأفلام السينمائية من أخطر المحاولات التى ترمى إلى جعلها مسلمات فى نظر الشباب الغضوفى نظر الذين لم يحصلوا بعد على ثقافة إسلامية كاملة أو أصيلة .

والهدف هو نزع القداسة عن الدين والأخلاق والتشكيك فى قيمها ولهذا أثره الواضح فى المجتمع ، ذلك الأثر الهدام للمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى وهو ما قدمته فلسفات دارون ونيتشة وماركس وسارتر وفرويد ودوركايم وأشارت بروتوكولات صهيون إلى صناعته وضرورة بثه فى آفاق الأيميين وهى حملة على الدين والخلق ودعم لمفاهيم التلمودية فى هدم المجتمعات وإفسادها مصاغة فى أساليب براقة من النظريات وفى اطواء حوار فى للمسرحيات والقصص ، من شأنه أن يثير الشبهات حول حقائق الإسلام الأساسية وتدميرها ومنها فكرة الثبات التى تغلب هذه النظريات عليها ففكرة التطور الدائم . وكذلك هدم فكرة الإرادة الانسانية بتغلب مفهوم القهر الخارجى الذى يقهر الفرد على غير رغبة منه ، وكذلك التفسير المادى ، والاقتصادى والجنسى للإنسان والاستشهاد بعالم الحيوان فى دراسة الإنسان وكل هذا يستهدف المجتمع الإسلامى لتدميره وللقضاء على الأسرة ونظام الزواج

الاسلامى وعلاقات الرجل والمرأة وعلاقات الآباء والأبناء كذلك فإن هذه الحصيلة المسمومة من الفكر الغربى الوافد تدمر الإنسان نفسه وتهدم كرامته بدعوتها إلى الانتخاب الطبيعى وإبادة الضعفاء وتعقيم الفقراء ، وقد عارض الاسلام ذلك كله فى نفس الوقت الذى وضع الانسان فى مكانه الحق ، تكريم الانسان المستخلف فى الأرض والنظر إليه من خلال طبيعته الأصلية الجامعة بين الروح والجسم بوصفه كيانا متكاملا وفى نفس الوقت معارضة استعلاء الانسان وتآليه وعبادته ، ومعارضة وصفه بأنه حيوان تحكمه غرائزه ووضع الانسان فى حجمه الطبيعى وقدره الصحيح فقد الغى الاسلام الوساطة بين الله والانسان وفصل بين الألوهية والبشرية وأنكر سقوط التكاليف الشرعية والضوابط والحدود عن أى إنسان مهما بلغ قدره من الايمان .

ومخالفة مع مفاهيم الرأسمالية الليبرالية الغربية والماركسية الشيوعية الاشتراكية فإن الاسلام يعطى للانسان أهمية كبرى كفرد فى مجتمع ويقرر أن كل فرد فى المجتمع يستحق من الاحترام والطاعة بقدر ما يحمل من المسؤولية ويتخلى به من صفات طيبة كالعقل والعلم والخلق ويؤكد الاسلام حاجة الانسان إلى التقدم المستمر ولذلك فانه يحجر طاقاته الخلاقة جميعا (فكرية وخلقية وعملية) دون أن يسمح لعائق الطبيعة أن يحول بينه وبين التقدم ويجعل تقدمه على أساس مواهبه وقدراته وحدها .

ويقرر الاسلام أن الانسان ثابت الجوهر متغير الصورة وأن الايمان بالله قوة دافعة تعطى الأمل وتحول دون اليأس وتبعث الثقة وتدعو إلى المعاودة فى حالة الاحقاق .

وقد أقام الاسلام حضارته ومجتمعه على أساس التكوين الفردى واعتبره أساس التقدم وقرر أن الرقابة لا تأتى من شخص على شخص ولا من هيئة على هيئة وإنما هى رقابة الانسان لربه .

وفي مجال تحقيق الرغبات الحسية فإن الاسلام يدعو إلى تحقيقها عن الطريق المشروع بالزواج وتحريم الزنا في الاسلام لا ينبعث عن كراهية المجلس بل عن احترام له وتزويجه من انبعث وارتفاع بالمرأة عن أن تكون أداة يلعب بها الرجل ، والخطيئة في الاسلام ليست غولا يطارد الناس ولكنها التجربة التي يستطيع الانسان أن يرجع عنها ويتجه إلى الطريق الصحيح وقد فتح الله باب التوبة والمغفرة بحيث لا ينوء المسلم أبدا بالخطيئة .

وألقى الاسلام الفكرة القديمة التي كانت تقول بأن هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأعلن أن الروح والجسم متكاملان . ولما كان الانسان مستخلفا في الأرض فهو مسئول ومحاسب وقد ربط الاسلام بين العلم والعمل وقرر أن العلم إنما يطلب من أجل العمل به ، وكشف عن أن الطبيعة البشرية قائمة بقدرتين معدتين : قدرة على التحصيل وقدره على الممارسة العملية وقد علم الاسلام الانسان أنه مبنى على المجاهدة والكدح والمكابدة والسعى وأن الحياة معبر إلى الآخرة ، في إطار المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي وأن الإلحاد طارئ على النفس البشرية وليس من طبيعتها ولا هو متأصل فيها وأن هناك مفاتيح عدة للخروج منه أهمها التفكير في خلق السموات والأرض هذا الكون الفسيح الدقيق التركيب في مواقفه وأمره بما ينشئ عن خالق عظيم يديره لحظة بعد لحظة ومن هنا تظهر حاجة الانسان إلى ربه وضرورة ارتباطه به ، ويتبين عجز الانسان عن مواجهة الحياة دون رشد الوحي والدين والتماس رضا الله تبارك وتعالى ودعائه وعفوه .

هذه المعاني كلها التي أحكم الاسلام غرسها في أعماق المسلم تبدو معرضة لخطر شديد إزاء أسلوب العيش الغربي والفلسفة القائمة وراءه ، وهي فلسفة مادية ولا ريب أن الأيدولوجيات الرأسمالية تحاول صهر المسلم في بوتقة غريبة عنه وكذلك تحاول الأيدولوجيات الماركسية بينما يريد الاسلام أن

تكون صناعة الانسان صناعة إسلامية قائمة على التوحيد والرحمة والعدل وإسلام الوجه لله .

ويفرض النظام الرأسمالي على المجتمع نوعا مغايرا من السلوك ، يقوم على أساس الاستمتاع بالمتع المادية والحرية المطلقة في العلاقات بين الجلسين مما أدى إلى تدمير الأسرة واستعلاء الأثرياء وإسرافهم في الترف وحقد المحرومين واندفاعهم إلى الانتقام من الأغنياء ، وانقسام المجتمع إلى شطرين فالنظام الأساسي يبدأ من أنانية الفرد تحت تأثير واقع المجتمع وينتهي إلى الصراع وضياح المجتمع ككل .

وفي النظام الماركسي يذهب المجتمع إلى سحق الفرد سحقا كاملا ، ويراه أشبه بترس في آلة ، وفي النظام الماركسي المعبود هو المال أو الاقتصاد فالمال هو الخالق والمخلق والإنسان في تفكيره وسلوكه تابع للمال ولا يخرج عن تأثيره ومنه تتغلب المنفعة المادية في التعامل والترابط والتوجيه .

أما في نظام الاسلام فإن المجتمع الاسلامي يقوم على التوحيد والوحدة والتكامل والتضامن ، حيث يعلى من شأن القيم المعنوية دون أن ينسى المعطيات المادية وحيث يحفظ للفرد ذاته فانه يدفعه إلى العطاء الاجماعي الوافر فينقله حينئذ من الفردي إلى الجماعية ومن الأنانية إلى الغيرية .

وقد كان من نتائج خضوع المجتمع الاسلامي لأسلوب العيش الغربي أن دخل مرحلة خطيرة من الضعف والتأزم فظهرت عوامل الازدراء بكياننا المعنوي ، الروحي والديني وفقدان الثقة بالنفس والتقمص لشخصية الأجنبي وظهور الميوعة والتراخي والانتكالية وعدم القدرة على التضحية والنفاق والرياء وتعاطي الخور والقمار والزنا والمبالغة وتزوير الحقيقة وعدم تقدير قيمة الوقت

واحتقار العمل اليدوى وعدم تحمل المسؤولية والتعصب للون والجنس والاستخفاف بحياة الانسان والغش فى المعاملة وشهادة الزور .

هذا هو الخطر الذى يواجه المجتمع الاسلامى فى نهاية القرن الرابع عشر الهجرى ومطالع القرن الخامس عشر ، وهو خطر يخشى منه استمرار أزمة الأمة الاسلامية فى عدم قدرتها على التخلص من النفوذ الاجنبى ومن الغزو الاستعمارى الصهيونى الماركسى وهو أمر يتطلب مزيدا من اليقظة والوعى والعمل على التحرر منه وكسر قيوده .

ومن عجب أن مستشرقاً مثل لويس ماسليون قد دعا المسلمين والعرب إلى هذه المقاومة حين قال : من حق العرب أن يقاثلوا أمام هذه الدعاية المذلة التى تقترح عليهم التنازل عن شرفهم وتراثهم والاستسلام أمام القوة الغربية وروس الأموال المصرفية التى تطلب إليهم الانسجام فى طريق عملهم مع هذه الحضارة الكاذبة: حضارة الإنسان الآلى التى لم تعد تؤمن بنفسها أو بالذات الالهية وتصبو إلى إخضاع العالم إلى نظامية ثقافية غريبة بلهاء ، إن هذا الانتاج الصناعى المغشوش سيسقط سريعا وشيكاً ، فليصمد العرب فالعالم فى حاجة إليهم .

نعم : نحن محتاجون فى مواجهة هذه التحديات إلى المحافظة على الشخصية الاسلامية وصياغتها على النحو الذى رسمه الاسلام وقدمه القرآن والسنة الصحيحة وقوامه تحرير هذه الشخصية من التبعية والتقليد واحتفاظها بالتميز الواضح والقدرة على مقاومة فرض العادات والتقاليد الوافدة من الثقافات والبيئات المختلفة وقد أعلن الاسلام حرباً لا هوادة فيها على تقليد المسلمين لغيرهم وأعلن أن من تشبه بقوم فهو منهم ، وفى هذا التهديد ما فيه ، ولقد قامت تعاليم الاسلام منذ أول يوم على أشد الحرص على تمييز الشخصية الاسلامية عن غيرها مما كان مدعاة لهشة أعدائه حتى راح اليهود يقولون فى عصر النبى

(ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) .

وقد كان من الضروري أن يبقى هذا التحفظ ، ولقد حرص المسلمون على بقاءه ولكنه سقط اليوم نتيجة نصح الضالين المضلين الذين تصدروا ثقافة هذه الأمة وحملوا لواء التغريب والتبعية تحت اسم التجديد والتحضر ولذلك فإن دعوتنا هي التحذير من التشبه بداء الأمم « التبعية » ، حتى يظل المسلمون كالشامة البيضاء في المجتمع العالمي الذاهر بفنون الأديان والعادات ولا ريب أنه من أشد أنواع التضليل الدعوى بقبول الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها ، وعلى المسلمين أن يقبلوا الأساليب والأطر والنماذج التطبيقية الحديثة والأدوات ولكن عليهم أن يملأوها بفكرهم ومفاهيمهم .

ولقد كان حقاً علينا إذا كنا نسير على خطا محمد ونلتزم بتعاليم الإسلام أن نحافظ على ذلك التميز العميق وبين المسلمين وبين الناس ، إيماناً بأننا أمة شاهدة على العالمين حفيظه على أمانة الله ورسالته بين البشر لسنا تابعين ولسنا مبتدعين فالثقالة العامة لا يجوز أن تتبع من منابع غير إسلامية فالأزياء والزيارات وأمور العلاقات بين الرجال والنساء وبين الآباء والأبناء وكل ما يتصل بحقوق الجوار لا بد من تجرى وجهة الإسلام الصحيحة فيها والتمسك بها في قوة والاعتصام بالعزائم منها لا بالرخص ورفض كل مجلوب ومستورد في هذا المجال ومن ليس نابعا من الدين الحق ومن التقاليد الأصيلة ولا بد أن يكون لنا واقع متميز قائم على منهج أصيل له مصدر رباني والتزام أخلاقي . ولا يد من بناء الأجيال الجديدة على أساس التربية الإسلامية الجامعة بين الروح والأخلاق والجسم من أجل دعم الأسرة وتأكيد ذاتية الشخصية الإسلامية وبناء روح الأخلاق والعقيدة وسلامة السلوك الاجتماعي ولا بد أن تكون لنا مفاهيم أصيلة في شأن المرأة والأسرة والعادات والملابس والزينة ، تقوم على أساس الاستمسك بعفاف المرأة والبكارة والفصل بين مجتمعات الرجال ومجتمعات النساء ، ولا بد أن يبدأ الإصلاح من نقطة الواقع الحي الموجود بتغيير الأعراف الدخيلة الوافدة والتماس الأعراف الفطرية الأصيلة التي تستمد وجودها من الوازع الداخلي

القوى العازل بين الحق والباطل والخير والشر والفضيلة والرذيلة ومسئولية الكتاب وأصحاب الأقلام كبيرة فليس على الكتاب أن يعكس قيم عصره فيكون مبرراً للواقع الفاسد والمضطرب وإنما عليه أن يحرق عصره من القيم الضالة وأن يهدي قومه بأمانة القلم التي استأمنه الله تبارك وتعالى عليها إلى الحق والخير وأن يعارض كل ما يدعو إلى إفساد الفطرة بالخر أو الربا والزنا ولا بد أن يكون هناك إيمان لا يتزلزل بأنه إذا خير المسلمون بين معطيات الحضارة وبين فقدان الذاتية أن يفضلوا سلامة ذاتيتهم وتأكيدها ونقاؤها ولو ضحوا في سبيل ذلك بمعطيات الحضارة وأنه لمن أشد أنواع الخطر للبشرية أن تعود بعد أربعة عشر قرناً من ضياء الإسلام الذي جاء للعالمين جميعاً أن تعود بالإنسان إلى الرق وأن يعود البشر إلى الوثنية وأن يعود الفكر إلى الجبر وأن تنحرف الفطرة إلى إعلاء الجنس والطعام ونفقد الأصالة المستمدة من العبودية لله تبارك وتعالى وتحكيم كتابه والوقوف عند حدوده وضوابطه التي رسمتها للمجتمعات، وحتى لا تندحر البشرية بعودتها إلى فساد النظرة بقبواها الجبرية الاقتصادية أو الحتمية التاريخية وكلاهما باطل يستهدف إلغاء الإرادة الإنسانية وتحميل المجتمعات فساد الأفراد بينما يقرر الاجتماع الإسلامي الأصل مسؤولية الفرد الذي يأتي يوم القيامة دون أحد من أهله أو جاره أو يقبل منه غير عمله الفردي الخاص في مواجهة أمواج المجتمع ولا ريب في فساد نظرية تغليب فكرة الجبر على حرية الإرادة أو سقوط الفرائض والحدود عن أحد من البشر، فإن ذلك ضلال كاذب يحاول أن يلغى المسؤولية الفردية والجزاء الأخرى .

وبالجملة فإن أخطر ما يطرح أسلوب العيش العربي في المجتمع الإسلامي: فكرة (عبادة الحياة) ولقد استشرى هذا الخطر بين المسلمين نتيجة للمفاهيم الماركسية والمادية التي تدوولت في العصر الأخير، وهي من أخطر

محاولات الخروج عن الاطار الاسلامى ، فالمسلمون لا يؤمنون بانكساب الناس على الحياة وليس من مفهومهم هذا الاندفاع إلى هذه الغاية ، بل هم يقبلون على الحياة ويتداولونها دون أن تحرم عليهم زينتها على أن تكون العملية كلها فى إطار الايمان باقامة المجتمع الربانى وإعلاء شأن الغيرية والبذل .

ولا شك أنه لا عذر للمسلمين فى تبرير أوضاعهم المتردية بالقول بأن العصر أو التطور أو أى عامل من عوامل البيئة والزمن أو اقتراب المسافات كل هذا لا يكون مقبولا لأن يخضعوا لآثامه وفساده واضطرابه وليس على الإسلام أن يكون مبرراً لأوضاعهم ولو على سبيل الرخص الذى يحاوله بعض المترخصين الفتيابها ، ولا بد من أن يخضع المجتمع الإسلامى لحكم الله وحدوده ، وعلى المسلمين أن يشككوا أنفسهم فى هذا الاطار وأن يتخلصوا من كثير من الأساليب والوسائل والرغبات المذلة التى تخرجهم عن حدود الله ، ذلك أن قوانين الإسلام تفسح للمسلم عشرات الميادين فى الاستمتاع فى مجال الطعام والعلاقات بين الرجل والمرأة دون الخروج عن حدوده وضوابطه التى هى أساس من أسس حماية الشخصية الفردية وحماية المجتمع نفسه من الانهيار والحيولة دون عدوان أحد على حرية الآخر ، وليس فى استطاعة المسلمين التطلع إلى التمكن فى الأرض والسيادة وإقامة كيانهم إلا بالتماس منهمجهم الأصل ، ولا ريب أن أعظم روابط المجتمع ، هو التماثل العقى والروحي والغاية واحدة ولن يتحقق ذلك بالتماس عقيدة الإسلام كاملة وتطبيق شريعته تطبيقاً حاسماً فإن ذلك وحده هو الذى يقيم الرابطة الوجدانية والعقلية والاجتماعية التى يشترك فيها أفراد الأمة جميعاً والتى تستقيم بها وجودهم ، هذا التماثل فى الأخلاق والعقائد والعادات هو هدف من أهداف الغزو الفكرى الاجتماعى الغربى لأنه يحقق الاستجابة الواحدة للأحداث والمواقف وهذه الرابطة هى أشد وثوقاً من رابطة اللغة أو رابطة العصبية والجنس

ولا ريب أن هذا التماثل هو تماثل في العموميات وفي الآفاق الأكبر الجامع للطلبات العامة وليس في الفروع والتفصيلات .

ولا بد من أجل تحقيق ذلك .

(أولا) أن نكشف عن الفوارق بين الأخلاق التي هي من أصل الدين الحق وبين التقاليد والعادات التي هي من صنع المجتمعات فإذا ما عزلنا عن جوهر ديننا تلك البدع والخرافات التي تضاف إليه كذباً وزوراً فانتنا نكون قد قطعنا الطريق على التزييف والاضافة والحذف .

(ثانيا) أن نحقق التمييز الواضح بين شخصية الرجل وشخصية المرأة والحيلولة دون إمتزاجهما أو تحول إحداهما إلى الأخرى وعلى المرأة المسلمة أن تعرف ما هي الصفات الأصيلة التي تمثل رجولة الرجل والتي يكون بها الرجل أهلاً للاقتران بها وكسب ثقتها وليس من بين هذه الأشياء أن يكون مائعاً أو رخواً أو من أهل الانحلال .

البَابُ الثَّانِي

التَّحْدِيَّاتُ فِي وَجْهِ الْمَرْأَةِ

القضية الأولى

التحديات في وجه المرأة المسلمة

لا ريب كان من أخطر التحديات في وجه المرأة المسلمة تلك الدعوى التي استعملت باسم تحرير المرأة في أوائل هذا القرن الميلادي والتي حمل لوائها كثيرون غرر بهم وظنوا أنهم يستهدفون حقاً ضائعا بينما كانت حركة تحرير المرأة كلها من أولها لآخرها جزءاً من مخطط الاحتواء الغربي والغزو الثقافي والاجتماعي الذي يستهدف إخراج المرأة من رسالتها وقيمها ودفعها إلى أمواج المحيط العاتية ، ذلك أن الاسلام في الحقيقة هو الذي وضع ركائز تحرير المرأة الأصلية ، أما هذه المحاولة فقد استهدفت الأسرة والأخلاق والقيم والعرض الاسلامي بإحداث ثغرات وخلق عقلية جديدة تفكر في إطار المفهوم الغربي العارى من أساليب العفة والقيم والحصانة وقد تصاعدت هذه الموجة حتى خلقت مفاهيم خاطئة أشبه بالمسلمات أدارت رأس المرأة وأفسدت العلاقات الطبيعية والفطرية بين الرجل والمرأة والزواج والزوجة والآباء والأبناء في عشرات المواضع فعدت هذه الحياة الاجتماعية متحللة ومضطربة وبعيدة كل البعد عن المفهوم الاسلامي الأصيل والحقيقة أن الجماعة لم يكونوا مخلصين لهذه الأمة أو صادقين في التماس هدف أصيل .

وقد كان لهذا الانحراف الذي تم تحت أضواء الحضارة وبريق الحرية وصيحات التكريم الباطل للمرأة أثره البعيد في تلك النتائج الخطيرة التي يواجهها المجتمع الاسلامي من آثار بعيدة المدى في شأن الزواج الزائف والطلاق والجريمة والاختلاط وآثاره الخطيرة ، وقد جرى هذا كله في الوقت الذي فرض النفوذ الأجنبي على بلاد المسلمين قوانين جنائية واجتماعية تبجح

الزنا والفساد وتحمي أساليبه وما تبع ذلك من فساد في الرى والزينة وتطلل كان من شأنه وقوع تلك الأحداث العاتية والجرائم الخطيرة .

وقد جاءت تحديات المجتمعات المفتوحة ، التي نقلت مئات من المهاجرين الأثرياء إلى بلاد أخرى للزواج والتعامل التجارى وإقامة العلاقات الاجتماعية عاملا خطيرا فى مزيد من إفساد العلاقات وبروز ظاهرة البغاء الخفى ، وكذلك كانت حرية خروج الفتيات للعمل فى بلدان أخرى من العوامل الخطيرة لتعميق هذه الظاهرة الخطيرة فحين تشير الصحف (الأخبار ١١/١٠/١٩٧٢) إلى أن ٤٢٧٥ عقد زواج مصريات بأجانب تم فى تسعة شهور عن طريق الزواج بالتوكيل وقد تبين أن أغلب هذه الزيجات فاسدة ومصيرها الفشل والطلاق والسبب هو أن العروس تقبل الزواج من شخص لم تره أو تقدم لها معلومات خلاف الواقع وبعد أن تقبل الزواج وتسافر إلى زوجها هناك تصدمها الحقيقة .

ومهما تجرى الحيلة فى مثل هذه الأمور فإن العلاج لا يشمل الظاهرة من أساسها الاجتماعى كذلك فإنه لا يحول دون الوقوع فى أيدي العصابات التي تتجر فى الرقيق الأبيض على النحو الذى صورته الصحف (٧٢ / ٥ / ٣) فى الاستعانة بسيدات لاستدراج الفاجرات من دور السينما إلى المقابر والاعتداء عليهن ، كذلك فإنه فى عامين اثنتين كما يقول الأهرام ١٩٧٢/٨/١٢ تضاعف نسبة عقود الزواج التي تعطى للمرأة عصمتها فى يدها من ٢ فى المائة من مجموع الزيجات إلى ٥ فى المائة دفعة واحدة فاهى الأسباب التي جعلت أكثر من ١١ ألف زوجة تصر على الحصول على ورقة بحوار عقد الزواج تعطىها حق تطليق نفسها ، ويقول الباحثون الاجتماعيون أن إنهاء الرابطة الزوجية عن طريق المرأة لا يظهر إلا عندما تخلو الزيجة من شرط الكفاءة بين الطرفين كأن تكون المرأة من وسط اجتماعى أعلى من وسط زوجها أو تكون من الناحية

الاقتصادية أكثر مالا من زوجها أو من ناحية التعليم ، كذلك تشير الظاهرة أن الزوجات اللاتي يحتفظن بحق العصمة في أيديهن أصبحن من كل الفئات والطبقات وظاهرة رابعة تلك إغراء الفتيات على السفر للعمل في الخارج ثم تجرى محاولة الضغط والإرهاب لإرغامهن على الخطأ (الأهرام ١٢/٧/١٩٧٢) كل هذا وظواهر أخرى أشد سوءاً تكشف بوضوح ذلك خروج المجتمع الواضح عن الأسلوب الأصيل والطريق الصحيح إلى أساليب وافدة ، والتحرك من خلال المطاعم والأهواء ، والرغبة في الحصول على أكبر قدر من المال أو المتعة على غير النهج الصحيح الذى سنه الإسلام للجماعة أن تأخذ به ومصدر هذا كله هو خروج المرأة عن مكانها الحقيقي وحجمها الطبيعي ، مما يوجه إليها اللطمات ويصدمها في كل حين ولو أنها استمسكت بكرامة الاسلام في التعامل لما تعرضت لهذا الهوان .

(٢) وفي المجال الأوسع وهو مجال عمل المرأة ، تواجه المرأة عشرات التحديات والأزمات والمشاكل فقد عرضها إلى أن تفسد بيتها وتفسد زيتها وتفسد أسلوب تعاملها مع الرجل وعرضها لمخاطر كثيرة ولو أن المرأة لم تأخذ بتلك المسلمات الكاذبة التي ظلت محاولات الدسائير دعاة تحرير المرأة تبثها سنوات وسنوات حتى صدقها الكثيرون ثم كشفت التجربة عن الارتطام بالحقائق فما يزال عمل المرأة في حقيقة على حساب الأميرة والطفولة والبيت ، ذلك أن هذا الوقت الذى تقضيه المرأة في المكتب أو المصنع أو المتجر لا يحقق من الأثر كفاء ما يفقده البيت والأسرة والطفل ، فضلا عن أن ما تحصل عليه من دخل مادي لا ينفق في خدمة الأسرة ، بل في سبيل تغطية مطالب يتعلق باللبس والمواصلات ، ولا يوازى في مجموعه تلك الخسارة التي يفقدها الأبناء في حضانة الممرضات والحاضنات فقد أقدم ما تعطى الأم ولا يعطى غيرها بديلا منه العاطفة وابن الأم والوجدان ولقد خرجت المرأة المسلمة إلى العمل

في العقود الأخيرة بسعد أن تفهم حقيقة مهمتها في الحياة الاجتماعية أو طبيعة تركيبها البيولوجي أو دورها في الأمة ذلك أن هذا كله لم تتعلمه مع الأسف لأن مناهج التعليم لا تقدم للفتاة ما يدلها على الطريق الصحيح أو يهديها إلى الحق .

وهكذا نجد أن المحاولة التي قام بها النسائيون دعاء تحرير المرأة في العصر الحديث لم تكن في الحقيقة إلا ضدهذه الأمة وضد قيامها وضد رصيدها المعنوي والمادي جميعها وعلى حساب الأسرة المسلمة وحساب المرأة نفسها فإنها محاولة مسمومة مضللة ، حاولت أن تقدم مجموعة خاطئة من المسلمات ثم مضت تركز هذه المفاهيم خلال تلك السنوات الطويلة من قنوات الصحافة والاذاعة والسينما والمسرح والقصة ، وهي في مجموعها ترمي إلى خلق عقليه مضللة للمرأة تصورها بصورة القادرة على الحياة في المجتمع ، خارج نطاق الزوجية والأسرة والأمومة من حيث هي قادرة ماديا على أن تجد موردها الذي تعيش به وأن هذا القدر يعطيها الحق في أن تختار الطريق الذي ترضاه في الحياة الاجتماعية وبما تخرج به عن الضوابط والحدود والاعراف التي رسمها الدين .

كذلك فإن اختبار موانع الحمل والاجهاض كانت عاملا هاما في فتح الطريق أمامها إلى كل الرغبات والأهواء التي ساقها إليها الرجل ، ومن ثم أصبحت الفتاة قبل الزواج أو بعده قادرة على ممارسة كل رغباتها في ظل موانع طبية مقررة تعيد دم البسكرة الأحمر إلى مكانه أو تحول دون وقوع الحمل .

إن الخطأ كله جاء من الذين يتآمرون على المرأة عن طريق تملكها بالقول بأنها مساوية للرجل وبأنها مستقلة عن الرجل وأنها تصلح لأعمال الرجل والقول بأنها مهمة البيت هي مهمة الخادmates وكيف يستخرون ويهونون من مفهوم الأسرة والأمومة والزوجية ويستخرون منه .

إن محاولة تحرير المرأة كانت سبباً ضد النهر ومعارضة للفطرة ، أنه بمثابة انحراف للمرأة عن أداء رسالتها ومعوق لعملها الطبيعي الذي يتفق مع طبيعتها وتكوينها وهو خيانة كبرى : على الحياة الزوجية والبيت والأطفال والأسرة وقد تعرض المرأة للتمرد على رسالتها ومسئوليتها .

أن المفاهيم التي طرحتها حركة تحرير المرأة بالإضافة إلى ما قدمته مفاهيم الاستشراق والتبشير والتغريب كانت جميعها في حاجة إلى مراجعة وكانت مختلفة مع الفطرة ومقررات العلم الحديث فقد أثبتت هذه المباحث والتحقيقات أشياء كثيرة جديدة بالنظر :

أولاً : ليس الذكر كالأنثى :

أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء : في الصورة والسمة والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر البروتينية لخلاياه النسيجية ومع بلوغها سن الشباب يعروها الحيض الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها وتدل مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها في مدة حيضها . تقل في جسمها قوة الحرارة فتتخفض حرارتها ، ويبطئ النبض وينقص ضغط الدم وتقل عدد خلاياه وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللعفاوية بالتغير ويختل الهضم وتضعف قوة التنفس ويتبدل الحس وتتكاثر الأعضاء وتتخلف الفطنة وقوة تركيز الفكر .

وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل ، حيث لا تستطيع المرأة خلال الحمل أن تتحمل مشقة الجهد البدني أو العقلي ما تتحمله في عامة الأحوال مما يختل به نظام جسمها كله ويستغرق بضعة أسابيع وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل وتعود قوة عملها نصف في علة الأحوال .

ويرجع إختلاف المرأة عن الرجل إلى عوامل ثلاثة :

(أولاً) إن خصائص الأنوثة ومواهبها كقانون الزوجية والجمومة
وذكاة العاطفة ليست أسباباً للتكسب .

(ثانياً) أن حظها من العقل الذي لم تبلغ به مبلغ الرجل ، فصل على قدر
ما تفهم به نفسها وواجبها ومكان وظائفها في الحياة .

(ثالثاً) ما يطرأ على قواها البدنية والنفسية والفكرية من ضعف بسبب
عوارض الحيض والحمل والولادة .

ويتسع هذا المجال لقول واسع مضطرد فما من عمل زاولته المرأة من غير
وظائفها الأصلية في البيت وخارجه إلا وكان الرجل متفوقاً عليه فيه ،
وخاصة وفي أمرين من أهم الأمور التي تتميز بهما المرأة : إعداد الطعام
وصناعة التطريز .

هذا الاختلاف بين الرجل والمرأة ، وهذه التفرقة بين الرجولة والأنوثة
التي قررها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً نجد بعض الباحثين في علوم
البيولوجيا يلتفت إليها الآن فيقول الدكتور الكسي كاريل : أن الاختلافات
بين المرأة والرجل ليست في الشكل الخاص للأعضاء التناسلية وفي وجود
الرحم والحمل بل هي ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ، إن الاختلافات بينهما
تتأصل من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة
يفرزها المبيض وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة
إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً وأن يمنحاً سلطات
واحدة ومسؤوليات متشابهة والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن
الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والأمر صحيح
بالنسبة لأعضائها ولجهازها العصبي أيضاً ، والنساء وحدهن من الثدييات هن
اللاتي يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين ، كما أن النساء اللاتي لم يحملن

لنسن ميزات توازنا كاملا كالوالدات فالأمومة لازمة لا كتهال نمو المرأة ولقد دعا الإسلام منذ ظهوره إلى تأكيـد رجولة الرجل وأنوثة المرأة وخطر الخلط بينهما ويقول الكس كاريل يجب أن يحدد الانسان مرة أخرى فيكون كل فرد إما ذكراً أو إماً أنثى فلا يتمص مطلقا صفات الجنس الآخر العقلية وميوله الجنسي وطموحه الذاتي .

قال القرآن منذ أربعة عشر قرناً (وليس الذكر كالأنثى) وقرر أن المرأة لها تكوين دقيق خاص (أو من ينشئ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) .

ويقرر كاريل أن دور المرأة في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجل فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة .

ومع هذا الاختلاف في « وظيفة المرأة » فإنه لا ينقصها شيئاً في نظر الاسلام من مساوتها في الحقوق العامة باستثناء قيادتها للدولة ، والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ولكن في إطار الضوابط الإسلامية التي تحول أن تصبح المرأة سلعة في الأسواق التجارية والسياسة والتي تحول دون أن تصبح مجالات العمل معارض للآزياه وتجارة لأشياء نلـس آثارها في أكثر البلاد .

يقول الأستاذ سالم بهنساوي : كانت قصة الحقوق العامة للمرأة وسيلة صهيونية لإفساد أوروبا ومنها امتدت العدوى إلى العرب ، لقد بدأ التخطيط لها بعد الحروب الصليبية وظهرت بوادرها منذ ضعفـت الخلافة العثمانية . المعركة بدأت إبـان احتلال الغرب للبلاد العربية من سـموا أنفسهم (أنصار المرأة) يجـاهرون بأنهم يريدون التحرر من القيم الدينية وأنهم يسعون لتقليد الغرب في كل شيء .

ما زال التخطيط. ساريا في هدوء لاستخدام المرأة كسلاح فعال في هدم القيم الدينية وصبغ الأمة بالصبغة اللادينية تمهيدا للسيطرة الصهيونية وغيرها من الأهداف الاستعمارية وقد وجد الغرب أدواته في تعميق الاتجاهات اليسارية والمادية لتخدم تهيئة البيئة الإسلامية في شكلها العلاني اللاديني ، وقد اتفقت الخطط للتعاون ضد روح الإسلام والتصارع من أجل تأكيد نفوذهم في بلاد الإسلام .

قال مورويبرجر في محاضرة في جامعة برنستون : أن نمو وضع النساء ومشاركتهن في الشؤون العامة هو أخطر قوى التغيير لا في الأسرة العربية وحدها بل في المجتمع العربي على العموم فإنه سمح للقوى التي حملت سلاحها الآن أن تبرز امكانياتها فما من شك أن مظامع النساء وحقوقهن سوف تحول المجتمع العربي تحويلا عميقا وبصورة أبدية .

وهكذا تنكشف أهداف النفوذ الغربي (استعماري ماركسي صهيوني) من خلال المؤامرة على المرأة المسلمة .

ثانيا : الأمومة

إن حضانة الأم لطفاتها عمل ضخم بعيد المدى في تكوين الطفل لا يمكن أن يسديه أى عمل آخر تقوم به المرأة أو يعوضه أى بديل آخر كالحاضنات أو الخادعات .

يقول الدكتور الكس كاريل في كتابه (الانسان ذلك المجهول) :

لقد ارتكب المجتمع العصري غلطة عظيمة باستبداله تدريب المرأة بالدراسة استبدالا تاما ولهذا ترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأعمالهن أو مظامعهن الاجتماعية أو مبادئهن أو هوايتهن الأدبية أو الفنية

أو اذتياد دور السينما وهكذا يضيءن أوقاتهن في الكسل . إنهم مسئولات عن إختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهم أموراً كثيرة لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفي طبقاً للتراب الموجودة في محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلاً من الأطفال الذين في مثل سنه .

ويقول الدكتور دين دنيس عالم النفس الأمريكي : أن ذكاء الطفل ينمو وقدرته على الكلام تقوى إذا نشأ بين أبويه ولم يترك للحاضن أو رياضة الأطفال أو المريات الأجانب) .

وكل هذا يكشف عن أهمية بقاء الأم في البيت لأداء واجبها نحو أسرتها وأن الأمومة هي مهمة المرأة الأساسية في نظر الاسلام : رسالتها بالنسبة لزوجها وبيتها وطفلها وأن هذه المهمة الدقيقة الخطيرة تتطلب تفرغ المرأة تفرغاً تاماً لها .

وقد سجل القرآن الكريم هذه المهمة في وضوح :
(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة) .

ولقد كان خليقاً بالمرأة في المجتمع الاسلامي العميق الجذور برسالة الاسلام أن محاولة إخراج المرأة عن رسالة الأمومة إنما يهدف لتدمير كرامتها وضرب الأسرة والطفولة في أعز تعاملها وإن تمرد اليوم على أداء رسالتها التي فطرها الله عليها بالعمل بما لا يتناسب مع طبيعتها وتكوينها تحت أضواء خادعة وزخارف كاذبة تتمثل في السهرات الضاحكة واقتحام مجتمعات الرجال وما يتعرض له من إغراء وغواية وخداع وغش يحطم عفافها ويقضى على كرامتها ، هذا

التمر قد تبين من الأحداث أنه عرض على السيدات أن لا يودعن إلى الاستقوار
والثكنة أو الطائفة النفسية التي تتطاع إليها المرأة وأن مسائل الزينة الفاضحة
والملايس الكاشفة وهذا الزكام من الزخارف المطروحة أمامها والتي تأكل
موارد البيت أو موارد الخاصة ما هو إلا انحراف حقيق عن الفطرة وأنه
طريق إلى أسلوب بعيد عن الكرامة التي يقدمها الاسلام للمرأة وأنه باب إلى
التحلل الخلقي الجامع العنيف الذي يتجن به الشباب المراهق، تعينه على ذلك
القصة المكشوفة والصور العارية وما تقدم الصحف والكتب من نماذج
الفساد تحت إسم الحضارة والتمدن وخاصة بعد أن حطمت المرأة آخر
القيود والضوابط. بأن سارت عارية الصدر والساقين والزراعين تحت أسماء
المنى جب والميكرو جب .

وقد نعى كثيرون على المجتمع الاسلامي هذا الخضوع للموجة الغربية
الضالة : فنقول السيدة الغربية مريم جميلة التي أسلمت أنها تنعى على دعاة تحرير
المرأة المسلمين فهمم الخاطيء لمعنى التحرر على أنه الإباحية المطلقة للنساء في
الاختلاط بالرجال حيث شئن وإينما ذهبن بدون قيد أو شرط وفي اختيار
الأزياء غير المحتشمة وفي توظيفهن خارج البيوت وفي الأسواق والمسارح
ودور السينما وفي مساهمتهم في الحياة العامة مهما تمزقت أواصر الأسرة
وانتهكت حرمت العفة والاباء .

وتقول هذا في ضوء التجربة المثيرة التي مرت وتمر بها المجتمعات الأوربية
والأمريكية والغربية المتحررة وتدعو باخلاص بعد اعتناقها الاسلام ومعرفتها
أحكامه وآدابه إلى أن يعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين الذي
جاءت أحكامه وآدابه صائنة لحرمتهم راعية لكرامتهم محافظة على عفافهن
وحياتهن من الاتهاك وضياع الأسرة .

فمكل ما يقال عن أن المراقب لها مهمة أخرى غير الأمومة مطلقون

وهم غاشون لها والمجتمع كله وتلك حقيقة كشفت عنها تجارب الباحثين لتؤكد صدق القرآن الكريم وإعجازه . وقد أكد البحث الاجتماعي الذي قامت به سهام محمود العراقي في رسالة ماجستير في جامعة طنطا أن عمل المرأة أدى إلى انخفاض المستوى الأخلاقي للابناء وأنه لا توجد مطلقاً علاقة بين المستوى الاقتصادي والمستوى الأخلاقي للأسرة وأشارت إلى أن المناهج المطبقة حالياً لتدريس التربية الخلقية والدينية قاصرة عن تحقيق الهدف الذي يتيح للشباب أو الفتاة اكتساب السلوك الحميد وربط الدين بالحياة وخلصت إلى أن خروج المرأة إلى ميدان العمل أدى إلى انخفاض المستوى الأخلاقي للأولاد .

ثالثاً : ثبات طبيعة المرأة وقوامة الرجل :

ومن الحقائق التي أخفاها دعاة تدمير المرأة والأسرة عن الناس : حقيقة ثبات طبيعة المرأة ثباتاً ، تاماً خلال العصور وأن العصر الحديث لم يكن فيه من المتغيرات الاجتماعية والحضارية ما يحطم شيئاً من مهمة المرأة أو رسالتها أو طبيعة حياتها ويذهب هؤلاء المبطلون ، إلى أن حرية المرأة وعملها في العصر الحديث من شأنه إن يحطم قوامه الرجل كما يذهب إلى ذلك الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه تجديد الفكر العربي ويقول الأستاذ محمد فايد هيكل في هذا الشأن : هل التطور العصري الذي يتحدث عنه زكي نجيب محمود هل شمل خصائص بنية المرأة وتكوينها الجسدي والنفسي وهما مرتبطان ومهما يكن من تأثير الثقافة والتطور الحضاري فلا يرى أن هذا التأثير يمتد إلى طبيعة تكوين المرأة وقوانين إفراز غددها فتعود هي والرجل سواء لاحقاً له في القوامة عليها .

ألا ما أبدع إشارة القرآن الكريم إلى آية من آيات الخلق الكبرى وهي التفريق بين الذكر والأنثى حيث بين أن من أعظم دلائل قدرة الله أنه خلق الزوجين : الذكر والأنثى .

وهل مجرد مشاركة المرأة في العمل مع الرجل مؤدية إلى إلغاء الفروق الطبيعية أو الجنسية وما يترتب عليها من اختلافات الحقوق والواجبات الاجتماعية . هذه الفروق أبدية ، أما القوانين والنظم فاعراض متغيرة . أن الدراسات النفسية الحديثة لتثبت بالتجربة اختلاف الأنماط والاستجابات السلوكية في الذكور عنها في الإناث إزاء المشكلات . فنذ المراحل الأولى للنمو يتميز الفتيات بانهن أميل إلى التقليد والتبعية ، أما الصبيان فيصطنعون سمة الاستقلال التي تناسب معهم ، وهذه التجارب إنما أجريت على فتيات وصبيان من أبناء الحضارة الغربية فكيف يقال أن الأوان قد آن لتلغى قوامة الرجل على المرأة إن لم يكن هذا مجرد انفعال لا صلة له بالعلم ولا بالتجريب .

ها هو العلم لا يزال يبحث عن الفوارق بين الجنسين ولكن البديهة الإنسانية قد انتهت إلى وجه الصواب منذ أعماق التاريخ .

الفصل الثاني

عطاء الاسلام وعطاء الحضارة

إن المفاهيم التي قدمها كتاب التغريب (سلامه موسى ، طه حسين) كانت كلها زائفة ومخالفة للحقيقة والفطرة والعلم ، الإسلام ، كانت إتهاماً بالمرأة والأسرة والمجتمع كله في سبيل إخراج المرأة من رسالتها وأمانتها وشارك في هذا الشعراء (نزار قباني . . .) الذين حطوا من كرامتها عندما جردوها من ملابسها وألقوها عارية على السرير تحت الضوء وجعلوها أداة متعة . حتى وصفه أحدهم بأنه تعبير الرجولة وتشويه للجمال ودليل عقدة نفسية . لقد كان التصوير للمرأة مشوها وضالاً ومثيراً للغرائز ودعوة إلى شر كثير وذلك في إطار ما يسمى بأدب الفراش وكانت قصص القصصين هي ثلاثة الانثى (إحسان عبد القدوس ، نجيب محفوظ . أمين يوسف غراب . . الخ)

لقد حاولت هذه الكتابات (نثر وشعر وقصة) أن تحرف الواقع وأن تزيف الفطرة وأن تغالط في الحقائق الأصلية الثابتة .

ذلك أن أكرم ما أعطى الإسلام المرأة أن يكون اتصالها بالرجل كريماً في إطار علاقة زوجية ، أى في علاقة قد شهد أمرها بإعلان الزواج ، وقد حرم العلاقة السرية التي تمتن فيها المرأة فأباح تعدد الزوجات حتى يحمل فيها الرجل مسؤوليته نحو زوجته وولده مسؤولية علنية كاملة ، ومن ذلك الإبقاء على كرامة الإسلام للمرأة كإنسان إن طلب إلى الرجل الزوج أن يقدم لها مهراً وهو منحة وهدية كي يعبر عن طلبه إياها ورغبته في الزواج بها .

كذلك فالاسلام يعمل على الإبقاء على أنوثة المرأة وحنانها وعاطفتها

كما يبقى على رجولة الرجل وإرادته ويحول دون أن تتحول المرأة إلى رجل أو يتحول الرجل إلى امرأة وحرمة الإسلام على المرأة أن تكشف عن بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخلط سواها وحب إليها الصلاة في نيتها واعتبر النظرة سهماً من سهام إبليس وأنكر عليها وأن تحمل قوساً تشبهاً في ذلك بالرجل .

وحين أعطاه نصف نصيب الذكر من الميراث فقد قابله إعفاؤها من أعباء النفقة دون استثناء نفقتها الشخصية ونفقة أولادها حتى في رثائها وفقر الأب وشهادة الاثنين بدلاً من شاهد رجل واحد منظور فيها إلى عاطفة المرأة التي هي جو أنوثتها .

ومن كرامة الإسلام للمرأة أن جعل الفاسق ليس كفاً للزواج من المرأة العفيفة .

ولست الحياة للمرأة في تقدير الإسلام العوبة من الألاعيب بل مسئولية وتبعة الأم الروم والزوج الصالحة وإن الحياء الصادق والعفة الصحيحة والخضوع الجليل الذي هو مظهر الحب لا يتحقق إلا بتصون المرأة فلا تخلط الرجال إلا في ضرورة ماسة وحرصها على دينها كأنها ما كان والصبر أقوى الصبر على مكاره البيت . فالمرأة للبيت ثم إنشاء البيت للأسرة ثم إنشاء الأسرة للمجتمع .

ومن هنا ينكشف فساد رأى علم الاجتماع الغربى الذى يرى أن الدين والزواج ليس من الفطرة وإنما هي أشياء تلبعث من الجماعة نفسها وأنها دائمة التطور والتغير والتشكل وأن كل مجتمع يصنع دينه ونظم زواجه ونظم أسرته ورأى الغرب كله منقوص ، لأنه تشكل على نحو متماوج فإن مؤتمراً باكون علم كان يبحث عن المرأة : هى إنسان أم غير إنسان فى هذا الوقت

كان القرآن ينزل بحرية المرأة الحقيقية وكرامتها الأصلية وكان صلى الله عليه وسلم يعلن إنما النساء شقائق الرجال وأن الجنة تحت أقدام الأمهات فأوروبا لم تكن تعرف مكانة المرأة ولم تكن شرائعها ترى في المرأة ألا أنها ملعونة . وقد أشار معجم الفلسفة التونسي أن القرآن يختلف عن التوراة في أنه لا يجعل ضعف المرأة عقاباً إلهياً كما ورد في سفر التكوين (٣ : ١٦) ومن الخلط أن ينسب إلى شارع عظيم كمحمد ، مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء والحقيقة هي أن القرآن يقول : (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

ويقول سجيريد هونسكة : أن تغييرات احترام المرأة دخلت اللغات الأوروبية على يد العرب وفي مايو ١٠٦٥ صدر في فرنسا يجعل الولاية على مال المرأة المتزوجة للمرأة نفسها وقد كانت مشروطة بولاية الرجل الزوج ، وقد عدت فرنسا هذا انتصاراً كبيراً للمرأة لأنها حررت من التبعية في مالها الخاص من زوجها ، وكان ذلك منذ أن قام الاسلام يجعل للرجل الزوج ولاية على زوجية في إرثها العقدي وفي مذهبها الديني وفي رأيها السياسي أو في مالها الخاص . كان ذلك منذ أربعة عشر قرناً .

يقول أحد الغيورين : أما اليوم فإن المرأة المسلمة فقد أغرقت في التبعية ، تطالب بالقيود في الطلاق وربما تطالب كمثل أعلى لها أن تكون العلاقة الزوجية على نمط العلاقة في الكنيسة الكاثوليكية لا طلاق ولا انفصال ، وفتح باب المرافعة والمصادقة ، وإنجاب الأبناء من صلات غير شرعية وكثرة الزنا و انتهاك الأعراض في المجتمع التي يبدو أن ليس لها من سبب إلا تقييد الطلاق أو عدم شرعية الزواج ، أن هناك صلات غير شرعية كثيرة وعديدة بجانب صلة الرجل بزوجه ولكنها صلات خفية مستترة والاسلام لا يرى أن تكون هناك علاقة جنسية خفية لأن نتائجها خطيرة

وفي مقدمتها المرض السرى الذى يأخذ بحياة الاثنين ، أو ولد غير شرعى يخرج ذليلا لا قيمة له فى حياة المجتمع .

ولتعرف المرأة المسلمة أن الغرب نفسه الذى يقدم لنا هذه الفتنة ، يعانى منها وأن هناك من العلماء الاجتماعيين من يعارضها فى مقال الكاتب الأمريكى نورمان ييلز عن المرأة فى مجلة هاريز الأمريكية (الأهرام ١٩٧١/٤/٤) هاجم بقسوة حركة تحرير المرأة فى أمريكا وأعلن أن المرأة يجب أن تظل سجينتها على أى أن تقتصر مهمتها على الأعمال المنزلية وشراء الطعام من السوق ورعاية أطفالها وطالب بإلغاء بيع أقراص منع الحمل وقال أن المسئولية الأولى للمرأة هى أن تبقى أطول وقت ممكن على الأرض لكى تعثر على أفضل شريك لحياتها وتنجب أطفالا لا يحسنون الجنس البشرى وعارض الذين يصرون على إثبات عدم الفوارق بين الجنسين .

وحين ينظر الأوروبيون بروح التقدير والتمنى لنصوص الاسلام ، نعرض نحن عنها وتطلع إلى القيود والأغلال التى تعيش فيها الغربيون ، فقول اندريه مرفيه فى كتابه الاسلام ونفسية المسلمين ما يلى :

يتحرى محمد الأسباب التى تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنها إلا بكل لطف ويجهد فى أن يحسن أحوالها ، وكان النساء والأولاد قبله لا يرثون وعندما نهض محمد أعطى المرأة حق الارث وأوجب كل ما كان حسنا فى حقها ومن أراد التحقق من عناية محمد بالمرأة فليقرأ خطبة الوداع التى أوصى فيها بالنساء وقال دريسمان : إن العطاء مجد المرأة حريتها هو السبب فى نهوض العرب وقيام مدنيتهم ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيتهم .

ويقول واصف غالى : كثير من رجال الأديان الأخرى وكان أحدم (سان بونا فتور) يقول للاميذه إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون

كائننا بشريا بل ولا كائننا وحشيا إنما الذى ترون هو الشيطان بذاته والذى تسمعون هو صفير الثعبان . أما محمد فهو يعد بحق أكبر أنصار المرأة العاملين إن لم يكن أولهم فقد كان بهن رحيمًا وعليهن حليما وكان لين الجانب كثير العطف عليهن عظيم الاحترام والتكريم لمن ولم يكن ذلك خاصا بزوجاته بل ذلك كان شأنه مع جميع النساء على السواء .

وقد صور هذا المعنى (سيد أمير على) فقال ما هو مركز المرأة الشرعى حسب الدين حتى فى أول البلاد النصرانية تقدما ، إن المرأة المتزوجة لم تكن لها حقوق مستقلة عن زوجها إلى زمن قريب حتى فى إنجلترا ، على أن الرسول الذى ظهر فى بلاد كانت توءد فيها البنت حية وفى عصر لم يعرف فى أى بلد آخر أى نظام وأى طائفة تخول المرأة أى حق سواء كانت فتاة عذراء أو زوجة أو أم ، هذا النبى أ كسب المرأة حقوقا لم يعترف بها إلا بضغط شديد لدى الأمم المتقدمة فى القرن التاسع عشر وكفى محمد نفرا حتى لو لم يفعل أكثر من ذلك فى سبيل الانسانية بيد أن المرأة المسلمة يعتبرها المتفقهون فى الدين أحسن حالا من المرأة الأوربية .

ولقد لبث ملوك النصارى وزعمائهم يرغبون المرأة على التزوج بمن يشاؤون من رعاياهم عدة قرون بعد ظهور الإسلام بينما كان الإسلام قد أعطى المرأة البالغ الحق فى أن تتزوج بإرادتها وان لا يتدخل الزوج فى ثروتها كما أنه لا يسوغ له أن يسيء معاملتها بالطرق الوحشية فهى متى كانت بالغة الرشد تنصرف فى جميع شئونها وثروتها كما تشاء بدون تدخل زوجها أو أبيها .

وهكذا نعرف ماذا أعطى الاسلام للمرأة وماذا أعطتها الحضارة ، أعطاهما الاسلام الكرامة والعفة والشخصية المستقلة واليوم تحاول الحضارة الغربية إخراجها من كل كرامة وفضل ، إنه التقليد والرغبة في التبعية ودخول حجر الضب لأن أوربا دخلته ، وقد تبين اليوم للغرب فساد النظم الاجتماعية التي حاول بها أن يساوى بين الرجل والمرأة في كل مجال ، وخطأ الفلسفات الوجودية التي تحرض الرجل والمرأة للانطلاق في ميدان الغرائز والشهوات دون قيود أو حدود ، وما نراه من موجات انحلالية تشيع في المجتمعات الغربية من طوائف الهيزن والخنافس .

لقد كان أعظم ما حرص عليه الاسلام : تأكيد رجولة الرجل وأنوثته الانثى ، والاحتفاظ برجولة الرجل لحرم عليه لبس الذهب والحرير وللاحتفاظ بأنوثته الانثى حرم عليها أن تخوض المجتمعات العامة ولا تعرض جسدها على الأنظار لقد حرص الإسلام على إبقاء المرأة على أنوثتها وعاطفتها ، كما حرص على أن يبقى الرجل على رجولته وإرادته ، فلا تتحول المرأة إلى رجل أو يتحول الرجل إلى امرأة ، كما حرص بمساواتها بالرجل في القيم الإنسانية المشتركة وفيما يتصل بموقفهما امام القانون وفي الحقوق العامة فلا تحرم حقها إلا إذا ثبت أنه يلحق ضرراً بالمجتمع غير أن الاسلام فرق بين الرجل والمرأة في الأعباء الاقتصادية والميراث والقوامة على الأسرة والشهادة وحق الطلاق وقد جاء خطاب التكليف موجهاً إلى الرجل والمرأة معا ، وقد شاركت المرأة في الحياة الاسلامية وأخذت مكانها وأدت دورها وعملت حيث حالت الظروف دون عمل الرجل .

وقد أحاطها الإسلام بالكرامة والعفاف ، سترها في الملابس ، وتحريمها للخلوة بالأجنبي وغيض للطرف ، وعكوف في المنزل حتى في الصلاة ، وبعد عن الإذراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج كل ذلك

يراد به أن تسلم المرأة من فتنة المجتمع ويسلم المجتمع من فتنة المرأة ومن ذلك جعل النظرة سهما من سهام إبليس ، واشترط لها شروطا شديدة في البعد عن مظاهر الزينة ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب بهافلا تصف ولا تشف وهكذا جعل الإسلام صيانة المرأة هي المحور الذي تدور حوله أكثر الأحكام صيانة المرأة من جور العرف والمواصفات وتعلبانها في المستقبل ، وحفظ مقامها الاجتماعي من الابتذال المحاط بالمجاملة والرياء على نحو ما نرى في المجتمعات الغربية فهناك إحترام ظاهر ثم ابتذال غير رحيم .

أين هذا كله مما تريده اليهودية التلمودية التي أخرجت المرأة لتحقيق هدفها كله باعتبارها عقدة هذا الهدف في إقامة (امبراطورية الربا) معارضة في ذلك مفاهيم الأديان : أخرجتها إلى الرقص والمسرح والسينما ثم عملت إلى إزالة الحاجز العازل والحد الفاصل بين الحرة والأمة ، وبين سيدة البيت وبين الراقصة .

واقامت نظام الأزياء والزينة وبدلت فيه وغيرت من أجل السيطرة على المرأة وإذلالها واستعبادها ، وتعريتها وتغطيتها . تغطية الصدور وكشف النحور وتعرية السيقان وتغطية الظهور ، وبذلك يتم سيطرتها على المرأة مما يؤدي إلى هدم الأسرة وتحطيم العلاقة بين الرجل والمرأة ، والقضاء على الأجيال الجديدة (من ناحيتين . من ناحية عجز المرأة عن تربية أبنائها ومن ناحية رفض التوجيه لها) وبذلك أدخلت سموم الفساد إلى مختلف مفاهيم المرأة وإلى عقليتها وإلى فكرها وقلبها ، وإثارة مشاعر العواطف والأهواء تحت إسم الحب والغرام في القصة والأغنية وهذا هو الخطر الحقيقي الذي يواجه المجتمعات الإسلامية اليوم ، بعد أن توالى بث السموم والأفكار الخاطئة لسنوات وسنوات عن طريق الصحافة والإذاعة والسينما والمسرح حتى باتت محاولة إخراجها منها أمراً عسيراً . لقد استهدف النفوذ الأجنبي خلق عقلية « زائفة » المرأة تصورها بصورة القادرة على الحياة في المجتمع بغير سلطة الأب أو الأسرة أو الزوج

من حيث هي قادرة ماديا على أن تجد موردها الذي تعيش منه، ومن هنا فإن هذا التقدر يعطيها الحق في أن تختار الطريق الذي ترضاه في الحياة الاجتماعية كذلك فإن اختيار موانع الحمل والإجهاض كفيلة بأن تفتح لها الطريق أمام كل الرغبات ومن ثم أصبحت الفتاة قبل الزواج أو بعده قادرة على ممارسة كل رغباتها في ظل مناعة طبيعية مقررّة تعيد دم البكارة الأحمر إلى مكانه أو تحول دون وقوع الحمل وفي هذا الاطلاق ما فيه من آثار ونتائج من شأنها أن تصرف الرجل عن الزواج أو تجعله يتردد في تكوين الأسرة .

وكل المحاولة تهدف إلى تدمير كرامة المرأة وعفافها وهي مؤامرة على حساب الأسرة والبيت والأجيال القادمة ، لقد كانت النظريات التي قدمها ماركس وفرويد ودور كايم وليني بريل من العوامل العامة في تشكيل هذه المفاهيم :

إن كثيرا مما تنشره القصص والصحف هو من مؤامرات الصهيونية التلويديّة ويديره الجبارة العتاة ، وليس صحيحا إلا ما تقبله الفطرة ويصدق مع العلم والدين وواقع الحياة ، وكل هذه المحاولة لإخراج المرأة من طواجئها وفطرتها ومهمتها هو من عمليات الهدم الشديد الخطر ويجب أن تعود المرأة إلى مكانها الطبيعي وحجمها الحقيقي .

فإذا قيل لنا أن المرأة في أمريكا قد أنفقت على صباغة الشعر ما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار يضاف إلى ذلك ما ينفق لدى عشرات الآلاف من مصفّفي الشعر وفي شراء مستحضرات الشعر الأخرى ، قلنا أن المرأة في حاجة إلى قارعة تكشف الحقائق أمام عينيها اللتين لا ترى ومن الخطأ أن تلتاق المرأة المسلمة والمجتمع المسلم مغمض العينين وراء هذا المغف ونحن نقرأ الآن ما يكتبه المنصفون من كتاب الغرب حين يقولون أن واقع المرأة الغربية واقع مقلق ، مرتاب ، لأنه يتحرك بعنف ضد التيار وضد الفطرة وسلامة

القصد ، وهو إعصار مدمر قد فرض خطره على الأسره الغربية وعلى الأمومة والطفولة جميعا ، أليس في هذا عذير لنا عن التقليد وردع عن التبعية .

عابت الكاتبة الأمريكية (مارجريت ماركوس) فهم دعاة تحرير المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية الخاطيء لمعنى التحرر ، على أنه الإباحية المطلقة للنساء في الاختلاط بالرجال في الوظائف والأعمال والأسواق دون قيد ولا شرط في ارتدائهن الأزياء غير المحتشمة وفي انصرافهن عن مسؤولياتهن في تربية الأولاد ورعاية الزوج اللتين هما أساس تكوين الأسرة السعيدة .

وقد سجلت كتابات عدد من النساء الأوربيات التي اسلمن :

(استان ، رانيس ، اني بيزانت ، ايفلين كوبلاد) .

وكتبن عن الإسلام ومكانة المرأة المسلمة حيث تتمتع في ظل الإسلام بكرامه شخصية وحقوق إنسانية لم تتحقق للنساء في أوروبا وأمريكا حتى الآن .

الفصل الثالث

تحديات الأسرة المسلمة

تستهدف مؤامرة الغزو الثقافي الاجتماعي : إسقاط الأسرة وهما بالقول بأن القيمة كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد والآداب والقيم الروحية ، وهو قول باطل فإن المجتمع التام لا يبنى إلا من خلال وحدات الأسرة التى تقوم على أساس سليم .

ومن أجل إسقاط الأسرة تطرح فى طريقة أشواك كثيرة : منها القوامة وتحديد النسل وتعدد الزوجات .

(أولاً) القوامة أساس مكين فى الأسرة إذ لا بد لكل تجمع من إشراف ورئاسة ومسئولية ودرجة القوامة التى أعطاها الإسلام للرجل هى ركن أساسى فى البناء يقتضيه نظام الجماعة بل أن الأبوة لها مكائتها الأصلية . مكانة الربان فى السفينة وعنه تصدر التوجيهات ويأتم بها الجميع بما فى ذلك الأم ، وقد عرفت المجتمعات الغربية ذلك التمزق الخطير حين دخلت الأم ميدان العمل وأخذت توجه الأسرة فأصبح فى الأسرة رأيين ووجهتين مما أحدث آثاراً بعيدة المدى فى نفسيات الأبناء والبنات حيث أخذت تذهب توجيهات الأب فى ناحية وتوجيهات الأم فى ناحية أخرى بينما يقرر الإسلام وحدة الجهة الأساسية التى لها حق القوامة على المرأة والأبناء جميعاً وهى الأب الذى يستمد مسؤوليته وتوجيهاته من مفاهيم الإسلام لامن أهوائه الخاصة بقصد المحافظة على الأسرة الإسلامية وقيامها فى دائرة أحكام الإسلام وقوانينه والحيلولة دون انحرافها عن الطريق المستقيم أو سقوطها فى مجال الانحلال والتقليد .

(٢)

ولا تزال الأسرة هي أصلح نظام لبناء الأجيال تضمن للمجتمع نموه واستمراره عن طريق إنجاب الأطفال كما إنها تواصل مهمتها نحو هؤلاء الأعضاء الجدد فتتولى تغذيتهم في مرحلة طفولتهم المبكرة وتلشئهم خلال الطفولة المتأخرة لتقديمهم إلى المجتمع ليحتلوا أماكنهم فيه (فالأسرة هي التي تكون الطفل وتصوغه وتحدد ميوله وتسد حاجاته وهي بذلك تعمل أولاً على تكامل شخصيته والأسرة وحدة اقتصادية متضامنة يقوم فيها الأب بإعالة زوجته وأبنائه وتقوم الأم بأعمال المنزل .

كذلك فالأسرة هي المكان الطبيعي لنشأة العقائد الدينية واستمرارها ، وتعتبر الأسرة المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغته القومية وهي المسئولة عن التنشئة والتوجيه والأسرة بالنسبة للطفل مدرسته الأولى التي يتلقى فيها مبادئ التربية الاجتماعية والسلوك وآداب المحافظة على الحقوق .

وينظم (الزواج) العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ويضعها في إطارها الشرعي السليم وبذلك يقضى على العلاقات الممنوعة والمحرمة ، والعلاقات الزوجية في الإسلام ليست علاقة فردية أو بيولوجية أو جنسية وإنما هي علاقة ضخمة واسعة متعددة الجوانب أساسها خلق واجتماعي والزواج هو الإطار لهذه العلاقة ووضعها في صورتها الصحيحة .

وينظم الإسلام هذه العلاقة على أساس حقوق وواجبات بالنسبة للرجل والمرأة والأبناء ويشترط في هذه الرابطة لكي تكون زواجا صحيحا أن تتم تبعا لمواصفات صحيحة وضع الإسلام صورتها الأرقى والأكمل بالنسبة لكل ما عرفته البشرية من قبل من نظم ومواصفات .

ففي الإسلام يقوم على أساس علانية الزواج وأداء المهر من الرجل ، كما حدد الإسلام عدد الزوجات وبذلك نقل البشرية إلى صورة أرقى مما كانت عليه وشجب كل الصور والأساليب التي سبقتها من شيوعة مطلقة ، ومن اتصال جنسى بغير قيد ولا شرط ومن تعدد مطلق ، ومن أساليب في الطلاق تحتج بها المرأة سنوات طويلة . ولا يقر الإسلام اتصال الرجل بالمرأة إلا إذا سم في الحدود التي رسمها الإسلام وتوافرت فيها جميع الشروط .

ومن هنا يتجلى مدى خطورة رسالة الأسرة وأهميتها لبناء المجتمع كله .

ففي الأسرة تتشكل الاجيال على القدوة المثلى القدوة الخلقية التي يقدمها الآباء والامهات لاولادهم ، وتبدو أهمية الام في تكوين الطفولة الاولى حيث تتطلب تربية الاجيال عاطفة أمومية معتدلة حكيمة ، ليست مفرطة ولا قاصرة ، وإن الرضاب الشهي ، الممزوج بالحنان أساس في حماية الاطفال في مستقبل حياتهم من الانحراف والجريمة والتمزق النفسى الذى نجده اليوم عند أغلب الاجيال التي لم ترضعها الام ولم تحبها بحنان كاف .

فالابوان في الحث هما اللذان يغرسان اللبنة الاولى في التربية الدينية في نفوس النشء ويضعان الحجر الاساسى في بناء الاخلاق .

(ثانيا) أما تحديد النسل فتلك مؤامرة خطيرة : المرأة ضحية لها وكذلك المجتمع كله ، فانه يهدف إلى إضعاف الوجود الاسلامى وتحطيم النمو البشرى الإسلامى الذى يتعاضد اليوم ، حرصا على موقعهم وسيطرتهم على موارد البشرية في نفس الوقت الذى يتضاعف فيه هجرة اليهود وغيرهم بينما توجه سيهم تلك الدعة إلى المسلمين وحدهم .

ولقد رجح المذكرة تحديد النسل وتنظيمه قوى معادية للمسلمين والعرب

يهدفون بها إلى الكيد لهم وتعطيل وظيفة النسل وهدم لهذه القوة البشرية
النامية التي تستطيع أن تبني وتجاهد وتواجه قوى النفوذ الأجنبي التي تستهدف
السيطرة .

وتحديد النسل على هذا النحو هو نوع من القتل أو الوأد الخفي ولا يجوز
الإقدام عليه ولا يحل لمسلم أو مسلمة اجترأوه .

(ثالثاً) أما تعدد الزوجات فقد شرعه الله تبارك وتعالى لمصلحة راجحة
قد تكون هي مصلحة الزوجة نفسها أو مصلحة الزوج أو مصلحة الأبناء أو
مصلحة الأمة ، والواقع أن تعدد الزوجات تشريع طوارئ فإن هذا التعدد
ليس بواجب ولا مندوب ولكنه مباح مشروط بالعدل بين الزوجات وعدم
الخوف من الحيف فإن خاف ألا يعدل منع التعدد .

ولقد عجز الغاء التعدد بالقانون وفشل ووجد التعدد الخفي ، ذلك لأنه
كان محاولة ضد طبيعة الانسان وطبيعة العلاقات الزوجية والاسلام لم يدع إلى
التعدد وإنما نظمه على أنه رهن بالحياة الاجتماعية وظروف البيئة فقد كان
التعدد لأكثر من عشر نسوة فحده إلى أربع وكان التعدد نزوة ولا حقوق
للمرأة أو الأولاد فيه فرفعه إلى المستوى اللائق بالانسان ووجب على طرفيه
عدة التزامات ومن الطبيعي ان يلجأ المجتمع إلى التعدد لأسباب منها ما يكون
إلى الزوجة كعجز أو نشوز أو استعلاء ، منها ما يكون سببه حفظ التوازن
والعدل الاجتماعي للزيادة المطردة في عدد النساء .

لقد أباح الله تبارك وتعالى ، التعدد ، ثم اشترط فيه العدل ولكنه حكم
بأنه غير مستطاع .

ونحن نسأل أي الوضعين خير للمرأة والمجتمع وإيهما أجدر بكرامة

المرأة وألبق بانسانيتها تحريم تعدد الزوجات أو اباحة السفاح لكل صورة وتأيد ظاهرة الحلال.

(رابعا) أما الطلاق فهو أبغض الحلال إلى الله . شرع لحكمة عالية تتعد العشرة الزوجية أو المصرة الحاصلة لأحد الزوجين فهو تيسير للعسر (وأن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) مع ضمان الحقوق المترتبة على الفراق .

(٣)

إن دعامة الأسرة هي المرأة : وسلامة دعم الأسرة تقوم على فهم مهمة المرأة الحقيقية ووظيفتها الأساسية : إن وظيفة المرأة الأساسية هي العناية بالأسرة وإنشاء الجيل الصالح ، ولها أن تلي من الأعمال ما يناسبها ويحفظ كرامتها كالتعليم والتربية والتطبيب وخصوصا للنساء والتمريض والتجارة والعقود وكل ما يليق بها . ولكن ليس لها أن تلي من الأعمال ما لا يناسب خلقها كالولايات العامة من رئاسة الدولة والوزارة والقيادة للجيش والادارة العامة لما يعرض لها من موانع تحول بينها وبين اتقان عملها وقد يسبق الاحتلال بنظام الدولة . والهدف كله هو المحافظة على سعادة الأسرة واستقرارها والبعد عن كل انحلال وريبة وفي سبيل ذلك يجب الفصل بين الذكور والإناث في التعليم بكل مراحل ووضع برامج خاصة مناسبة لكل منهم كما يجب منع الاختلاط بين الرجال والنساء في النوادي والمجتمعات والمكاتب والادارات والمصانع وورش العمال ، كذلك فانه من أجل حماية الأسرة من كل ما يهددها من الاخطار يجب الضرب على أيدي المفسدين الذين يتاجرون بالجلس ويسترقون النساء باستغلالهن في دور اللهو والفساد أو دور التمثيل والاستعراض وعلى وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفزة وأن تكف

وأن تكف عن إذاعة ونشر ما يسيء إلى الأنرة ويهدد الأخلاق بالانحلال
وبغرى بالفساد وفى مجال المجتمع يتحتم منع ما يخل بالمروءه ويحرض على الفساد
من الملابس المغرية التى تشف أو تصف أو تقتصر على ستر ما يجب ستره كما
يجب منع التبرج الجاهلى ومراقبة الشواطىء والأماكن العامة والضرب على
أيدى كل العابثين والعابثات فى النوادى والشوارع والمجتمعات فى النوادى
والشوارع والمجتمعات .

(٤)

(عمل المرأة)

لا يقر الإسلام عمل المرأة إلا فى حدود ضيقة ، هى الاعالة
لنفسها أو لأهلها ، ويشترط أنواعا معينة من العمل وهو وضع مختلف
تماما عن ظاهرة تشغيل النساء القائمة حاليا وأن يكون ذلك فى وظائف معاونة
للزوج فى نشاطه الزراعى أو الاشتغال بالتجارة ، أو ممارسة الحرف الحقيقية
التي تصلح للدار . وتعليم الأطفال ، وتعليم البنات وخدمة النساء فى شئونهن
الخاصة ولا يفرض الإسلام التكليف الشاق لكسب المعاش على المرأة ،
أو مشاركة الرجال فى وجره من النشاط لا تتفق مع الفطرة ولا مع الاستعداد
الطبعى للمرأة : ذلك أن الإسلام يقدر مدى احتمال المرأة لأنواع من الأعمال
اليسيرة لا الأعمال الشاقة التي لا تتفق مع طبيعتها الحيوية .

يقول الدكتور عيسى عبده : أن التسوية المزعومة بين الجنسين فى تشغيل
كل منهما من قبيل الاسراف فى جرة الإنسان على التنظيم الذى أراده الخالق
للاسره وما بين أفرادها من تفاوت للتخصص الوظيفى فاحتمال المرأة
للأعمال الشاقة محدود وأجهزتها الحيوية مهيأة لغير الشقاء فى
سبيل العيش .

كذلك فانه فى أثناء غياب المرأة عن دارها يحرم الاطفال من الرعاية

والتربية في السنوات الأولى وقبل الالتحاق برياضة الاطفال كما يحرم الناشئين من الفتيان والفتيات من توجيه الام التي تعود إلى دارها بمجدة من العمل والنتيجة هبوط مستوى الاجيال . ولا ريب أن الجيل الضائع مصدره انحراف النساء عن خصائصهن إلى خصائص الرجال مما أدى إلى تختلث الشبان وتشبههم بالفتيات في الخبر والمظهر وتساؤل هل يستحق صافى دخل المرأة هذه التضحيات ، وهل عاد تشغيل النساء بزيادة في الدخل القومى بما يوازى الاثر الذى أصاب الاسرة .

ولما كانت وظيفة المرأة الاساسية هى العناية بالاسرة وإنشاء الجيل الصالح فإن من حقها ألا تلبى من الاعمال إلا ما يناسبها ويحافظ على كرامتها .

(التعليم) حتى ثابت للمرأة وهو شيء يختلف عن كسب المأاش وعن الاختلاط فإن المرأة تستطيع أن تحصل على التعليم دون أن تتعرض للاختلاط وتستطيع أن تطبق جميع حقوقها المدنية والشخصية دون أن تتعرض لاختطار الفساد ، والعلم الذى تتلقاه المرأة يجب أن يكون وسيلة لإعدادها لمهمتها الحقيقية ، ورسالتها الاساسية ، ويجب الفصل بين الذكور والإناث فى التعليم بكل مراحله ، وأن تكون البرامج مناسبة لكل من الجنسين ، كذلك من الضرورى أن تكون هناك مجتمعات الرجال ومجتمعات النساء وأن يحال بين النساء وبين النوادى العامة .

وقد يسخر من هذا دعاة التغريب لأن هذا الاختلاط هو الهدف الاكبر من دعوتهم ومن سموهم ولكن حماية الاسرة من كل ما يهددها من أخطار يحتاج إلى هذه الضوابط مع الضرب على أيدي الذين يتاجرون بالجنس ويسترقون النساء باستغلالهن فى دور اللهو والفساد أو دور التمثيل والاستعراض .

(٥).

إن مكان الأب ، على رأس الأسرة وبوصفه قائداً حقيقياً وموجهاً لكل أفرادها ، إنما هو مسئولية ضخمة يجب على الآباء تقديرها والقيام عليها منذ اللحظة الأولى لبناء عش الزوجية ، وأن يكون البناء الاساسى للزوجة أولاً لتكون على الطريق الصحيح الذى رسمه الاسلام بما يؤدى إلى اقتدار الزوجين على بناء الجيل الجديد .

ومن هنا فإن مسئولية الأب فى بناء نفسه وإيمانه وثقافته وقدرته على التوجيه بالغة الخطورة والاهمية ، حتى يصبح على مستوى المسئولية وموضع تقدير أبنائه ، وأن يكون قدوة صحيحة أصيلة للنموذج الطيب الكريم . وحيث يكون الآباء على هذا القدر من الكفاية والتقدير المسئولية تكون طاعة الابناء لأبائهم فطاعة الابناء لأبائهم فى المعروف واجب أكيد فى مفهوم الإسلام ونصيحة الآباء لأبنائهم حتم . وعلى الآباء أن يشرفوا على تربية أبنائهم تربية صحيحة بأنفسهم ، وأن يوجهوا أبنائهم بالصلاة لسبع ويضربوهم عليها لعشر وأن يفرقوا بينهم فى المضاجع ، وأن تقصير الآباء فى تربية أبنائهم معصية ، وعصيان الابناء لأبائهم بدوى الحرية عتوق وفساد وترد على تعاليم الاسلام والاحتجاج بالحرية الشخصية انحراف عن قواعد الدين والاخلاق والسلوك الاسلامى وسوء فهم لمعنى الحرية .

وقد دعا الاسلام إلى تحصين الاطفال ضد الاخطار ومعاونتهم على اكتشاف انفسهم وتكوين إرادتهم على مواجهة صدمات الحياة ومن استغل فى المستقبل . وقد تبين ان نجاح عدد كبير من العظماء يرجع إلى هذا التكوين الاساسى فى محيط الاسره وإلى اهمية القدوة ، ولا ريب ان الشاب الذى ينشأ فى وسط اسره متحابة يكون اسعد حظاً من الذى ينشأ فى بيت تسوده روح الكراهية وأن ما اكثرت القدرات التى ضاعت نتيجة لخلافات الوالدين

ولا شك أن الأب المؤمن القام لدوره ومسئوليته هو أقدر بطبيعة الحال على معرفة ابنه واكتشاف ميوله ومواهبه ومن ثم يكون أكثر إدراكا وتفهما لنفسية ابنه فقرأه يقف بجانبه ويشجعه ويرشده إلى الطريق السوي ومن شأن الأب المؤمن برسائله على النحو الذي قدمها الإسلام أن يعطى الابن الثقة والحب والمثل الأعلى .

ومن هنا كانت محاولة القوي المعادية للإسلام والتي تستهدف هدم المجتمع الإسلامي ، ضرب موقع « الأب » والحملة عليه عن طريق القصة المسرحية ووصفه بأنه عدو لأبنائه ، وذلك في إطار الدعوة المسمومة إلى أن يتحرر الأبناء من توجيهات الآباء ، خصوصا فيما يتعلق بمستقبلهم .

ولاريب أن موقف الأبناء يرجع إلى مدى قدرة الآباء على فهم أبنائهم ومعاملتهم على النحو الذي يحول بينهم وبين الانطواء أو الاندفاع على السواء . فإذا كان الآباء على غير مستوى المسؤولية فإن ذلك من شأنه أن يجد الاستجابة إشاحة بالوجه أو انطواءً عن المجاهرة بالرأى .

وإن من أخطر التحديات العصرية : نتيجة عمل المرأة وخروجها هو تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين والدين لكل منهما وجهته وهدفه ومفاهيمه مما يوقع الأولاد في حيرة نفسية وتشنت عواطفهم وتبدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من (الأب) باعتباره المصدر الأساسى للسلطة وفى هذا الاطار نجد أهمية دور الأب فى الأسرة ونجد تلك المحاولة المسمومة خلال المسرحيات والقصص لاحتقاره وتوجيه السهام الساخرة إليه رغبة فى هدم هذا الركن الأساسى .

ولاريب أن الأب هو الذى يضع أسرته فى المجتمع ويحدد موقف أفرادها من النسيج الاجتماعى ، وفى مفهوم الإسلام يبقى دور الأب سليما دون أن تهزه الرياح التى تقذفها السموم ، لأنه يعتمد على ثبات القيم والمعايير

السلوكية ويؤكددها بما لا يفقدها دورها في الضبط الاجتماعي وتوجيه الفكر والسلوك . ولا ريب أن تعدد الأجيال في داخل الأسرة لا يحدث صراعا شديداً بالذى زاه في المجتمعات الغربية إلا في الأسر التي فقدت عنصر الدين والأخلاق .

(٦)

إن هناك محاولة خطيرة تهدف إلى هدم الأسرة يتزعمها دوركايم ولبني بريل ومدرسة العلوم الاجتماعية - الفكر النفسى التحليلي الفرويدى وما يتصل بها من شرائح الفكر المادى وتحمل هذه المؤامرة دعوة كريمة حاقدة لا تقبلها الفطرة وتعرض عليها طبيعة الروح الاسلامى والنفسية المسلمة ، تلك هى الدعوة إلى علاقة غير شرعية ، وإعلاء شأن الجنس والدعوة الصارخة إلى الحب الاباحى .

هذه المفاهيم مرفوضة تماماً في أفق المجتمع الاسلامى ، وإن كانت تجد قبولا في المجتمع الغربى الذى سقطت فيه الغيرة من أجل الزوجة كما سقط العطف على الآباء العجائز والفقراء ، وسقطت فيه الأسرة ككلية ، وبالرغم من أن الغرب قد واجه ضربات متعددة نتيجة هذا الانحراف والتجمل حتى قال بيتان غداة احتلال الألمان فرنسا في الحرب العالمية : إن هجران حياة الأسرة والانطلاق وراء الشهوات وإنكار ولاده وتربية الأطفال ، هو الذى أدى إلى هذا المصير .

ولقد نقلت قوى النفوذ الأجنبى إلى أفق المجتمع الاسلامى . مخطط الهدم المدرس لكل مقومات الأمة وجعلها نهبا مباحا لكل طامع من المتربصين ، ويكفي أن نرى علما كبيرا مثل برتراند راسل يدعو قومه إلى التحرر من هذه الانحرافات التى تهدم الأسره فيقول : هناك شرط مهم يساعد على دعم الحياة الزوجية ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظم التى

تسمح بالمصادقة والمخالطة بين المتزوجين من الرجال والنساء سواء في العمل أو في المناسبات والحفلات .

إن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق وليس عسيرا أن نجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التي انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم في الحياة الزوجية .

كذلك فإن تلك الدعوى التي حملت لواها سيمون دي بوفوار في كتابها الجنس الثاني بأن تناضل المرأة ضد الرجل وما اسماء البير كامو النغمه على الرجال واتهام الرجل بأنه يهت بمقدرات المرأة ويسعى إلى حماية وجوده بانتقاص حق المرأة . هذه الدعوى لا محل لها في المجتمع الاسلامى الذى قدم للمرأة حريتها متعاقبة تماما مع كرامتها عن طريق املوب خلقى رائع .

(٧)

لا بد أن تكون الأسرة هي البؤرة الوحيدة لتشكيل الحياة العاطفية الجنسية والاجتماعية للمتزوجين والحلل يأتي من خرق هذا الجدار ومن تشوش علاقات جنسية خارج الأسرة ومن ورأها وشيوع ذلك سواء بالنسبة إلى حياة ما قبل الزواج أم بالنسبة إلى فترة الحياة الزوجية هو إضعاف للأسرة وإفصاد لتكوينها وخرق لجدرانها .

ولا بد من تقدير مكانة الرجل في الأسرة : زوجا وأبا وأهمية ثلاث عناصر هامة في مجال الأسرة : (التوجيه - الرقابة - الخبرة) .

وعلى المرأة أن تلتزم بثلاث أمور رئيسية : أن تطيع زوجها في القرائش وألا توطىء فراشه من يكرمه وأن تحفظ غيبته ، وأن الزوجية ليست تلبية الحاجات الجنسية وحدها بل أن تتحرك في إطار المفاهيم الروحية

والنفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تشكلها علاقة الرجل والمرأة ، حيث لا يستريح الإسلام الخروج المرأة للعمل في غير الأعمال الضرورية التي تقتضيها حاجة المجتمع من ناحية أو حاجة امرأة بعينها من ناحية أخرى وتتلخص حاجة المرأة إلى العمل في حالة عدم وجود عائل أو عدم كفاية ما يعوّلها ويعول عائلها . إيماناً بأن المرأة بتشكوينها الجسدى والفكرى والوجدانى ليست مهيأة إلا لوظيفة معين هي الأمومة ما عدا الضرورة الملحة وليس خلاف بأن المحاضن لا تستطيع أن تؤدي مهمة الأم بحال ، فهي لا تستطيع أن تقدم له العنصر الأساسى لتشكوين شخصيته وهو الحب والأمومة والرحمة والحنان فاضل يحتاج إلى أم كاملة لا يشركه . فيها أحد

(٨)

لوم تكن الأسرة صادرة عن الفطرة الكامنة في الطبيعة البشرية لاستطاعت المحاولات المتكررة على مر التاريخ أن يقضى عليها وقد نشأ من النظم السياسية دلى مر السنين ما حاول اقضاء عليها من استقطاب ولاء الفرد للدولة ولم يكن للأسرة دور في جمهورية أفلاطون وقد حاولت كثير من الفلسفات والنظم السياسية أن تجتذب الولاء من نطاق الأسرة كالمزدكية في القديم والفازية والشيوعية في التاريخ الحديث ، وقد أجمع علماء الاجتماع على أن الأسرة هي قاعدة النظم الاجتماعية قاطبة والمعتقد أن المحاولة المعاصرة لهدم الأسرة في الغرب هي محاولة مؤقتة لا يكبت أن تهزم كما انهزمت محاولات أفلاطون وقد حققت حتى الآن نتائج خطيرة . وقد جاءت المؤامرة نتيجة مفاهيم الفكر المادى الوثنى الذى تشكل في صورة الجماعة التي تستهدف تذيب الفرد والأسرة تحت اسم الولاء للجماعة الكبرى .

فقد كان لعوامل كثيرة أثرها الخطير في تقويض الأسرة في الغرب ، من كثرة المواليد غير الشرعيين وزيوع الحياة خارج عش الزوجية وحبوب (م - ٧ المجتمع الإسلامى المعاصر)

منع الحمل ، ونقول مجلة تايم (١٩٧٠) أن الأسرة الأمريكية غارقة في شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الأمة الأمريكية بأبهرها . وقد درس نحو أربعة آلاف متخصص في شئون الأسرة والطفولة أسباب التدهور السريع الذي تنهدر إليه الأسرة الأمريكية فقالوا : أن الأسرة لم تعد لها الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الأساسية في المجتمع ولن تحل الأسرة سيفضى إلى تحليل المجتمع بأسره وأن هذا شبيه تماما بما حدث فعلا في أئينا في القرن الذي أعقب الحرب البولونية وفي روما في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد ، وتساؤل (مرجيت ميد) هل تبقى الأسرة ويجب ريتشرد فارسون أنه لم يعد للأسرة وظيفة .

(٩)

تواجه الأسرة عاذيرو أخطاء كثيرة في المجتمعات الغربية عاينا أن تنبه لها :
أولا - محاولة تجاهل الأمرة كحلية اجتماعية في الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلا بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعواطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها . ولاريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلزل كيان المجتمع نفسه ولا يحمي وجود الجماعة الكبرى
ثانيا - خطأ نظرية التي تحاول أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين ، ذلك لأن مهمة الأسرة إنما تستهدف في الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشء ورعايته وإيصال القيم والمثل التي تحفظ للمجتمع استمراره وتطوره .

ثالثا - محاولة جعل استقلال المرأة اقتصاديا من عوامل تغير علاقتها بالرجل والأسرة ، بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت وتجهدهما وإلقاء بهم إلى الخدم ودور الحضانة ولا بد أن ذلك سيكون له آثاره العميقة في المماناة العائلية التي لا نتيجة نقص الحنان الفطري الذي لا تقدمه إلا قلوب الأمهات .

رابعا - خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين إنما يوقع الأبناء في حيرة نفسية ويشتت عواطفهم ويهدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من (الأب) باعتباره المصدر الأساسى للسلطة .

خامسا - قصور الأمر الجديدة عن رداية كبار السن من الآباء والاهل ، والفقراء والبعداء .

سادسا - صراع الاجيال داخل الأسرة ، مما يؤدى إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك مما يعرض الأسرة للتفكك .

الفصل الرابع

اللباس والزينة

لم تهدد الدعوات الهدامة التي عملت على إخراج المرأة من مهمتها ورسالتها ميداناً أكثر أهمية وتأثيراً من ميدان اللباس والزينة فعارضت بوصايلها وأدواتها ومؤسساتها الخطيرة أسلوب ستر العورة والثياب الواسعة والغطاء فدعت إلى العري والكشف وإبراز المقاتن معارضة في ذلك الغاية الحقيقية وهي الحماية والكرامة ، ولقد حملت دعوة العري فلسفة خبيثة تبرر بها هدفها وتستهدف التحلل الكامل من ضوابط المجتمعات وترى إلى تقليد المرأة للباس الرجل فتلبس مثل زيه وتتساوى في تقليده وتسريحة شعره فتقص شعرها إلى درجة أدنى منه ، وتلبس القصير وتكشف عن فخذيها وتعرض أجزاء من جسمها .

لقد بدأت هذه الدعوات في المجتمعات الغربية التي لم يكن لها من عقائدها مناهج حياة تنظم بها مجتمعاتها .

وقامت مؤسسات كبرى للآزياء تستهدف ضرب كل القيم الأخلاقية وتدفع المرأة دفعاً إلى العري وإلى حرية الإعلان عن جسدها ، وانتقلت هذه الرياح المسمومة إلى المجتمع الإسلامي دون أن تجد من يذمها أو يكشف عن خطرها .

لقد دعا الإسلام إلى حسن اللبس والتجمل على أساس أن اللباس مهمة أساسية هي ستر العورة وحسن لقاء الناس ، وحض على الثوب الأبيض والثوب الواسع مع الاحتفاظ بالفصل بين أزياء الرجال وأزياء النساء

كراهية أن يختلط الجنسان أو يتشبه الرجال بالنساء ودنا إلى الطهارة والتواضع فلا يجز المسلم ثوبه خيلاء ، ولا يرخي شعره ولا يمشي مشية التبختر وأن لا تشبه المرأة بالرجل في لباسها ومشيتها .

ان ملابس المرأة هي مسئولية الرجل وان ملابس الفتاة هي مسئولية الآباء ، وعلى الآباء والأمهات حماية ابناءهم من اعاصير السوموم العاصفة التي تحتاج المجتمعات الاسلامية . ولكن كيف لهذا الجيل من الآباء أن يقدم الهدى ، كيف يقدم الهدى من ليس مهتديا ، ولا بد من رعاية الآباء لمن يلون أمرهم وحمايتهم بين ما يقرؤون ويسمعون ليفاصلوا بين الخير والشر والحلال والحرام .

لا بد من توجيه مستنير إزاء هذا الاعصار المدمر من اغراءات المودات والأزياء وتسريحات الشعر وأصناف العطور المستعارة والرموش والأظافر الصناعية ، ولتعلم أن لكل دين خلقا ، وأن خلق الاسلام الحياة وانما يجب أن نقف وقفة امام الأغنية والكلمة الجارحة والمسميات الكاذبة للطروحة في المسرحيات والأفلام ونعلم ان هذا من الدعائم الأساسية لحماية الأسرة والجماعة كلها ، وقد أصبح التبرج امرأ هينا في نظر الناس وهو جد عظيم في مقاييس الدين وحدود الله وضوابط المجتمع .

ان اجزاءاً من الجسم حرم الله كشفها ليحفظ الشخصية ويرفع الخلق وقد نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعديد من الأحكام في سبيل منع تقبي الأزياء المترفة الباذخة بين ظرائق أتباعه واستنبط منها فقهاء الشريعة الاسلامية نظاما يضم التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء ، يقول صاحب مفتي الأبحر ان الملابس تستعمل في ستر العورة وفي اتقاء فائقة الحشمة والجلود ، ولا يحرم التزيين الا اذا كانت الغاية منه اظهار نعمة الله وآلائه التي من بها علينا ولكن يحرم ابداء الزينة اذا كان الجاعث على ابدانها منبهة

الزهر والخيلاء والكبرياء ومن ذلك كان ارتداء الحرير ولبس الذهب حلال على النساء حرام على الرجال . وقد كانت ملابس الرسول صلى الله عليه وسلم غاية في البساطة والنظافة وقد دعا الاسلام إلى حسن البزة وحسن الهيئة وجعل لباس التقوى خير منها .

وعلى المرأة ألا تكشف عن زينتها ومفاتنها أمام الغرباء إلا ما يظهر منها بطبيعة الحال ، وكل ما عدا الوجه والكفين في المرأة عورة ، إذا امتن الفتنة ، وشروط ألا تكون في حالة تثير الفتنة كأن تكون بارزة الجمال أو تظهر أمام فساق يغالب على الظن أن يتأملونها بشهوة (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) .

وقد جعل الاسلام عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها وليست غطاء يلقي ويسدل على جسمها ، وفرض الحجاب هو في ذاته حفاظ على عفة الشباب الذي يقع نظره عليها لا حفاظا على عفتها هي من العين التي قد تراها . ولكل إنسان أن يتخذ الزي الذي لا يكون بمثابة اعتداء على حرمة الآخرين .

ولما كانت مسئولية كل مسلم هي المحافظة على أخلاق المجتمع كله فقد وضع الاسلام ضوابط للزى أن لا يكون كاشفا للعورة أو لجزء منها وعورة المرأة الحرة جميع بعثها وعلى ذلك فإن أي لباس ينكشف معه شعر المرأة أو ساعدها أو ساقها يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما فيه من دعوة ضمنية إلى الرذيلة والتحلل الخلقي الذي لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، ذلك أن الحياة العامة طلك مشهور بين الجميع . ولا يستطيع أي إنسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع

المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق الأذى بالآخرين والألا يكون اللباس شفافا يشف عما تحته ، والثوب الشفاف لا يرد ساترا ، وأن لا يكون ضيقا كالسروال الضيق الذى يشكل حجم الفخذ ، والمعطف الضيق الأكمام الذى يشكل حجم الساعدين أو يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة ، لا بد فى هذا كله نوع من الإغراء والاىذاء وأن يكون اللباس نوعا من الخيلاء ولازيا خاصا لغير المسلمين .

ويريد الإسلام أن يكون لباس المسلمين شيئا يميزهم عن غيرهم حتى لا تضيع شخصيتهم فى شخصية غيرهم ولا يلاقوا صعوبة فى التعارف بينهم وتبقى الحياة الاجتماعية مستحكمة قوية غير أن الاسلام ما حدد لهذا الغرض هيئة خاصة وإنما جعل العرف العام هو القاضى فى هذا الشأن .

ولقد ندد الاسلام بتشبيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال . واعتبره انحراما عن الفطرة ودليلا على عقلية فاسدة وإبى أن يجيزه الإسلام لأنباعه أما تشبيه أمة من الأمم بأمة غيرها فهذا ينافى الفطرة والعقل ولا يتولد إلا حين تصاب أمة بالضعف والهزيمة وداء الانحطاط وفقدان الحياة .

وقد جاءت هذه الضوابط كلها لحماية الذاتية الاسلامية بدعائمها الخلقية حتى لا تنهار ولا تنصهر ولا تنقرض .

(٢)

لا ريب أن هذا الانحراف الذى أصاب المجتمع الإسلامى فى مجال الزينة واللباس كان بعيد الأثر فى إضعاف الأسرة ، وإصابتها بالوهن ، لأنه زلزل كثيرا من الضوابط التى تهمى وجودها وكيانها ولا ريب أن نوازل مؤامرة الأزياء والزينة قوى كبرى تعمل على السيطرة الاقتصادية ولحدم

المجتمعات . وتقليد الغايات ، هذه القوى التي تملك بيوت الأزياء ويخترع كل يوم زيا جديدا تلبسه أجمل الفاتنات ، من شأن هذه المؤسسة أن تفسد حياة الأسرة وتزلزل ميزانية البيت وقد فرضت نفوذها على موارد المجتمعات فكان لها خطرها الشديد ، وأية الخطر في هذا أن الزينة واللباس انتقلت من المنفعة والضرورة إلى الزخرف والهوى وأن عملية الكشف والعري قد حلت بدلا من الستر والتغطية تحت تأثير رغبات الظهور وعبادة الجمال والأجساد وقد جرى كل هذا تحت تأثير فلسفة العري التي أشاعتها التهودية اليهودية لاغرام الفتيات والرجال على الكشف والعري والإباحة ومن ثم كان إقبال الحشمة ، وبروز الأزياء والأخلاق وذلك وهم خطير فإن لللباس علاقاتها بالشخصية والخلق وهي علاقة جذرية أساسية لا سيال إلى إنكارها فإن الملابس هي التي تعطى الشخصية طابعها ، وملابس البيت في الإسلام غير ملابس الشارع وملابس الرجال غير ملابس النساء ولا بد من وضوح الفوارق بينهما وملابس الشجاعة تعطى الشجاعة وملابس الخنوثة تعطى الرخاوة ، وملابس الممثلين والجوكر تفقد الإنسان طابع الإيمان برجواته ووقاره .

ولقد كانت قصة المودة ، خدعة كبرى تكشفت لكل من حاول الاتصال بها .

يقول صلاح حمدي (الجمهورية - ١٢ / ٢ / ١٩٦٩) أنه ذهب إلى باريس ليقدم خطوط المودة (الموضة) وعاد منها بعد ستة شهور يقول بأعلى صوته : ليس هناك في بلاد الموضة ما يسمى موضة . لقد خدعونا باسم الموضة وضحكوا علينا لترويج بضاعتهم ولكنهم أبدا لا يستعملونها في بلادهم والدليل أني لم أجد في باريس ولا في أوروبا كلها فتاة أو سيدة تلبس (المبنى جب) أو (المبكر وجب) أو تلبس القميص الضيقة التي يستجير منها الجسد . لم أر هناك امرأة يفرق الأسواق على شكل بضائع مستوردة .

وتعلت أن الموضة قبل كل شيء كما يؤكدھا مصمموا الأزياء ھى كل ما يتلاءم من ملابس وتسريحات مع ظروف كل بلد الإجتتماعية والمناخية وأیضا مع تقالیدھا وتاریخھا .

وقال : أن المرأة المصرية مع الأسف خيالية أكثر من اللازم وليست لها شخصية فھى تجرى وراء الموضة بدون وعى ، فھى تلبس (الثوت) رغم قصر قامتها وسمنة ساقیھا وتلبس المینی رغم البروز والمنحنیات الطبیعیة فى جسمھا لقد تركت حضارتنا الأصلية لتجری وراء كل ما یرد من الخارج سواء فى اختیارھا للالوان التى تلائم بشرتها أو نوع النموذج المناسب لقوامھا أو لنوع القماش الموجود فى السوق .

والسبب أن المرأة حین تختار مودیلًا معینًا تنسى نقطتين هامتين :

الأولى : أن الصورة فى أى كتالوج یلعب بها خداع التصوير دوراً كبيراً
الثانى : أن المودیل له نسب معينة لا تتفق مع مقایس المرأة المصرية .

وهكذا نجد أن المرأة المسلمة مخدوعة أشد الخداع إزاء هذه التيارات الخطيرة التى تريد اجتياحھا وتدمير مقومات خلقھا وشخصیتھا .

(٣)

ومن أخطار الزی والزينة تلك المحاولات الخطيرة لتغییر طبیعة المرأة وتغییر المرأة لشعرھا ولحواجبھا وترتیه أظافرھا ، ولقد استشرت ظاهرة الحواجب المندھشة وكشف علماء الطب عن آثارھا النفسیة الخطيرة على المرأة وقد أشار الإسلام قبل أربعة عشر قرناً إلى خطر هذا التغییر وآثاره .

یقول الدكتور وهبہ أحمد حسن (كلية طب جامعة الاسكندرية) أن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ثم استخدام أقلام الحواجب وغیرھا

من ما كياجات الجلد لها تأثيرها الضار فهي كلها مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل الرصاص والزئبق تذاب في مركبات دهنية مثل زيت الكاكاو كما أن كل المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية وكلها أكاسيدات مختلفة تضر بالجلد وأن امتصاص المسام الجلدية لهذه المواد يحدث التهابات وحساسية، أما لو استمر استخدام هذه الماكياجيات فإن تأثيرها ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى فهذه المواد الداخلة في تركيب الماكياجيات له خاصية الترسب المتكامل فلا يتخلص منها الجسم بسرعة، إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ينشط الحبلات الجلدية فتكثر خلايا الجلد وفي حالة توقف الإزالة ينمو شعر الحواجب بكثافة ملحوظة وإن كنا نلاحظ أن الحواجب الطبيعية تلائم الشعر والوجه واستدارة الوجه .

ولا ريب أنه في غيبة القيم الأساسية التي جاء بها الإسلام فإن الأمور تضطرب أشد الاضطراب حيث يحفظ الإسلام للمرأة كرامتها وأتونها ويبقى عفتها وجمالها في نفس الوقت .

(٤)

ومن تحديات الزى والزينة تلك المحاولة التي سقطت في تبعيتها عدد كبير من الشباب المسلم : تلك هي سوائف الخنافس وهي تقليد رديء ومتابعة بلهاء لطبقة عرفت على بعض التلاميذ بالشمايوية اليهودية الشهيرة ، وقد كان أول من قرضت عليه سوائف الخنافس جماعة اليهود الأسرى المصلين إلى بابل فقد أراد بمحض غفلة بلبل عام ٥٨٧ قبل الميلاد أن يجعل لهم علامة فارقة يعرفهم بها الناس فأمرهم أن يطيلوا سوائفهم وألصقهم بهذا التقليد وبدأوا خاتمات يهود يكتبون التلويح فسجلوا فيه عادة إطالة السوائف وجعلوها شعيرة من شعارهم الدينية واتخذوا هذه العادة من ذلك التاريخ من تفرقوا شرقاً وغرباً بعد اضطهاد الدولة البابلية حلوا معهم هذه العادة وأصبحت جزءاً من تقاليدهم ثم ظهر

بعد نكسة ١٩٦٧ توا يمثل يهودى اسمه (دافيد) فى رواية من روايات السينما التى تشرف عليها الصهيونية فى هولايد وهو بسوالف طويلة لأنه كان يمثل دور يهودى متدين وبدأ التقليد . وقد أعلن كثير من الباحثين والعلماء أن شعور الرجال المرسلة تناقض روح اليقظة والتأهب ، وأن محاولة تقليد هذا النموذج من شأنه أن يبدد روح الهزيمة فى الأمم المجاهدة .

وتمتلىء الصحف مع الأسف بتلك الصيحات الهستيرية التى يعلنها بعض الداعين إلى هذه الظاهرة من مصفى شعر الرجال على نحو يؤكد أن وراء هذه المحاولات مؤامرة تستهدف رجولة الشباب وخلقه ، وخاصة حينما نسمع أن هناك ما يسمى مؤتمر أكاديمية مصفى الشعر فى باريس حيث تدرس خطوط الموضة فى تسريحات الشعر وصباغته .

ولقد كان من أخطر الأحداث التى مرت بالمجتمع الإسلامى ظاهرة التحشم وظهور الوشاح الأبيض على رؤوس الطالبات الجامعيات ومقاومة الأزياء العارية ، وظهور الدعوة إلى زى إسلامى لائق بالمرأة المسلمة ، كما دعيت الوظائف والعاملات فى مختلف المصالح والوزارات إلى ارتداء زى محشم وتكون جيل جديد فعلا فى ضوء هذه المفاهيم مازال يواجه التحديات من كل مكان .

وتقول الدكتورة نور الصباح وهى أحدث الداعيات لهذا الزى أن مثلها الأعلى زوجات الرسول ولذلك فهى ترتدى الحجاب وتؤدى الصلاة والحجاب فى نظرها لا يمنع من الاختلاط فى حدود معينة فى الجامعة والعمل والمؤتمرات العلمية وهى تؤمن بطاعة المرأة لزوجها فى كل شئ إلا فى ارتكاب المعصية وإذا حدث أى نوع من الخلاف فإن عليهما أن يحتكما إلى كتب الله .

ومن العجب أن هذه الظاهرة الأصلية الداعية إلى العودة إلى الفطرة قد وجدت من يحمل فيها حملة شعواء على النحو الذى قامت به أمينة السيد فى مجلة حواء (١٨ نوفمبر ١٩٧٢) حيث هاجمت هذه الثياب البيضاء الكريمة ووصفتها بأنها أكفان الموتى. كما وجدت هجوما من أساتذة الجامعات فى المدرجات ومع ذلك فقد صمدت الفتاة المسلمة صموداً قوياً أمام هذه الخصومات الموجهة إليها واستطاعت أن تؤكد وجودها.

وقد كان من أكبر مغالطات خصوم الزى الإسلامى دعواهم الباطلة بأن الثوب ليس ضامناً للفضيلة والوقار ولكننا نقول أنه ثمرة الإيمان فإن المرأة التى عرفت ربها ودينها لا تقبل أن تبرز من جسدها ما حرم الله.

وما تزال هذه الظاهرة الكريمة فى حاجة إلى تعميق وإلى رعاية حتى تصل إلى غايتها.

(٥)

وتحور السيدة عائشة عو الانجليزية التى أسلمت أخيراً مفهومها للآزياء فتكشف عن فهم صحيح جدير بأن يوضع تحت نظر المرأة المسلمة تقول :

تستطيع المرأة المسلمة أن تلبس ما يحلو لها أمام زوجها والعائلة وفى الوسط صديقاتها ولكن عندما تخرج خارج البيت أو عندما يتواجد داخل البيت رجال آخرون غير زوجها وأقرب الأقرباء فى الأسرة فالمتنظر منها ينسى رداء يغطى كل أجزاء جسمها ولا يظهر شكلها. ما أعظمه من تباين مع الآزياء الغربية التى تركز عامدة فى كل عام على كشف مفاتن جديدة فى جسم المرأة للنظرات العامة ، لقد رأينا فى السنوات القليلة الماضية ظهور واختلاف أنواع عديدة من الملابس الفاضحة التى تحمل أسماء مختلفة : الميني (أى القصير إلى الحد الأدنى) والميكرو أى المجهرى والويت لوك أى النظرة التى يندى لها الجبين

والهوتباننس أى الروال الساخن واتوبلس أى الصدر العارى والسيرو أى الشفاف أو انظر خلاله ، إلى ما تحته أو الشفاف ولا هدف لها سوى إبراز أو الكشف عن الأجزاء العورات فى جسم المرأة ويمكن للمرء أن يلاحظ موجزا نزعة مماثلة فى ملابس الرجال التى أصبحت ضيقة لدرجة بدت معها وكأنها جلد الرجل نفسه وبالرغم من أن مصمموا أزياء الرجال قد وصلوا فيها يبدو إلى وقفة مؤقنة إلى أن يتحرر الرجال بما فيه الكفاية لأن يقبلوا سراويل ضيقة تظهر عوراتهم لدى النساء .

إن هدف الرداء الغربى أن يكشف أو يعرى جسم الإنسان فى حين أن هدف الرداء الإسلامى إخفاء أو تغطية الجسم على الأقل فى العلن .

[يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن بين ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين] .

وعلى ذلك فقد فرض على المرأة المسلمة أن تلبس عندما تخرج خارج المنزل رداء يغطيها من الرأس حتى القدمين ولا يظهر شكلها ، أو بمقتضى أقوال بعض العلماء فإن اليدين والرأس فقط ما يلزم تغطيته فى حين قال علماء آخرون بضرورة تغطية الوجه أيضا ، ومن ثم أصبح هناك رأيان فى الموضوع على أن فرض السلوك المحتشم لا يقع على النساء فقط إن وصايا القرآن الكريم موجبة للرجال والنساء على حد سواء ، إن أحد الإجراءات التى تهدف إلى تقوية دعائم الأسرة والتعليل حتى الحد الأدنى من الاختلاط بين الجنسين حجب النساء .

ولا يوافق الأسلوب الإسلامى للحياة على أن يتخذ الشاب له صديقة وأن تتخذ الفتاة لها صديقا كذلك لا يقر حفلات السمر التى يختلط فيها الجنسان والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى المسكرات والمخدرات وغير

ذلك من مظاهر الأسلوب الغربي للحياة المعروف بأنه يهيئ الأوضاع التي
تنشأ فيها العلاقات الرذولة قبل الزواج وأثناء قيامه . وأن التسلية الاجتماعية
في الإسلام يتم عادة أما داخل نطاق أفراد الأسرة وأقرب الأصدقاء إليها
أو بين جماعات منفصلة من الرجال وأخري من النساء لا اختلاط بين
الجنسين فيها .

لا يعتبر الجنس خارج الزواج في الشريعة الإسلامية إثماً خصب ولكن
أيضاً جريمة يدخل مرتكبها تحت طائلة القانون كجريمة السرقة أو
القتل أو غيرهما .

البَابُ الثَّانِي التَّحْدِيَّاتُ فِي وَجْهِ الشَّبَابِ

القضيل الأول

التحديات في وجه الشباب المسلم

إن شبابنا المسلم يسأل عن الطريق الصحيح ، وهو في شوق إلى الخير والأصالة والضوء الكاشف حين يرى تشعب الطرق واختلاف الدعوات التي توجه إليه ، ومنها ما يدعوه إلى الإنطلاق الكامل ومنها ما يدعوه إلى الانطواء التام . أما الإسلام فإنه يدعوه إلى تحرر أصيل معتدل محض بالضوابط التي تحفظ كيانه ووجوده ومحتمة وعلاقاته بالآباء والأمهات والأخوات والزوجات ، وهو يفتح له الطريق للاستجابة إلى الرغبات المادية والأشواق الروحية في نفس الوقت: ذلك التكامل الجامع بين النفس والبدن ، والروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة . وفتح الأمر كله أن يعرف الشباب المسلم مهمته في الحياة التي خلق من أجلها الإنسان ويعرف أمانته ومسئوليته وجزاءه الدنيوي والآخروي . أن الهدف الأساسي هو أن يكون الشباب المسلم المؤمن بالله عاملاً نافعا في بناء المجتمع الرباني الذي يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم وأن يكون مقتنعا تماما أن هذه الحياة مسئولية وتبعة وليست لعبة أو منطلق رغبات وأهواء وأن الدين الحق الذي أنزله الحق تبارك وتعالى هو ضوء هداية للإنسان حتى لا ينطلق مع رغباته وأهوائه وليدله على جوهر طبيعته البشرية ومهمته في الحياة والوجهة الصحيحة لهذه الحياة فإذا تعرفنا إلى هذا كله وجدنا أننا لا ننطلق في الحياة من أجل الدنيا نفسها وإنما لتكون الحياة الدنيا محصلة خير : تصلح به أمر العيش وأصل المجتمع الدائم وتتم لصاحبها القدرة (م ٨ - المجتمع الإسلامي المعاصر)

لأن يكون قوياً على اقتحام المرحلة التالية لهذه الحياة : وهى الحياة الأخرى الكبرى : الحياة فى دار الخلود وليس يعنى هذا أن تنصرف عن هذه الحياة ، ولكن معناه أن نعمل فيها بروح البناء والإيمان وتقدير المسؤولية مع الحق الكامل فى التماس كل معطياتها بما يحقق نوازع النفس عن الطريق السليم الذى رسمه الإسلام لحماية الإنسان من تدمير نفسه بالإنطلاق المندفع ، أو بالانصراف المطلق . فقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذا الذى أحله الله للإنسان لا يجوز للإنسان أن يتجاوز الإصراف عنه كذلك فإن هذا الذى حرمه الله لا يجوز إغترافه . وقد أباح الله تبارك وتعالى كل شيء إلا أشياء قليلة جداً لا تنقص الإنسان شيئاً إذ تجاوزها ، وكل ما أحله ، جعل له أسلوباً قائماً على الاعتدال الكرامة والخلق ، حتى تكون العلاقة بين الإنسان والإنسان والمجتمع طيبة كريمة بعيدة عن الصراع والخصومة والاختقاد ، وهى من طريق آخر تعمل على حماية هذا الكيان البشرى الضعيف من أن يتحطم على صخرة الأهواء والشهوات كما تقيه أن يقع فريسة الاضطراب والتمزق والإحساس بالغربة أو الغثيان .

إذن فهى حرية مضبوطة ، لها إطارها الواسع ، وحركتها الطليقة إلى حدود وضوابط تحمى الفرد من الخطر وتحمى المجتمع نفسه من أن يأخذ أحداً ما ليس له وما هو من حق الآخرين ثم إنامة علاقة سليمة بين مختلف أجزاء المجتمع

تلك هى أهداف الإسلام فى رعاية الشباب : إعطائه أسلوباً فى الحياة ليس عشوائياً ولا تحكمه الأهواء ، ثم إعطائه مفاتيح الفهم الواسع لحياة

ولمجتمعه وللكون وللحياة ولهذا الكون كله منذ برأه خالقة الى يوم تقوم
القيامة وتبدأ الحياة الأخرى يحاسب كل إنسان فيها بما قدم في هذه الحياة
ويجزى بالجزاء الذى يستأهله نعيماً أو عذاباً

ومن هنا فإن تلك التيارات التى تم على الشباب - يجب أن تواجه
بحرص وبقظة وأن ننظر اليها نظرتنا الى أى شئ غريب وافد ، لاهى من
منطلقات مجتمعتنا ، ولاهى مرتبطة بظروفنا ، ولا صادرة من عقائدنا ولا
من فكرنا ولا من تاريخنا ولا من قيمنا ولكل أمة تاريخها وعقائدها
وأسلوب حياتها الذى شكلته قرون طويلة ، وتحديات مختلفة ، ولكل أمة
محاولتها فى معالجة مشكلاتها وتحدياتها وقد إختار الغرب هذه الأيدولوجيات
والنظريات فى معالجة ظروفتها ، فهل حققت نتائج صحيحة وهل أسعدت شبابها وهل
ردت اليه الايمان وهل كشفت أمامه طريق الخير ، وهى من صنع يده ،
الواقع : أنها لم تفعل ، ودلائلنا أن قضية الشباب مع تحديات الحضارة
والمجتمع ما تزال قائمه وهى تزداد كل يوم سوءاً ، إذن فالطريقة التى حاول
النوب أن يعالج بها قضاياها لم تحقق له شيئاً ، فكيف تصلح لنا هذه الطرائق
وهى لم تنجح فى يديها ، من ناحية وتختلف مع ظروفنا وعقائدنا من
ناحية أخرى .

ليعرف شبابنا أن هناك قوى غاصبة من وراء نقل القضايا من بينه الى
أخرى ، من وراء ذلك قوى تريد تدمير الأمم وتحول دون نهضة هذه
الامة المسلمة بالذات وأنى لأرجو من شبابنا أن يقرأ بروتوكولات صهيون
وغيرها من كتابات كشفت عن هذه المخططات ، وفضحت هذه المحاولة

الخطيرة التي ترمى إلى تدمير الشباب لأنه هو صاحب السيطرة على أمة
وجتمعه في الجيل القادم ، وإذا دمر هذا الشباب استسلمت هذه الأمة للتفوذ
الاجنبي الذي يحاول أن يلبسها .

علينا أن نعرف هذه الحقائق ؛ حقيقة الخطر الذي يكن من وراء
التيارات الوافدة ، وسلامة الطريق الذي يرسمه الدين الحق لإضاءة الساحة
أمام النفوس المؤمنة وليس هناك من حماية إلا المعرفة والتعرف على هذه
الأخطار والحذر منها ولكن : كل ما يفد إلينا خطر ، فإن هناك أشياء
كثيرة نافعة وصالحة لكي ننمي وجودنا ولكن على أساس أننا أن يقدموا
لنا ما يترجم ويدلونا على الخير فيه والشر ، ولا يترك هكذا دون مقدمات
واضحة صريحة عما يأخذ منه مما يتناسب معنا وما ندع ، أما الفتاة المسلمة
فإنها تستطيع إذا فهمت رسالتها الحق ، التي تتفق مع طبيعتها وفطرتها وما
أعدت له أن توفق في حياتها ، عليها وعلينا جميعا أن لا تكسر أحكام ديننا
في سبيل إرضاء متطلبات العصر ، ولكن علينا أن نوائم بين متطلبات
العصر وبين ضوابط المجتمعات الربانية الجامعة للأفراد والجماعات من خطر
الانهيار والتدمير . ولتعلم فئاتنا المسلمة أن تعلمها من أجل رسالتها ومن أجل
الغاية الكبرى وهي بناء البيت ورعاية الزوج وتنشئة الأجيال ، وأن هذه
الغاية مقدمة على كل غاية ولا يجوز التضحية بها لأي غرض بل يجب
التضحية بكل غرض في سبيل حماية هذه الغاية الكبرى .

وعليها أن تعرف كيف تختار رفيق الحياة فيمن يقدم عليها أو يرفض
هوذة وصداقته . وليس التقى والآراء ، وليس الوجاهة وطلاقة الكلام

وليس أسلوب البراعة والفكاهة وعبارات التنكيت هي « مفتاح ، الشخصية
المكرمة وإنما مفتاحها الأصالة والجدية والإيمان وتقدير مسؤولية الزواج
والأسرة وتقدير الابن كفتاة وزوجة ، ومعرفة هذه المسؤولية لا تأتي إلا
عن طريق رجل مؤمن بالله عارف بحدوده ، وعن طريق فتاة مؤمنة بالله
عارفة بحق ربها عليها ، أما أساليب البراعات والاستعراضات فهي لا تؤدي
إلا إلى ذلك الخطر الذي يقع من بعد كما نقرأ في الصحف ، أن عملية
الاستكشاف والتعرف والترابط يجب أن تتم تحت مظلة الأسرة والأهل
الذين يعرفون أكثر . والذين جربوا ، وأن يتم ذلك باسم الله وفي حدود
ما أحل الله ، وإلا يكون عن طريق زيارة البيوت الخاصة أو الجلوس في
الأندية العامة إلا بعد العقد الشرعي ، أما هذه الفترة الأولى فلا بد أن تكون
في حاية كاملة ، حتى ما انتهت إلى الفشل لا تخلف أثراً سيئاً .

وعلى الآباء المؤمنين إذا وجدوا الشباب الصالح أن يعينوه وينخفوا عنه
ولا يطلبوا منه مهراً ثقيلاً وأن يعينوا الأبناء في إنشاء عش الزوجية بأنخف
التكاليف ما أمكن ذلك رغبة في إقامة هذه الحياة التي تساعد كلاهما على
الاستقرار والنجاح ، وأن آباء كثيرين من المؤمنين بالله قد قاموا بهذا العمل
وسارعوا إلى إنشاء الأسرة الصغيرة في أحضان الأسرة الكبيرة حتى قبل
أن يتم الأبناء تعلمهم وذلك حماية لهم وحفظاً وتمكيناً ما دام قد ثبت صلاح
التعارف ونجحت التجربة الأولى التي تحت مظلة الأسرة في سلامة الدوافع
ارتقاء إلى الزواج الشريف .

(٢)

إن أزمة الشباب الحقيقية هي عجز الوسائل الأساعية في
الأسرة أولاً وفي المدرسة من بناء روحه ومعنوياته على النحو
الذي تبنى ماديته وجسمه ، فقد ضعفت رسالة البناء الكامل للشباب (روحاً

وجسما وعقلا) واقتصرت في بعض الظروف والإيئات على الجسم والعقل أحدهما أو كليهما أما تربية الروح والنفس والمعنويات التي هي الأساس وكل ما سواها تناع لها فقد تخلفت كثيرا وعجزت الأجيال عن تدبرها تحت ضغط التيارات المادية والمذاهب الوافدة التي حجبت كثيرا من الحقائق والغايات التي رسمها الإسلام.

إن أزمة الشباب الحقيقية هي : أن التغريب والعزو الفكري قد خاق جوا من التناقض والازدواج ولذلك طرح أمام الشباب صورتان وقدوتان ومنهجان وتقييمان وأعطى المنهج القاصر منهما : الضوء الأخضر واللمعان الحافظ بينما حجب المنهج الأصل ثمة ولم يحسن المثقفون والمربون التعرف عليه ولأمر كان المنهج اللامع هو المنهج الذي يدعو إلى التحرر والانطلاق وتحطيم القيود والذي تحتقر الضوابط وتسخر من الأديان والأخلاق بينما للمنهج الأصل يقبع في الأركان ولا يجد طريقة إلى الظهور .

أن قوى كثيرة وأضواء ساطعة تحيط بالمنهج القاصر وتدخل به كل حيث من طريق القصة الجنسية والمجلة الكاشفة والكلمة الجريئة ولكننا نضع أمام الشباب الحقائق كاملة بكل أمانه وندعه يحكم بفطرته ويلتمس الطريق الصحيح .

« وإن تطلع أكثر من في الأرض بضلوك عن سبيل الله »

أقد حرص الإسلام على بناء الشباب وإعدادهم وجعل قاعدة الإيمان بالله هي مصدر الضوء الكاشف الذي ينهر الطريق ويزيل العقبات ويعين على فهم

المعضلات وحل المشكلات قال شباب حين بدأ في الاستيعاب يجد في القرآن الكريم مفتاح الطريق فإذا تجاهل هذا المفتاح عجز عن أن يصل إلى الحقيقة، فإذا حاول أن يلتمس الفهم من تلك الكتب المنشورة عن الحب والجناس والقصة والكلمة الساخرة والكلمة المكشوفة فإنه يكون قد دخل إلى طريق مظلم لا يهدى أبدا وليس في هذا حجر على القراءة والفهم، ولكن محاولة لتصحيح الطريق وتعرف على نقطة البدء ذلك أنه ليس في الإسلام حجر على القراءة والفهم، ذلك أنه ليس هناك في الإسلام مصادرة على فكرنا، ولكن علينا قبل أن نقرأ ونلتمس فيما نقرأ الدليل، أن كل ما نعرف أن كل ما يسبق الفكر الرباني فهو لغو لا يهدى ولا يؤدي، فإذا عرفنا الطريق من الوجهة السليمة ومن النقطة الأولى كان لنا بعد ذلك منطلق صحيح محصن يهدى ولا يضل.

إن علينا أساسا أن نواجه قضايا شبابنا وتحديات مجتمعنا بمفاتيح إسلامية أصيلة مستمدة من فكرنا وتراثنا وبيئتنا، وأن نتجنب تماما تلك المحاولات التي تريد أن تقدم لنا حلا غير أصيلة، أو تنقل لنا تلك الأساليب والمواقف التي تعالج بها مشاكل الشباب في العالم الغربي، فإن المنطلقات لا شك مختلفة ومن ثم فإن المعالجات لا بد أن تكون مختلفة، وبكلمة واحدة فإن تحديات الشباب المسلم ترجع إلى قصور الناحية الوجدانية والروحية وأن الطريق الصحيح هو التماس مفهوم الاصالاة الإسلامية في حل قضايا الشباب.

وليس من ريت في أن الدين وغرسه منذ الطفولة في النشء هو الدرر

الأكبر ضد الانحراف وضد الفساد ، وهو الخلل الحقيقي دون وقوع
الآبناء فريسة التطرف والفساد والانحراف . وأن كل محاولة لحل مشاكل
الشباب لا تعتمد بناء الأخلاق وروح الدين في نفس الشباب هي محاولة
فاشلة لن تحقق شيئاً ولن تستطيع البحوث العلمية أو السيكولوجية تحقيق
أى تقدم إجماعى في شأنها ولا ريب أن محاولة « تسمية » شباب الإسلام
عن الطريق الصحيح وتزييف فكره ودفعه إلى طرق متشعبة مضطربة هي
غاية من غايات المخططات التلمودية والشيوعية والغربية التي تحاول اختواء
الشباب إيماناً بأنهم بذلك يحطمون مستقبل البلاد الإسلامية بإفساد الأجيال
الحديثة ومن هنا تلك المحاولات التي ترمى إلى بث الشبهات التي تقول بأن
جيل الشباب : جيل بلا قيم ، وبلا إيمان ، وأنه جيل يبحث عن نفسه في
الجنس والرقص والمجون والمخدرات وأنه جيل بلا هوية كما صدره على
هذا النحو نعمان عاشور في قصته (الجيل الطالع) .

والواقع أن هذه ليست صورة الشباب ولكنها هي الغاية التي يراد من
الشباب بعد تجريده من الأسلحة الأخلاقية الدينية والروحية أن يصل
إليها .

وأن محاولة تجريد الشباب وإفساده تجري عن طريق تقديم الطامام
المسموم إليه : أفلام الجنس والصور المارية والقصة الاباحية والأغنية
المكشوفة والنكتة القبيحة . بل أن فتاوى المصلين من الكتائب المشهورين
هي أقوى التحديات والأخطار ، فإنك حين نقال فلانا تجد الإجابة
عازكية ونحن نمتحن فلانا نجد الإجابة وجودية ونحن نعرض المسكلك
على فلان تجد الإجابة مادية أو أباحية وأنت في كل هذا تبعد عن الإجابة
الصحيحة : الإجابة الصادقة التي يقدمها لك الإسلام .

ولا ريب أن الشباب المسلم في حاجة إلى معرفة كيفية التعامل مع هذه

التيارات الخطيرة ومواجهة هذه التحديات : والسبيل هو التعرف إلى الإسلام بمعطياته في مجال العقيدة والأخلاق ومنه ما بأنها هي القاعدة الأساسية التي يعتنق بها المسلم لمواجهة كل ما يقابله في خضم المجتمعات وفي ضوء الإسلام يتعرف إلى مختلف المذاهب والأيدولوجيات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية ومن ثم يعرف أن بناء الشخصية الإنسانية يجب أن يتم خارج هذه المؤثرات المضطربة ، وهذا الأسلوب وحده هو الذي يمكنه نقدها وتبيين أخطارها والتعرف إلى جوانب فسادها .

والواقع أن اتهام أجيال الشباب بأنها أجيال ضائعة ممزقة قول يجانب الصواب ، وهو ترديد لكلمات وافدة وما أعتقد أن بلادنا تخضع لمثل هذه المذاهب والنظريات التي تتعارض مع طابعنا وروحنا وذوقنا وتراثنا الذي كونه عوامل مختلفة قوامها : التوحيد والحرية والعدل والارتباط الأكيد بين القلب والعقل وبين الدين والمجتمع وبين المادة والروح .

أن العامل الأقوى الذي يمكننا دائما خارج دائرة هذه اللعبة التفرعية : هو أن يعمق إيماننا بأن نظرتنا إلى الحياة متكاملة وأن طبيعتنا وسطى لا تنحرف ولا تجمد فتحزن لا نقحاز إلى جانب دون جانب ، ولا نتعاز لجانب المادة الذي يقضى على جانب الروح والمعنويات ، ، أننا نوازن بين الجانبين وتزواج بينهما في تكامل ومواءمة . أن جانب الإيمان بالغيب والتصديق بالوحي قائم على جانب التقديرات العقلية والمادية . ومن هنا فنظرتنا بعيدة عن التفرق والضياع واليأس ، أن السر في إزمات النفسية للشباب العالمي هو ذلك الانحسار المادي بكل مفاهيمه واستجاباته ، أمانحن فانتالانعرف تلك التجزئة ولا نستغرق في فكر ليست له مفاهيمنا وقيمنا وعندما نعود إلى أصالة فكرنا وطابع روحنا نسقط هذه النظرة .

أننا لكي لا نكون أجيالا ممزقة ضائعة ، يجب أن نتصل بجذورنا

ولا تفصل عنها ، أن لنا جذوراً أساسية يجب أن نستمد منها كما أن الغرب جذوره التي يستمد منها وجذورها تترابط بالاديان والأخلاق وهي ليست منفصلة عن المجتمع أو المادة . هذا هو مفهوم الأزمة ومفهوم الخطر .

وقد كشف التاريخ في موجاته المتوالية وحركاته المتصلة أن مصدر الخطر على المجتمع الإسلامي إنجليزي "من التخلف عن مفهوم الإسلام أو الانفصال عنه كنظرة متكاملة للسكون والإنسان والمجتمع : نظرة قوامها التوحيد ومنهما العدل والرحمة والأخوة الإنسانية فإذا انحرف المجتمع الإسلامي عن هذا المفهوم كان ذلك عاملاً في تعريضه للغزو الخارجي أو التمزق الداخلي فإذا ما عاد مرة أخرى إلى مفهومه الإسلامي الأصلي استعاد قوته وحيويته القادرة على مواجهة كل محاولات السيطرة .

(٣)

لا ريب أن المفاهيم التي طرحها الفلاسفة المادية والوجودية عن حرية الإنسان وإطلاق قيوده من الضوابط الأخلاقية والاجتماعية وإباحة الطلاقة هي أخطر ما أصاب الأجيال الشابة . بالفراق والاضطراب وهي مفاهيم ليست في الحقيقة أصيلة ولا تتفق مع الفطرة الإنسانية أو القيم الأخلاقية أو الضوابط التي فرضها الدين الحق . وهي عش للنفس الإنسانية ودفع لها إلى الفساد والانحراف .

يجب أن يعرف الشباب المسلم أن الحرية الفردية لها ضوابط وقيود وأنها انتهت حين تبدأ حرية الآخرين . وأنه ليس من حق الإنسان - أي إنسان - أن يأخذ ما يملك الآخر سواء أ كان عرضاً أو مالا أو متاعاً ، إلا بحقه .

ولا ريب أن الشباب يتطلع إلى الجنس الآخر ويجد من اضطراب بعض الأنظمة التي تدعوا إلى تأخير تحقيق علاقته عن الطريق الشرعي ، ما يدعوه إلى التماس الطريق الخاطئ ، أن هناك عوامل كثيرة تؤدي إلى الإثارة : كالصور العارية والقصص المكشوف والأغنية الجارحة ، بل لعل في بعض الأوضاع الواقعية في الحياة الاجتماعية ما يشير أيضاً ، ولكن الشباب المسلم يستطيع أن يواجه ذلك بالإيمان بالله والاعتصام بالله من الانحراف وذلك بالاستعفاف والاعلاء والنسamy . وأن يحفظ عرض من يتخطن به في الدراسة أو العمل حفظاً لعرض بعض أهله . وعلى الشباب في هذه المرحلة أن يستعين بالرياضة والمجاهدة والصوم حتى ينفذ شبابهم من أن تدمره الانحرافات التي ترجع إلى اعتناق نظرية للوجودية أو الحرية التي لا تعرف ضوابط العرض والشرف والكرامة .

والمفهوم الاسلامي يقوم على تيريد العاطفة واعلاء الرغبات حتى يتحقق في إطارها الصحيح، وأن الغريزة أداة طيعة متقلة لكل ما توجه اليه النفس من خوف الله والايان به أو الانحراف عن ذلك وليس صحيحا ما نطرحه للنظرية التربوية الغربية التي تقول : بالتنفيس عن الغريزة ذلك لأن الانسان إنما يصدر في تصرفاته عن حقيقة عقيدته ودرجة إيمانه ، والمسلم مطالب بتقديم الغريزة وتهذيب الفطرة .

ويردد الباحثون المربون مفاهيم زائفة حول المراهقة .

المفهوم الاصيل للمراهقة أنها انتقال جسدى وعاطفى واجتماعى من الطفولة إلى الشباب : أى إلى الرجولة أو الأنوثة ، وليس هو فى الحقيقة انتقال مقاسجى ، واسكنة انتقال طبعى ، وتطور مندرج فى الفهم فإذا فهمت هذه المرحلة فهما اسلاميا صحيحا مرت بسلام فهي أولا نقطة على أن الشباب أصبح فى مرحلة المسؤولية وتكوين الشخصية القادرة على أن تؤدي دورها فى العمل والتأثير والتغيير فى المجتمع . والشباب فى هذه المرحلة اذا اعتصموا بالايان بالله استطاعوا أن يكونوا مثلا طيبا للأخوة والمحبة والصداقة والوفاء ، شريطة أن يتقربوا الى الله بالعمل الصالح وأن يشفقوا أنفسهم ففاعة أصيلة وأن يتعرفوا على حقائق الحياة والمجتمع فى ضوء الإسلام وقنمه وموالمهم وهو ايانهم وشغل أوقات فراغهم بما يبنى شخصيتهم وعملها قومه ونباتا ، أما هذا الجيوشان الوجداني فى أبان المراهقة فإنه يمكن اعلائه والتسامى به الى خدمة الناس ومجبة الآخر والناس هدى الله فى هذا المجال والاستعانة به .

وتغير وسائل الإعلام والاتصال مع المجتمع والانتقال من الأناوية الى التغيير من الأناوية الى الظواهر من الشرائع والتغير .

ولذلك فإن على الشباب المسلم أن يلرب نفسه على خلق أهداف بديلة فى

بمجال الأعمال الصالحة وأن يكون قادرا على التنازل عن بعض الرغبات ما دامت وسائلها المادية لم تتحقق بعد ، والتقبل بالآمر الواقع مع العمل الحثيث لتغييره ، وإذا لم يكن ما يريد الإنسان فليرد (ما يكون) ، وأن يركز نظره على الجوانب الايمانية دون الجوانب السلبية ، والخروج من دائرة نفسه المغلقة إلى دائرة المجتمع وأن ينسى نفسه في سبيل مساعدة غيره وأن يحرص على أن لا يواصل العمل في سبيله الوصول إلى شيء ليس من حقه .

وعلى الشباب المسلم أن يؤمن بأنه حر في اختياره حرية كاملة مع جزائه على قدر مسؤوليته عن كل فعل يفعله على قدر مكانة هذا الفعل من الخير أو الشر وأن الله تبارك وتعالى يهيئ للإنسان الوسائل إلى الغايات الشريفة ، ويخفف عنه تحدياتها فإذا قصد الشباب إلى طريق الخير والعفاف فإنه سيجد نفسه قادرة على تحقيق هذه الغاية إذا ما عزم على ذلك واستعصم بالله وخاف العقاب من الاندفاع في الطريق الآخر .

وقد جاءت التوجيهات في سبيل التماس طريق العفاف بالابتعاد عن الافراط في التعمد أو الانطلاق في الميل الجنسي فإذا بعد عن الافراط احتفظ بقدرته على المقاومة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى تجربة (التوازن) بين القيم المادية والقيم الروحية ، إذ أنه هو أصدق الحلول أمام أزمت الشباب فهو يسد الطريق أمام حدوث انحرافات من شأنها أن تحد من فعالية إحدى هاتين القيمتين فهو تقرر بأن الإنسان ما دام نفسياً وحده من مجموعة من العناصر المادية الأخرى ، وأن هذا النسيج متداخل في طبيعة الإنسان لا فواصل بينه فإن الإسلام يجب أن يتعامل مع مبادئ تنسجم وهذه الطبيعة . وبهذا يشعر المسلم الإنسان بأنه في جميع فعالياته الإنسانية : مادية كانت أو روحية أم مشتركة تشعر بأنه متوحد مع ذاته من جهة ومع مصيره من جهة أخرى

لأنه إنما يقوم بفعالية تلك داخل الأطر العقائدية التي جاء بها الإسلام والتي بالإضافة إلى تحقيقها الحد الأعلى من السعادة الإنسانية في الأرض فإنها تعدد دائماً بالنعيم والخلود في الحياة الأبدية وهكذا يبتعد الإنسان المسلم بالضرورة عن الشعور بالازدواج أو التمزق فيتوحد مع ذاته ومع مصيره المرتبط أساساً بفعالياته جميعاً : ماديها وروحيها .

وفي الإسلام لا يرتبط مصير الإنسان بقيمة واحدة من القيم دون الأخرى ؛ بل أنها جميعاً تتناسق وتنسجم لتشكّل أخيراً مصيره ، وهذا هو الأساس العميق في الإسلام الذي يحفظ وحدة الذات والانسانية من التمزق والازدواج فالإنسان المسلم في جميع فعالياته يسهم في تشكيل مصيره : عندما يسجد لله وعندما يستقرى الطبيعة وعندما يحلّ فكراً وعندما يصارع بآرائه قوى الشر والانحراف وعندما يتحقق بالقيم الأخلاقية الكبرى : كالحريّة والإيمان والمسئولية ولا ريب أن التوازن بين القيم الروحية والمادية يعطى للإنسان مجالاً واسعاً تتفتح فيه قabiliاته وفي شتى الاتجاهات لأنه في أية فعالية يقوم بها لا يتمدى علامت تلك المخططات من جهة ومن جهة أخرى يجد نفسه مشدوداً إلى مصير واحد يستقطب القيم الطبيعية والروحية والانسانية ويتجه إليه بالكلية دونما شعور بالتمزق أو الضياع .

واحتفال القرآن الكريم بكثير من وجوه الحياة — لا بالأمور الروحية وحدها — يؤكد أنه وحدة كاملة من روح وجسد ، كما يؤكد الإسلام ، فإنه ليس هناك وجه من وجوه حياته يمكن أن يكون من التفاهة بحيث لا يقع داخل نطاق الدين .

واقدر عرف الغرب ذلك الصراع لأنه انفصل عن الدين فأصبح يفسر التاريخ والحياة تفسيراً عقلياً فردياً أو تفسيراً مادياً جماعياً وجاءت

موجات تفسير الانسان والحياة على أساس الغريزة (فرويد) أو لقمة العيش (ماركس) كل هذا دفع الإنسان إلى نظرة فيها تحقيق للغايات المادية وتمجيد الغريزة وتسرف في وسائل المتعة واللهو والتساية . ولا ريب أن الأزمة هنا جاءت من العجز عن التوازن أو التكامل أو التوحد مع ذاته ومصيره . ولقد أكد وايم. جي.مس بعد دراسة لهذه الأوضاع في الغرب بأن الخوف والبلبلية النفسية والتمزق ليست إلا وليدة شيء واحد لا ثاني له: هو انكار الفرد على غريزته الدينية حقها ووظيفتها وتجاهله لأهميتها وللدور الذي تلعبه في السلوك الإنساني ونفوره من انماها ورعايتها ،

أن التمزق يصدر عن العناية شيء وتجاهل شيء آخر ، بينما الشبثين شجرة واحدة في التسكوين الإنساني فكيف تغذى فرع منها وتعطش فرعاً أن كل الطرق مفتوحة إلى تغذية الغريزة وأن عوامل كاملة قائمة لها من مراقص وصحف ومسرحيات وعرى وكشف وأندية وعاب ليلية وهي متخمة يفقد فيها الانسان قدراته وقواه وعاقبته وماله بينما هو يغصن اغضاء تاماً عن حق الغريزة الدينية : حق الروح وأشواق النفس ومطامح الوجدان ولما كان الانسان حفة من تراب وفتحة روح فإنه لا بد أن يتوازن وإلا عاش حياة الصراع والتمزق .

ولا ريب أن مركبات الخوف والقلق والتمزق ، وكل ما يتصل بالنفس البشرية من أخطار وتحديات لا تجد له طريقاً إلا بأحياء غريزة الدين . والاحتفال لها والاعتصام بها بل أن علماء النفس الغربيين فيما عدا (فرويد) ومعروفة هويته واتجاهه ومن ورائه) يؤكدون اليوم هذه الحقيقة ويقولون : أن الذين هو مناج الشفاء للنفس وأن الأمراض العصبية ترجع إلى المضاعفات النفسية وأن العقيدة المشكوك بها والتي تدخل ضمن النقاش تصبح قدرتها على الشفاء وأن الانسان الذي لا يعتقد أن هناك إلهاً يعلم الألم

ويساعد عند الشدائد ويرحم ، والإيمان بأنه هو الذى يعطى معنى الحياة ،
من كان فاقداً لذلك مهما كان جباراً عنيداً فهو فى الحقيقة ضعيف مدمر .

ويصل عشرات من الباحثين إلى أن الازمة النفسية الحالية هى من
القضايا الهامة فى القرن العشرين وأنه لإبعاد الشك واستبداله باليقين فإنه
يجب البحث عن الدين الصحيح الذى لا يقبل الشك والذى ينطبق على
القطرة السليمة وتؤمن نحن المسلمين بأن هذا الدين هو الإسلام وأنه هو
بلسم لهذه الجراح وعلاج كل النفوس .

فالله تبارك وتعالى وحده هو السناد والملاذ الذى يلجأ إليه الإنسان
فى الأوقات النفسية فيجد فى كنفه الرحمة والأساة .

ويقول يونج فى كتابه (الدين وعلم النفس) أن الإنسان يصبح مريضاً
عصياً عندما يفقد ثقته بنفسه والثقة بالنفس تكون ثقة غير مستقرة إذا
لم تقترن بالإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه . وأن الحقل النفسى أكثر
خطراً من الوباء والزلازل وأن الحيرة اليائسة والتضارب هى التى تنزل
كيان الإنسان فيقع فريسة الأمراض النفسية . وأن الطمأنينة هى حفظ
صحة النفس وأن عالم النفس يتطلب التوازن الذى يؤيل العناصر الهدامة فى
النفس ذلك أن الخداع والغش يسبب قلقاً نفسياً عظيماً فى قراره النفس لا يمكن
محو آثاره تركبه الإنسان من أخطاء .

ولكن الإسلام يقرر أن المخطئ يستطيع أن يفتح صفحة جديدة وأن
يطوى هذه الصفحة دون أن يصبه منها أثراً فيما بعد سواء من ناحية تبيكت
النفس أو الجوارح الأخرى إذا ما صمم أن لا يعترف هذه المعصية مرة أخرى
وهو ما يسمى فى الإسلام التوبة إلى الله وتطهير النفس من الإثم والفاحشة
وأن فكرة التخفيف من حمل الفساد أو الاعتدال فيه هى نظرية ضالة مضلة

ولا يقرها الدين ولا يقرها البحث العلمي كله جميع ، لأن التخفيف ما هي إلا محاولة لحماية الجسم من الأخطار ولكن عملية التوبة الكاملة هي انقطاع وإغلاق لهذا الباب نهائياً والاتجاه إلى التسامي والأعلاء بالعواطف والنفس في إطار منهج الله تبارك وتعالى والتماس فضله .

وأن تطهير النفس وحماية الجسد هو الأساس الحقيقي لبناء العقل والروح وبدونه يكون البناء نقضا ومنهاراً .

وهناك ممنوعات رئيسية لاسبيل إلى تجاوزها ولا إيجاد تأويل النصوص لتبريرها وابطاحتها وهي الزنا والميسر والربا والسكر والخمور والمخدرات وهذه الأمور التي حرمها الإسلام وهي مرزولة أساساً عند كل العقول السليمة والنفوس الكريمة مستقبحة والدليل على ذلك على أنها لا تمارس إلا في الخفاء ، وهي ممنوعة لأنها تهدم الشخصية الانسانية وتورد متترفها مورد الاضطراب والهلاك .

ولنعلم أن هذه الغرائز التي تعيش في أعماق الانسان إنما هي قوة سلاح بها الفرد لحيره وخير المجتمع وهي التي تحميه من أخطار الفناء ولكن استعمالها يجب أن يتم تحت رقابة العقل ووقاية الضمير ، فلا تتحول غريزة البحث عن الطعام شرها ، وغريزة الانسان فسقا وعدوانا وغريزة الادخار طمعاً وشمأً وغريزة الظهور والسيطرة خيلاً وكبراً وغريزة الغضب والمقاتلة جنوناً وسفكاً للدماء وغريزة حب الاستطلاع بحشاً دينئاً عن عيوب الناس والمعروف أنه من حق كل إنسان أن يكون حراً فهو حق طبيعي ولكن لكل حق ضوابط وضوابط الحرية أن لا تكون عدواناً على حق الآخرين فإذا اصطدمت الحرية بالحق أو بالخير سواء كان خير الفرد أو خير الأمة أو خير المجتمع فإن الحرية الفردية يجب أن تتأقلم وتقيد في حدود الحق والخير .

والواقع أنها ليست هناك حرية مطلقة فإن الحرية هي لهم الضروريات
والحكم في الأسباب.

واقد اعترف الاسلام بالشهوات والرغبات على أنها أمر واقعاً بالنسبة
للإنسان، ولكنه عمد إلى تهذيب مداخل هذه الشهوات ومخارجها فوقف بها
عند الحد الذي لا يؤدي الفرد أكفره أو المجتمع كجتمعه وأباح قطعاً
مفقولاً من المتاع في إطار الشريعة والأخلاق.

وأنه ليس للفرد في الواقع حقوقاً مستمدة من ذاته وإنما هي مستمدة
من شريعة الله تبارك وتعالى الذي أنشأ هذا الحق ومنحه الفرد أو الجماعة وأنه
لا اعتباراً للحق لم يقره الشرع عن طريق النصوص أو القواعد العامة أي
عن طريق مصادر الشريعة.

ويرى الباحثون أن الحرية في مفهومها الصحيح ليست إلا مظهراً
لإنسانية الفرد وشخصيته وكيانه المستقل في الجماعة الأمر الذي ينبغي كونه
آلة اجتماعية مستغرة أو اعشاره مجرد عنصر تكويني واستقلال الفرد ليس
تماماً لا بد أن الفرد مرتبط بالجماعة ارتباطاً تكاملاً وفي دائرة البر والخير
اشراك تعاون.

ولا ريب أن حرية الإنسان شرطاً أساسياً لتنشيط مواهبه وتنمية
ملكاته وهي ليست مطلقة بل هي مقيدة بما يحقق الغاية التي شرعت من أجلها.

ومن ق الشباب المسلم أن نطالع على هذه الحقائق ونقدمها له ، فإذا
أتمنا وجهة التعريرين في حجتها عنه فأنا نكون مقصرين في أداء حق الأمر
بالمصروف والتي عن المنكر وما أعتمد أن الشباب يرحب بأن نحبب عنه
مراجعتهم للنظر المختلفة حول قضية الحرية والتصرف في العلاقات الاجتماعية
أو أن نهدده بعبارات براقة كمثلك التي يطلقها ترفيق الحكيم

أو إحسان عبد القدوس أو زكي نجيب محمود في دعوتهم المسمومة إلى تقديم أبعاد المسائل إلى الشباب بما يطلقون عليه الترشييد أو التوجيه ذلك لأننا وقد عجزت أجهزة المدرسة والبيت - في الأغلب - عن توجيهه وإطلاعه على الحقائق أو تقديم النموذج الكريم لهذه القدوة، التي يتطاع إليها في محيط الأسرة عن طريق (الأب) وفي المدرسة عن طريق (المعلم) فإن الثقافة الإسلامية لا تستطيع أن تقصر عن أداء هذه الفريضة الضائعة ، داعية الشباب المسلم المثقف إلى تكوين نفسه في إطار الإسلام وعلى هدى القرآن وفي ضوء هذه الحقائق التي قدمها الباحثون في الشرق والغرب ، وأنا حين ندفع شأننا المسلم إلى الترشييد إنما نحرص على أن لا يذل أو يدر - ومن حقهم هم أن يصنعوا ما يشاءون بشبابهم أو أتباعهم - وأننا نحاول أن ندفعه إلى الوجهة الصحيحة مبكراً قبل أن تلتقيه هذه المغربات المضلة أو الذنوات المذلة . وليس في هذا الترشييد ما يفرض وصاية أو يلزم أحداً بأسلوب معين وإنما هي محاولة لإضاءة الطريق أمامه ليشكل الوضع الخارجي والداخلي في إطار العصر وفي ضوء الإسلام .

وانه كره دوماً أن يروتوكولات صهيونية تقول :

« أن الشباب قد انتابهم الخيال لانغراسه المـكـر في افسق الذي دفعه اليه أعراننا من المدرسين والخدم والمربيـات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللاتي يعملن في أماكن اللهو وفساد المجتمع المزعومات اللواتي يقطنهن في العشق والترف ،

الفصل الثاني

الجريمة والجنس

لا ريب أن من أخطر التحديات التي تواجه الشباب المسلم المعاصر : الجريمة والجنس فإنهما فرسا رهان الأفلام السينمائية والقصص والمسرحيات ، وهما عاملان خطران تستهدف القوى العالمية المسيطرة على وسائل الثقافة والتسلية والصحافة أن تتخذها وسيلة لدفع الأجيال الشابة عن الأصالة والقوة والارادة المؤمثة وقد طرحت هذه السموم في أفق الإسلام عن طريق أدواتها وأجهزتها المبتوثة في كل مكان : وقد أشار الدكتور أحمد محمد خليفة أستاذ علم الإجرام في كلية الحقوق الى هذه الظاهرة فقال : أن ضغط الاغراء الجنسي ومؤثراته على الشباب في الوقت الحاضر ومنها مظاهر التبرج التي جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين والاشربة السينمائية ولون معين من الصحف والمجلات وقصص البتمة ودعوة الانطلاق والتجمل والرضاء الجسدي : هذه الدوامة الهائلة التي تقدمها الحضارة الحديثة . تفقد الشباب توازنه وتبتلذ تفكيره مما يعجزه عن العمل ويقعده عن الانتاج . وفي البلد أندية وجات فيها من السكر والقمار والدعارة فتلك الأماكن مغارس للجرائم .

ويقول الدكتور خليفة أن مرض الأنفس هو المرض الدائم ، هو مرض الوطن فإذا عولج سهر الاستعمار لتكوين كياناتا النفسى في مجتمعاتنا العصرية على أساس يضمن له استمرار ضعفنا وقد رسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التي اقصر فيها على التعليم الشكلى دون التوجيه النفسى وذلك حرص الاستعمار على ايقاظ شهوات الناس . وقد أصبحت الصحافة صناعة

تجارية تستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم فنشأ مجتمع الملاهي والسينما الماجنة وتمجيد لاعبيها وقد قللت السينما الصحافة في استلهاهم أهواء الجماهير وقد تبين أن عدداً كبيراً من الشباب قد قام باقتراف عدد من الجرائم تحت تأثير الأفلام السينمائية في الجريمة والرعب وقد صاحب ذلك نظريات زائفة نشرها بعض الباحثين والمفكرين الغربيين وهي تحاول أن تصور المجرم لا على أنه مجرم مسئول بل على أنه مريض أوردت نسبة الجريمة إلى الوراثة أو الوسط من تلك المحاولات التي ترمي إلى تبرير الفساد ومعارضة مفهوم الدين في شأن الجريمة والمجرم .

وقد استشرت في السنوات الأخيرة حوادث لحظف البنات : نتيجة إدمان الشباب على مشاهدة هذه الأفلام ، يقول دكتور عاطف وصفي أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة أنه تحت تأثير عوامل مختلفة يتأثر بها نمط معين من الشخصية تأسم بالتهور والجرأة وحب المغامرة يتصور الشباب أن خطف فتاة والإبتداء عليها ليس جريمة ويقول أن ذلك جاء تحت تأثير استمرار ظاهرة أفلام الجريمة والجنس حتى خيل للشباب « شرعية » هذه الظاهرة في المجتمع ، ومع فقدان روح الفهم للدين والأخلاق والضوابط بين الجنسين والقيم الاجتماعية الأساسية .

ولقد كشف كثير من الباحثين الاجتماعيين عن مدى خطر أفلام العنف (الكارتية والوسترن) وإنها تدفع النشء الشباب إلى تقمص الروح الشريرة فيصبحوا مقلدين لذلك وتلك من الذين يشاهدونهم على الشاشة الفضية أو البلورية .

ولا ريب أن أفلام الجنس والأباحتة والمخدرات والمزقات هي دعوة مباشرة أو غير مباشرة للأباحتة والفساد .

والمعروف أن الهدف من وراء تلك الأفلام إفساد خلق الشباب
وصرفه عن صلوة الطلعي بنشر الرذيلة والدعارة ولا ريب أن
هناك مفهوماً للجريمة في الإسلام يختلف عن مفهومها في الفكر الغربي
الإسلام لا يقر نظرية المبروروا التي تقول بأن الإجرام صفات وراثية أو
أنه خلل في الفرد وأنه من أجل ذلك لا مسئولية على المجرم . ولقد تبين
أن ما نسميه غرائز إنما هي ميول لدنة يمكن توجيهها إلى أي ناحية وأن
تسعة وتسعين في المائة مما نسميه غرائز إنما هي اتجاهات اجتماعية قد غرسها
فيها المجتمع برجوع انعكاسية .

فالمجرم في الحقيقة إنما يرتكب جريمة بعبادات ذهنية وعاطفية واجتماعية
وليس بعزلة موروثة ولا ريب أن وازع الدين وحدود الله من شأنها أن
تقيم المعرج في تصرفات الإنسان وتحول يدينه وبين الجريمة خشية عقوبتها
وأنارها على شخصيته في المجتمع .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجنس فإن إطلاق الأفلام المكشوفة
وتكرارها وتعمدها إنما يوحى إلى النفس التي ترى ذلك كله متطابقاً
ومسموحاً به إلى الاعتقاد بشرعية هذه الأوضاع وإنها طبيعية وليست
محظورة وهذا هو الخطر .

وقد استشرى مفهوم الجنس والإباحة الجنسية في المجتمعات الأوروبية
والقصص والمسرحيات وانتقلت أعاصيره إلى أفق المجتمع الإسلامي .

وقد جرت وراء فكرة إذاعه الجنس محاولات مضللة حطمت أجيالاً
متعددة ودمرت وجودها وكيانها ولم يقنيه إلى هذا الخطر إلا بعض الآباء
والأمهات إلى رفض تعليم أولادهم الجنس في المدارس والعودة إلى الفضيلة
والتقاليد وإلى احترام الفتيات لأنفسهن والبعد عن الموجة الإباحية التي
سارت لسنوات طويلة في بلاد الغرب وتقول السيدة المريية مرجيت وابيت

وزميلتها جاينت كير أن الرجل مهما كان بفكره يفضل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها في متناول الآخرين وأن القول بأن الموضه هي تعلم الجنس وإباحة الحديث عنه وإطلاق اسم الواقعية على اسم ذلك الإسلوب هو مجرد هواء وطو فارغ . وقد طلبت السكاتبتان من كل فتاة رفض دعوة أى رجل يشتم منه رائحة ممارسة حياة الفوضى وطالبوا الآباء بأن يعلموا أولادهم منذ الصغر على الحياء في مناقشة الأمور الجنسية والابتعاد عن هذه الموجه المدمرة التي تطالب باسم الموده نشر التعليم الجنسي في المدارس وبمعالج كتاب (التعليم الحقيقية للجنس) مرحلة خطيرة في حياة الفتيات هي مرحلة المراهقة فعندما تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاما ويكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم تجاه هذه الأمور .

وغالباً ما تجد الفتاة نفسها مضللة وتتحرك وفقاً لمواقفها وأيس وفقاً لعقلها . وتقول السكاتبة : أن الآباء والأمهات يجب أن يزرعوا فيهم بدلاً من الخوف من الجنس ، حب النقاء والطهارة تمهيداً لحياة زوجية نظيفة وعليهم أن يفهمون بأن التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أياً من الجنسين يثق في الآخر .

وعندما تقع الفتاة في تجربة وتخفى عن والدتها تكون قد وقعت وحدها في مشكلة وتجد نفسها تنخرط في حياة تفقد فيها احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها .

وقد اكتشفت الدكتور جرتود أن الكثير من الفتيات كن ضحايا مدارس تعليم الجنس وأصبحن لا يحترمن القيم والتقاليد التي عاشت عليها الأسر العريقة منذ عشرات السنين تحتاج إلى جهد مضاعف لا نقاذ العشرات من آلاف الكتب والمحاضرات والصور والأفلام التي تدفعن دفعاً وراء عالم يلقي بهن إلى أسفل الحدود ودعت الدكتور جرتود إلى صحوه الآباء

والأمهات للعودة إلى مجتمع القيم والتقاليد ويجب أن لا نظلم الرجل ونقول أنه المسئول عن هذا التدهور فالرجل مهما كان تفكيره ومهما كان متحرراً يفضل في قرارة نفسه أن يزوج من فتاة ذات قيم ويحترم شخصيتها ولا تلتقي بنفسها في وحل الخطيئة .

إن البصيرة منذ القدم تقوم على أساس أن الرجل يحدد ذاته في امرأة واحدة أما التعدد فهو ليس من طبع ما توارثته المجتمعات من قيم وتقاليد ، هكذا يواجه المجتمع الغربي ذلك الخطر الذي يسحق مجتمعه سحقاً ، وما أمرنا نحن أن نحذر فلا تقع في هذا الشلل المدلهم . وأن نعرف ما وراء هذه المحاولة الخطيرة التي تعمل على تدمير مجتمعاتنا وشبابنا .

(٣)

يقول كارل باسبرز : « في عالم محروم من الله ظهر ماركس نبياً واتخذ القوالب التي يستطيع العالم أن يقنع بها وأن يهمل لها و كمال طبيعياً أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدرسية في منهج مهزوز في عالمنا المقلوب . هذا وقد أحس الناس بحاجة شديدة إلى التحرر وجاء التحلل النفسي فرودهم بهذا الوهم . إننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتي الذي هو نتاج صادق لهذا العصر المفتون والذي يسير جنباً إلى جنب مع أساليب السحر والتعاويذ التي استولت على عقول الناس ،

لقد كان فرويد هو الذي ابتدع ذلك المفهوم الزائف الذي سيطر على القصة والمسرح والسينما والأدب العربي جميعاً حين أعلن أن الجنس هو وحده الذي يفسر تصرفات الناس . وهو مفهوم لم يقر به علماء النفس وعارضوه وكشفوا زيفه وأعلنوا أنه واحد من عدة عوامل .

وقد عملت "يهودية" المادية كل ما في وسعها لبيث هذه المبادئ وفق

خطة لتحطيم المجتمعات الإنسانية وتدمير القيم الدينية والخلقية وإفساد العالم وبمثرة قواه وتضعيف مقوماته وتشكيله في خصائصه .

وإشاعة الإضطراب فيه ودفعه في أحضان الرزيلة وقذفه في ثورة الانحلال .

ومع الزمن أعلى الأعلام الصهيوني مفاهيم فرويد واستعملها في غاياته الخطيرة وفرضها في مناهج الدراسة بالجامعات في مختلف أنحاء العالم كله بما فيه العالم الإسلامي نفسه ومع الزمن اكتشف علماء النفس زيف مفاهيم فرويد وجأت التطبيقات الإحصائية تؤيد أنها معارضة للانطردة وطبائع النفوس

وقد جاءت واحدة من هذه تزيف نظرية فرويد التي تقول أن الفتاة تحب أمها وتكره أباءها وقد أجريت التجربة العلمية فن خلال لوحات ثمانمائة طفل من أعمار تتراوح ما بين السادسة والخامسة عشره لموضوع الأسرة ، ظهر أن الأطفال من الجنسين يرتبطون بالأم ارتباطاً كاملاً لهذا تظهر صورة الأم في رسومهم مكبرة دائماً عند الصبيان بنسبة (٣١ في المائة) وعند البنات (٥٢ في المائة) ويعنى هذا أن ارتباط الطفل بشكل عام بوالديه في هذه المرحلة يحدث بنسبة متقاربة وهذا يخالف نظرية فرويد التي ترجح ارتباط الابن بأمه وكرهيته لأبيه .

كذلك زيفت دراسات العلماء نظريات الكبت وفساد رأيه في أن إعلاء الرغبات يؤدي إلى العصاب فقد كشفت الأبحاث أن الإنسان قادر على تأجيل رغباته النفسية وإعلانها دون أن يصاب بأذى .

وتبين من العديد من الأبحاث بظاهرة الانهزامية الواضحة في الفكر اليهودي كله وفي مجال الاقتصاد والاجتماع ، وخاصة في الفرويدية .

وأن محاولة اليهودية لإطلاق عبارة (حيوانية الإنسان) إنما تهدف
تخثير البشرية وهي دعوة بدأت مع تفسيراتهم لنظرية دارون واشتدت في
اللوكمبية والفرويدية وهي نظرية تعتمد أصولها من فهم اليهودية للعالم بأنه
(جويم) وأنه أطبع مسخر مشياح للجنس المختار.

ولا ريب أن مفهوم الإسلام للجنس واضح وأصل فالجنس في الإنسان
فطرة وغريزة تولد مع الإنسان وتنمو معه ويتصل وجودها بوجوده
ويمكن أن تكون شراً إذا فارقها عن غير طريقها الطبيعي والصحيح الذي
حدده الأديان ووضعت ضوابطه.

وقد كشفت الأبحاث الحديثة عن سلامة مفهوم الإسلام الجامع وفساد
مفهوم الجنس عن فرويد. أن الدين هو العلاج الوحيد للاضطرابات النفسية
ويقول استيكل إن المرض النفسي ذا صلة كبرى بالضمير أو بالذات
الأخلاقية، ويحدث القلق الذي سيؤدي إلى الاضطراب عندما يقوم الفرد
بأعمال كان يتمنى ألا يقوم بها.

وأن هناك علاقة بين المرض النفسي وعذاب الضمير، وإنهما شيئان
مرتبطان متلازمان يسيران جنباً إلى جنب، وأن الألم قد يكون له تأثير ضار
مدمر للشخصية عندما يشعر به الإنسان ولا يستطيع أن يعبر عنه أو يعبر عنه
وإن الدين من العوامل المعينة للإنسان للتغلب على المؤثرات والصراعات
التي يتعرض لها وقد ساعد الأفراد على مر العصور على مواجهة قوى
الظلم والاستعباد.

والمفهوم الجديد للمرض النفسي لا تقوم على أساس الكشف عن
النزاعات اللاشعورية ومساعدة الفرد على إشباعها أو الشعور بها بل مساعدة
الفرد على أن يسترخي ويبدأ ثم يتراجع، والوسيلة في ذلك مساعدة الفرد

ليعمل على إرضاء الله تبارك وتعالى وأن هذا السلوك الروحي من شأنه أن
يعيد إلى النفس طمأنيتها وإلى الشخصية تكاملها . أن ملازمة الذات عملية
يستطيع أن يقوم بها المعلم ورجل الدين والموجه النفسي والآباء والأمهات .

والتفسير الديني للمرض النفسي يترتب عليه نظرية علاجية تعتمد اعتماداً
كبيراً على الدين لأن الدين هو الطريق إلى العقل والطريق إلى القلب أن
الدين يحدث نوعاً من غسيل المخ للفرد . والدين هو الطريق إلى بقاء
ودوام القيم الإنسانية التي تعتبر إداراً أساسياً لسلوك الفرد وتصرفاته
وأسلوب حياته ،

وهكذا نجد أن فكرة فرويد تهدم على الأيام وأن البشرية تحاول العودة
إلى مفهوم الدين الحق .

الحب الحرام

تعمل أجهزة التليفزيون والراديو والسينما والمسرح عن طريق الاغنية
والمسرحية والرواية على التحريض على الحب الحرام وان كلمة (حب)
التي تتردد في هذه الاجهزة عشرات المرات كل يوم لا تعنى إلا مفهوم واحد
هو مفهوم الجنس والتحريض على اقامة علاقات غير شرعية بين الرجل والمرأة
أو الفتى والفتاة وفي ذلك من الخطر ما فيه ، ذلك ان هذا الزكام الخطير يحاول
أن يقدم للشباب المسلم مفهوماً زائفاً عن الصلات الطبيعية والشرعية بين الرجل
والمرأة وأنه يفسر هذا المفهوم الكريم الذي يقوم عليه الزواج وتوحي بان
الشباب يستطيع أن يحقق رغباته دون حاجة الى سلوك الطريق الصحيح
أن الروايات والاغاني جميعاً تطرح مفاهيم مسحوق من شأنها أن تضرب
كل القيم الأساسية للمجتمعات وأنها تحطم كل الضوابط التي بها تقوم
أُمور الحياة والعمل .

وأبرز ما تقوم به هذه المحاولات إفساد كلمة الحب بمعناها الصحيحة :
حب الآباء والأبناء والأخوة والحببة للصديق والزميل . فالحب في معناه
الأصلي هو جمع الفضائل الإنسانية : وإليه ترجع الأبوة والأخوة والنبوة
والأمومة والصدقة ولكن هل هذا هو الحب الذي نعلمه لشبابنا إذاعياً
وتليفزيونياً ..

يقول الأستاذ حافظ محمود الذي أثار هذا التساؤل : إننا حينما نشبع في
أذهان الناشئة أن (الحب) هو الضغل الشاغل للفتيات والفتيان فليس شك
أننا بهذا اللون من التوجيه غير المباشر إنما نقدم لهم دعوة ضمنية بعدم احترام
أوقات العمل أو التعليم .

ويقول حافظ محمود : إنني أريد أن أقول لمؤلفي وناشري الاغاني أن
(الحب) هذا الذي لا وصف له إلا الحمس واللبس والعتاب على الخيانة
في هذه الاغاني ! معناها أن فتاة أو امرأة تفخر بعواطفها فتستبدل فتى بفتى
أو رجلاً برجل لأسباب لا علاقة لها بالعاطفة وهكذا تهدد الاغاني كرامة
الحب وتصوره بصورة التجارة بالعواطف كذلك فإن التمثيليات في التلفزيون
أو الراديو التي لا يمكن حجبها عن الصغيرات والصغار من المشاهد أو
الاستماع ، تقدم أساليب خطيرة للفساد والجريمة والافلات وطرق اللقاء
بين الجنسين أو التسكلم تليفونيا بعد أن ينام الكبار ، ولا ريب أن هناك
كلمات كثيرة تلقى في هذه التمثيليات تترك آثارها العميقة في عقول الشباب
وقلوبهم ، وهي في مجموعها تحقر العلاقات الاجتماعية بين الآباء والإمامات
وبين الأزواج والزوجات وتكون عاملاً خطيراً في فساد الزيجات والعلاقات
وليس من الإمكان أن تعالج مثل هذه المسرحيات العابثة واثمة على الأهواء
لحل مشاكل المجتمعات وليس أخطر من أن تقدم مسرحية مليئة بالعبث
والفساد ثم تأتي خاتمها بعد ساعات لكي تكون النهاية هي الطلاق أو القتل

فإن هذه النهاية مهما كانت حكمياً فإنها سوف لا تترك في النفس مثل الاثر الخطير الذي تركه الاستعراض الطويل للعلاقات الفاسدة .

يقول حافظ محمود : كم مرة تتكرر كلمة (احبك) من شاب طائش لفتاة غريزة كم مرة تتكرر هذه الكلمة من امرأة أو من رجل في مشاهد التمثيليات وما هو الجو الذي تلقى فيه هذه العبارة . إنه جو هروب من البيت أو المدرسة أو العمل أو هروب من الواجب نفسه ، جو خداع متبادل أو من أحد الطرفين للآخر ، جو يوحى للمراهقين والمراهقات أن عليهم أن يحطموا كل القيم في سبيل كلمة (أحبك) أنه من المكروه والمزول هو الصراحة التي تعطى للناشئة في هذه التمثيليات خاصة وأن هذه الصورة تعتمد دائماً على كلمة تقليدية رخيصة جداً هي أن الحب ليس حراماً ، أي حب هذا الذي ليس حراماً ، أليس حراماً أن يخلوا إثنان من المراهقين أو غير المراهقين بعيداً عن الآعين . وكنا نعرف معنى الخلوة في مراجع الشريعة والآلة نون ولكن الحرام هذا يقع على صاحب التمثيلية أو الأغنية أنه شريك بالتحريض في كل جريمة تقع بسبب أو هام الحب عند الناشئين . بل أن أكثر من هذا يقدم مبرراً فكرياً للفتية الطائشين الذين يقفون في نواصي الطرق التي تؤدي إلى مدارس البنات في محاولات متكررة لإغراء هؤلاء البنات ،

وأنه لمن المؤسف تماماً أن تكون مشاهد التمثيليات المذاعة والمرئية لقد استغلت كثيراً كلمة الحب ، وأصبحت بمثابة لا تصور إلا حب المضاجع والسهرات الجراء وليست هي تلك العاطفة الكريمة وليس من شأن الفنون أن تحطم العواطف والقيم والأخلاق ولكن على الفن أن يتحرك في إطار الفضائل ، ويكون تصعيداً لغرائز الإنسان وإعلاء لطابعه .

ولقد وقف الإسلام موقفاً صريحاً في الدعوة إلى العفة وإلى توجيه العاطفة إلى الزواج دون أن يترك تلك الفجوة التي من شأنها أن تفسح

الطريق الزوجات والامداد، وأن تكون علاقة الشباب بالشباب علاقة عينية
بالعلاقة مع الاخوات الصغيرات، ولهذا فلا إحصاء لا لرجل للناس ولا لرجل
لأخيه . وأساس العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام هي التعفف والحذر
من العلاقات غير المشروعة وأوجب على مرتكبيها اقصى الحدود وجب
الزواج ويسر أسبابه . قد أفصح المؤمنون الذين هم لغروهم حاقظون .
وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح وصريح . يأممشر الشباب
من استطاع منكم الباءة فليزوج فإنه اعرض للبصر واحصن للمرج ومن لم
يستطع فعليه بالصوم فإن له وجاء .

وعلى الشباب المسلم المثقف أن يفرق بين العاطفة وبين الشهوة وأن
يعرف أن هذه العاطفة هي منطلق العلاقة الطبيعية التي شرعها الحق تبارك
وتعالى لتلاقي الرجل والمرأة في أسرة رشيدة تدنى وتشيد وتعمر السكون وأن
يعتصم الشباب بربهم في الإعلاء وأن يوجهوا عاطفتهم إلى العمل النافع الذي
يمكنهم من الحصول على رغبتهم من الطريق السوى : طريق الزواج المشروع .

وعلى الشباب المسلم المثقف أن يعرف أن الاتصال بين الرجل والمرأة
شيء غريزي ولكن الإسلام هو الذي نظم الحياة ووضع ضوابطه وقوانينه
 وحدوده حتى لا يقع الجنسين أو أحدهما في الإغتصاب أو الفساد للسلاسل
 وحتى يحتفظ المرأة بكرامتها وحتى لا يستطيع الرجل أن يخذلها أو يأخذ
 حقها أو شرفها ولذلك حدد العلاقة بين الناس باعطاء الحرية إلى الحدود التي
 لا تتحقق عليها أ على الآخرين .

وقد جاء تحريم الزنا احتراماً للمرأة وتنزهها لها عن العبث وارتفاعها بها
 أن تكون أداة متعة للرجل وحتى لا ينسب الطفل لغير من أنجبه وقد كان
 لتحريم الزنا وعقوبة الرجم أكبر الأثر في القضاء على هذه الجريمة فلك أن
 عقوبة الرجم لم تطبق في التاريخ إلا على آحاد .

ولا ريب أن قيام المجتمع الإسلامى بإعداد الضوابط من شأنه أن يحمى هذا المجتمع من آثار الإباحة التى تدفع إلى الاختلاط والفاحشة .

إن هذه الأفكار المسمومة التى يطرحها دى سيمون بوفوار و فرانسوا ماجان وما يمتلئ به القصص الجذسية من كلمات ومفاهيم إنما هى د أهواء ، ضاللة حاولت أن تتمثل فى صور فنية براقة لا ينجذع بها المسلم المثقف الذى يعرف مداخل الأمور ومخارجها

وقاعدة الإسلام الأساسية هى العفاف والاتصال فى الإطار الذى شرعته الأديان . فالمرأة هى الأم والأخت والأبنة وما ينبجيه الفرد لنفسه أذى أى امرأة يمكن أن يكون نفس مصير أهله وبناته . وقد أحاط الإسلام هذه العلاقة بكثير من الضوابط التى يحميها من الفساد والاضطراب وتحركها فى إطار العفاف والكرامة ورعاية العرض وحماية الحدود وتكريماً للعلاقة التى بين الزوجين .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام الموسيقى والأغاني التى تشير الغرائز ، وحرم ارتياد حفلات الرقص وكل ما يثير الغرائز والأندية العامة وكره للمسلمين معطيات الحصار من الخمر والكشف والاختلاط وأدوات منع الحمل والإجهاض لأنها كلها من العوامل التى تفسر العلاقات بين الرجل والمرأة ودعا بالجملة إلى تبرير الغرائز وليس إلى هاجتها وإثارتها .

الفصل الثالث

الفن

يقوم المفهوم الاسلامى للفن على استحالة التناقض مع الفطرة فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة : دين الاسلام فى شئ ، فإذا خالفت فى أصوله ودعت صراحة أو ضمنا إلى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لمحاربتها وعاقبت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لإيجابها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقى فى النفس والروح ، إذا خالفت الفنون الدين فى شئ من هذا أو فى شئ غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق وأخطأت الفطرة التى فطر عليها الناس والحقاق (محمد أحمد الغمراوى) .

ومفهوم الفن فى الإسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر يتكامل مع الأدب والاجتماع والاخلاق والدين والحضارة ، وهو فى الإسلام له طابعه الأصيل الواضح المبين لمفهوم الفن فى الثقافات والحضارات الأخرى ، وقوامه الاخلاق وطابعه التوحيد ، يتسامى بالغرائر ويرتفع بالنفسي الإنسانية إلى الكمال دون أن يبعد عن الواقع والفن فى نظر الإسلام أداة تجميل ووسيلة الاسعاد الروحى والنفسى بتحرير الإنسان من عالم الاهواء والغرائر وأطلافه فى نظرة حرة إلى الكون والوجود يعرف فيها قدرة الله وعظمته ويزداد بها إيمانا .

وقد كان الفن اليونانى بطابعه المادى الوثنى يجعل الاولوية للتمائيل المجسمة ، إعجابا بالاجساد وعبادة تصور الجمال ومظاهر القوة ولكن الفن الاسلامى مستمدا من مقوماته الأساسية يجعل البيان والشعر والأدب

في مقدمة قائمة الفنون ، الكلمة البليغة والفكرة الموحية ، وذلك انتقالاً من عالم المادة إلى عالم الفكر ، فالتأمل أوسع العوالم ، والفكر في خلق الله أعظم معطيات العقل والروح : (نون والقلم وما يسطرون) وبذلك أصبح رائد الفن : البيان الذي يتمثل في أسنى صورته بالقرآن الكريم وبذلك رفع الإسلام الفكر البشري إلى الأمام انتقالاً من مفهوم الماديات في الفن إلى مفهوم المعنويات ، وسلك المعنويات والماديات في إطار جامع متكامل ، وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخاصة التي تقدس الجسد والشهوات والغرائز والوثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس ، ودفع البشرية إلى الانتقال من تجسيد البطولة في صورة مادية إلى تكريم عمل الإنسان نفسه .

وأبرز سمات الفن في الفكر الغربي لا تجد في مجال الفكر الإسلامى مجالاً لها :

أولاً : المسلم لا يعبد الجسد الجميل عبادة وثنية بحيث يقدم له القرابين وكل ما يتصل بذلك من أساطير الحب والجمال عند الإغريق وهى حافلة بالمبازل لا تجد في أفق المجتمع الإسلامى قبولاً .

ثانياً : الإسلام لا يقر الصراع بين الآلهة والإنسان أو بين القدر والإنسان ، على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر والآلهة ولا بأن الطل الصالح يتحطم على يد القدر والآلهة وكل هذه المعانى المأساوية مستمدة من فكرة الخطيئة الأصلية .

ثالثاً : المسلم لا يؤمن بتعدد الآلهة ولا تجسيد الآلهة في صورة وثن حسي (١٠ - المجتمع الإسلامى)

جلوس كالمثال العديدة في العقائد الغريبة . في ذلك الخلط العجيب بين
السبحة والطائفة .

رابعاً : المسلم لا يؤمن بعبادة الطبيعة أو المحسوسات .

ومن هنا فإن مفهوم الفن في الإسلام محدد من كثير من هذه القيم
التي يقوم عليها الفن الغربي والتي تتعارض أساساً مع الإيمان بالله الواحد .

٢ - كذلك فإن الإسلام لا يقبل تجسيد البطولة في صورة مادية ، ليس
فقط حفاظاً على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والأصنام التي
كانت تمثل عبادات ما قبل الإسلام ، ولكنه ارتفاعاً بالنفس الإنسانية من
أن تتمثل في مفهوم مادي ، بينما جاء الإسلام محرراً به للبشرية من التجوذة
بين المساديات والمعنويات . والفنان المسلم له طابعه المبدع متحرراً من
الخضوع للذاهب الوثنية التي تقول بتقليد الطبيعة أو التفوق عليها ولذلك
فهم قد طرق آفاقاً أخرى غير هذه الآفاق ، في التعبير عن المعاني فأوجد
أنواعاً من الخطوط والدوائر والزخارف والوحدات المتشابهة والمتداخلة .

وقد أبدع الفن الإسلامي في مجال رسوم الحيوان والطير ، وتصوير
الآحياء ، وغزا الفنان المسلم جميع فروع الفن الإسلامي من مخطوطات
وأخشاب وعمارة وزجاج ومعادن وعاج وزخرف ومسوجات كما زينوا
كتب العلم والأدب والدين والتاريخ بصورة سر بعض ما تتضمنه من بحوث
وإحداث . وقد خلق الفنان المسلم من الحروف العربية ذات الأشكال المتباينة
والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً يتمثل فيه الجمال والقوة ، وإقامة فن
الرقش ، أو الأرابيسك على وحدات متناسقة على نحو غاية في البهجة
والرواق الجميل .

وهكذا خلق الفن الإسلامى مذهباً جديداً مستمداً من خصائص الإسلام فكان فناً منطلقاً وتجيدياً مميزاً وليس جامداً ؛ وأن المرقشة فى الفن الإسلامى حيث لا مبدأ لها ولا منتهى ، إنما تتمثل مفهوماً من مفاهيم التوحيد لأنها تسمى وراء الله الذى هو الأول والآخر ومنه تنهى الأسباب وإليه تنهى المسببات والرقش حين يمتد بلا نهاية ، إنما يسمى وراء الصورة المثل ، وهذه اللانهاية إنما تحمل دلالات هامة للروح الإسلامية التى آمنى بالله غير المنظور وغير المحدود ، فالفن بهذا هو الممثل الأعلى لمفاهيم الخير والحق والجمال وإليه اتجهت قلوب المؤمنين لترتفع إلى مستوى هذا المثل الأعلى عن طريق العمل الصالح أو طريق الاجتهاد والإبداع (بتعرف عن بشر فارس ومحمد عبد العزيز مرزوق) .

وينطلق الفن الإسلامى من مفهوم الفكر الإسلامى الذى يرتكز إلى حد بعيد على القاعدة والعقل ويتعدى عن الموى والأسطورة والارتجال ، ولقد كان قبول "فن الإسلامى" لنظام التوحيد مصدر المحافظة على الوحدة والمكانة والشخصية وبقيت بذلك الروح الإسلامية هى المنبع الاساسى للمصادر الجارية والدلالات العميقة للشاعر المبدعة .

٣ - وقد شهد جوستاف لوبون وبرجسون وهاملتون جيب على أن الفن الإسلامى يحمل شخصية مستقلة متماسكة جدرة بالإعجاب ، وأن الحد الذى وقف عنده الفن الإسلامى فى إبراز عملية الخلق هو حد الإسلام ، الذى جاء على مبدأ التوحيد ولذلك فهو يرفض كل شريك لله فى قدرته الخالقة .

وقد أشار الباحثون إلى أن الخط فى الفن الإسلامى كالكلمة فى الشعر تسيرون وفق تأثير داخلى من الرسام فكما أن الشعر يستعمل الكلمة حسب وزن الشعر وقافيته ، كذلك الرسام المسلم يكيف الشكل وفق صيغة موزونة مؤنقة

ومخطوط ائنة مناسبة بالنظام تشكل تناظراً مضطرباً بحركة دائمة لاتقف
عن حد . واللون في الفن الإسلامى مرتبط بروح الأمة وبمناخ الحياة
التي تعيشها .

(٢)

لا يتميز الذوق بمدة ملامح لها أثرها في الفن الإسلامى :

المسلمون لم يخلقوا من الحجارة ما خلقته الأمم الأخرى من فراعنة
ورومان من تماثيل وهياكل واوابد الحضارة الاسلامى لم تسجل بالصخور
بل بالأعمال الحية . كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز : يستأذنه في أن يبنى
لمدينته سوراً فقال عمر : حصن مدينتك بالعدل ، وتمثل الهياكل الرومانية
والأهرام في ظل مفهوم العبودية المرير الذي تحطمت فيه منكب البشر تحت
أقوال الصخور . ولذلك فإن العرب أخذاً من هذا المفهوم لم يتعلقوا بالآثار
الضخمة وإنما تعلموا بالأطلال التي تحمل ربح الأحياب ، وفن العمارة الاسلامى
لم يتميز بالجمال والرقه والذوق العربى - لم يتعلق بالتصوير كفن من الفنون
الجميلة ، لأن الروح العربيه (العميق الاستعداد من الخنيفة الإبراهيمية إلى الإسلام
في عصر محمد) لا تميل إليه كفن يمسح الأشكال لإحيه الجميله بحيويتها ويحيلها
إلى صور جامدة . وإن الفن الذى تعلق به العرب هو الشعر ، لأنه أَرْضَى
مُوعْتَمِهم في الحيوية والاستشارة والموسيقى امتداد للشعر . وحضارة المسلمين
والعرب حضارة أعمال خالدة لا آثار خالدة ، ففنونهم فنون عواطف جيشاه
لافنون أخيلة جامدة (عبد السلام العجيلي بتصرف) .

٢ - والفن الإسلامى لا يهدر كرامة الفرد ولا يهدر حق الجماعة ، ومن
التقوش الكثيرة في الاسلام إذا ما نظرت إلى الجزء الصغير وجدت له ذاته

وجوده وحدوده . ولكن في نفس الوقت يمكن أن يكون جزءاً في كل كبير، وذلك أن الاسلام كما يخدم الجماعة يخدم الفرد ، ويوجد هذا التناسق في مجتمعنا الحى بين الفردية والجماعية ، كما يوجد في الفن بين الجزء الصغير والجزء الكبير احترام الاسلام للفرد واحترام الاسلام للجماعة في القرآن (عبد العزيز كامل).

(٣)

يرفض الإسلام : النقل المباشر عن "طبيعته" وهو ما يطلق عليه في الفن "عربي المحاكاة"، فقد قرر الإسلامى وأكده التحريم القاطع للنقل المباشر عن الطبيعة ، ذلك النقل الفج الذى يعيد نسخ المخلوقات الحية على سطوح الجدران والمعابد والوحدات . ويثبت هذا التحريم من فكرة (التحرر الوجدانى) العميقة الشاملة التى أراد بها الإسلام أن ينقل الإنسان من عصور الوثنية والتعبد للقريب الملاصق إلى سموات التوحيد الخاص، ولما كان لا يقال أى باب أمام قدرات الإنسان التعبيرية فى أى مجال من مجالات الحياة كفى لا يفتح باب آخر للتعبير عن الباب المسدود فقد وجد الفنان المسلم آفاقاً جديدة للفن بعيدة عن ما حرمه الله وقد جاء هذا التحريم لنقل صور الخلائق والوثنيات نقلاً مباشراً ساذجاً من الطبيعة إلى عالم الفن دون أى تدبر من التجريد أو إعادة الصبغة فى أمة على اعتاب عصر حضارى - كان يعنى إن المسلم سيفتح أبواباً وأبواباً للتعبير عن طاقته الفنية بما ينسجم والصور الجديدة وفعلاً ففتح بعض الأبواب فجاءت طرز الخطوط والأشكال التجريدية الهندسية كما جاءت المساجد بقبابها ومنازلها ونظمها العمرانية الرائعة .

أن رفض الفن الإسلامى إذن نظرية المحاكاة أو التقليد (التى هى أساس الفن الاغريقى والغربى) للنقل المباشر من الطبيعة قد فتح الطريق أمام التجريد وإعادة

الصياغة ، فالفنان المسلم يحمل موقفا عادلا مزدوجا تجاه قضية الفن والطبيعة
لأنها أقوده إلى التقليد والنسخ وتقضى على الإبداع والابتكار ولأنها تخضع
هناك الإنسان لقوى الأرض وطبيعتها وتمنعه من التطلع إلى السماء، إلى الأفاق
البعيدة ، إلى ما وراء الملموس والمنظور. ولأنها تحيله إلى آلة رصد وتسجيل
وتصد عنه تفجير إرادته وإبداعه لصياغة مادة الأرض وفق ما يطمح ، كما
أن هذه النزعة تقوده بالضرورة إلى الإذعان لفكرة أن التغبط في الوحل
والتمرغ في القمامة والركض وراء نداءات الجذس والطعام هي القضايا
الأساسية ربما الوحيدة التي يجب أن يدلي الفن بدلوه فيها .

والفن الإسلامي يؤمن بأنه ليس نعمة عجز في الطبيعة يكملها الفنان ،
وليس الطبيعة إلا واحدة من آيات قدرة الله التي تنبثق في كل لحظة عن ملايين
الصور فهو لا يواجهها بالجمود أو يواجهها بالاعجاب بها وإنما يواجهها
بالاعتراف بقدرة الله القادر فليست الطبيعة معبود كما هي في الفن الغربي وليس
الفنان يقاد على أن يصنع وما يضاهاها ليس في تصور المسلم فعل نمائى تقوم به
الطبيعة في ذاتها ولذاتها إذ ليست الطبيعة بكل أشكالها سوى صور من خلق
الله وقدرته الفنية المعجزة ومن ثم إن القول بأن الطبيعة عجزت عن السكال
قد توحي بأحد شيئين كلاهما يرفضه تصورنا :

أحدهما : أن الطبيعة مستقلة بذاتها عن أى توجيه خلاق خارج
نطاق العالم .

ثانيهما : أن الإنسان قد يتفوق أحيانا على الإله الذى خلق طبيعة ناقصة
لم يستطع إتمامها فجاء الإنسان لى يتهما .

كذلك ليس في التصور الاسلامى عيبانا ونمردا تقوم به الطبيعة ضد خالقها ،
كل هذه مفاهيم وثنية ومادية غربية أنست مفهوم الفن ، والاسلام منها براء
والفنان المسلم لا يقول كما كان يقول أرسطو: من شأن الفن أن يصنع ما عجزت

الطبيعة عن تحميته : بل يقول مردداً قول القرآن عن صانع الطبيعة الله
تبارك وتعالى : (الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن
من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
إليك البصر خاضعاً وهو حاسير) .

كذلك فإن فن النحت يحمل أيضاً عدداً من المحاذير التى تقود إلى الوثنية
، ذلك أن فلسفة الفن فى الغرب تنطلق من تصور خاطئ لموقف الإنسان
فى الكون واصراع معطيائه الخلاقة مع خلق الله واعتقاده بأن فى إمكان
أعماله الفنية أن تحصل وحدها على الخلود فى عالم فان ، يزول فيه الإنسان
والأشياء . إن هذه الفلسفة تقودنا هى الأخرى إلى الوثنية بطرفها : (التعدد)
الذى هو ضد التوحيد المطلق والإذعان لقيم وضعية عن طريق التشبث بها
علها تمنح الإنسان ، والفنان المسلم يحذر أن يخطر له يوماً خاطرة أنه فى
معطيائه الفنية إنما ينافس خلق الله أو أن يسعى جاهداً لإكمال النقائص التى
تستطيع الآلهة إتمامها ، كما توهم بعض الغربيين ، وكأنهم بهذا يحملون حسداً
وتصوراً طفوليين يعود بنا إلى عصور البشيرة الأولى .

فالفنان المسلم لا يتجاوز طريقه المستقيم وليس فى عمله رفض وعداء للطبيعة
أو محاولة للتفوق عليها وعلى صانعها وليس له إعجاب بها يتجاوز لحظات
الاستغراق والتأمل انتقالاً بالخطأ إلى إجلال الطبيعة أو تقديسها وعبادتها
(عن دكتور عماد الدين خليل بتصرف) .

(٤)

حتى الخط من عناية الفنان الملم بنصيب وفير ، وكان للخطاطين مركز
ممتاز ، ولقد خلق من تلك الحروف ذات الأشكال المتباينة والأوضاع
المختلفة طرازاً زخرفياً تبدو فيه صور من الجمال شتى بعضها يفيض بالقوة

وبعضها يفيض بالرفة والآنفة ، أوجع إليه الحروف العربية برؤوسها وسيقانها وأقواسها وعدائنها ، عناصر زخرفية ما كان يرسمها حتى تبعث فيه تلك اللذة البريئة التي يحسها الفنان عندما يشاهد آثارها جميعاً .

وقد بلغ في الخط + الزخرفة ، شأوا بعيدا قل ما يشهد به ، إن كلمة الأرابيسك ، علم في تاريخ الفن على نوع معين من الزخرفة ابتدعه الفنان المسلم ومجالها رسم الوحدات الزخرفية وتوزيعها والتكليف بينها وتنسيقها ورسم الأزهار والأشجار والأوراق والسيقان والطيور والحيوان .

وبالبعد عن الطبيعة في الفن الإسلامي نأشئ من تلك العقيدة التي يؤمن بها كل مسلم أشد الإيمان ، ذلك أن البقاء لله وحده وأن العالم بمن فيه وما فيه مالمسكه إلى الزوال (كل شيء هالك إلا وجهه) فليس من اللائق أن يخلق رجال الفن بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء ، وعلى الفنان المسلم ألا يرسم بريشته ما يفضاهى به خلق الله (الشخصيات - المائيل - الطبيعة) كان يرى في عمله كله أن المخوقات كلها تستوى لديه : الحيوان والإنسان والنبات والجماد باعتبار أنها لا تثبت على صورة واحدة بل تتغير من حال إلى حال وليس لها جميعاً إلا وجود زائل سائر إلى الفناء أما الخالق وحده فهو الخلي الباقي .

٢ - إن الإسلام لم يستخدم الفنون الجميلة في دعوته كما فعلت الوثنية المسيحية ولم ينكرها كما أنكرتها اليهودية ولكنه أثر فيها ببعض توجهاته ونظمه (عبد العزيز مرزوق) وهناك قانون الأخقية في الفن الإسلامي : الذي جعل الفنان المسلم ينفر من الاتجاه الصعودي باستثناء المأذنة التي تشق في سموها الأخقية الغاية في بناء المسجد ، فحين يخطط زواياها يؤثر المنفرجة ، وحين يبرز استدارات فناءه يطررها بأطار مربع ، وحين يقيم قباباً فإنه يهتم

بتصغير نسبها حتى لا تفسد أفقية البناء بل يوزع تكورها على فصوص أو يقضى عليه بأن يستبدل بها تقاطع العقود أو يربط به إلى مستوى القبوات .
(محمود عبد العزيز سالم) .

٣ - الخصائص الجمالية في العقد الإسلامى توجد موزعة على جهات أربع : الخط ، اللون ، النور ، العمق ، الخط تأكيد على معنى الرسم ويمتاز الخط فى الفن الإسلامى بالوضوح والثبات والانتظام والرقش يمتد بلا نهاية ساعيا وراء الصورة المثلى مؤكدا على بساطة الوجود داعيا بالحاح الى الله .

٤ - اتجه الفنان المسلم إلى الزخرفة الهندسية : وبعث فيها روحا بدت فى ثوب من الجمال قشيب لم يكن لها قبل الإسلام .

وكان الفنان المسلم يصدر دائما من عقيدة مؤداها : أن الثبات وعدم التغير من صفات الحق وحده دون مخلوقاته التى من شأنها التغير والآية الكريمة (كل شئ هالك إلا وجهه) تكشف عن السر النفسانى الذى تقوم عليه الزخرفة الإسلامية المعروفة باسم الأرابيسك : ذلك بأن المسلمين جميعاً يعتقدون بأن البقاء لله وحده وإن العالم بمن فيه وما به مآله إلى الزوال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقد انعكست هذه العقيدة على الفن الإسلامى بأوضح صوره ، إذ كان الفنان المسلم يرى أنه ليس من اللائق أن يخلد شيئا فى هذا العالم الذى كتب عليه الفناء فليست به حاجة إلى تخليد جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلا صحيحا مادامت سائرته إلى الزوال . لذلك كان يأخذ من عناصر الطبيعة ما يريد ثم يهذب ما شاءت له ميوله ومواهبه ثم يكون من هذه العناصر المهذبة زخرفة لا تمت إلى الطبيعة بصله قوامها اغصان نباتية متشابهة تنفرغ بعضها من بعض وأوراق شجر مختلفة يخرج بعضها من بعض وأزهار وفراكة وحيوانات منشقة قد تتخلل الأغصان .

(٥٠)

مفهوم الإسلام للجمال : أن يكون الجمال العنوي لا ماديا، وأن تكون الأخلاقية سابقة على الجمالية في الحياة . والجمال المعنوي في مفهوم الإسلام يزيد على جمال اللغة والفن ، وهو دعوة إلى كل من يعمل بالأدب أو الفن أن يكون وسيلة تعبيره عالية ، موحية ، مرتفعة بالنفس الإنسانية إلى آفاق الخير والإيمان . ولذلك فإن الفن الإسلامي يتحرك داخل إطار أخلاق تنسجها القيم المعنوية وتجعله الضوابط عن أن يحرف ، ولذلك فإن الإسلام يقرر التوازن فيه الروحي والمادي ويجعل أولوية الخلق على الجمال فالقيم والضوابط مقدمة على النزعة الجمالية الصرفة ، حتى يمكن أن يقال أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة الفن وهي عكس النزعة الاغريقية ، التي أطلقت الجسد المادي وقدمت الجمال المادي على حساب الخلق ولذلك فالفكر الإسلامي يرفض النزعة الغربية السائدة اليوم التي تهدف إلى توجيه الفن إلى إشعال الغرائز الجنسية وذلك بابتكار الألحان المثيرة والرقصات الحليمة المكشوفة . ونرى أن مهمة الفن هو السمو إلى آفاق النفس وأسعاد الإنسان ، بتحريره من أهوائه وغرائزه والفن الصحيح يسمو بالأخلاق كما يهذبها ويصقلها ، ومن الحق أن يقال أن شعوبا اضاعت ذاتيتها وكيانها ومقدراتها لو أنها أطلقت الفن من الضوابط الأخلاقية ، وفي مقدمة ذلك اليونان والرومان فإنها عند ما فصلت الفن عن الدين والأخلاق تسرب إليها الانحطاط ودب في جسمها عوامل الفناء ولقد تبين لكل المصاحين أن الفن إذا لم يسكب بلجام الأخلاق يفضي حتما إلى فساد الأخلاق ، وأن الفن إذا كانت غايته الفن وحده فإنه يهدم نفسه ويهيم أمته ، ومن هنا كان القانون الأخلاقي هو أساس الفن الإسلامي . والالتزام الأخلاقي يفرض أن يكون الأخلاقية مقدمة على الجمالية وأن تكون الجمالية في إطار الأخلاق ، ذلك لأن قانون الأخلاق هو الديدبان القائم على حراسة المجتمع ويرى الإسلام أن كل العناصر (أدب وشعر وفن ورسم وموسيقى) لابد أن

تتحرك في إطار العقيدة وفي ضوابط الأخلاق ، وأن مهمة الفن ووظيفته الأصلية هي تهذيب النفوس ، ولذلك يجب أن يخضع للغاية العليا من وجوده .

(٦)

في الإسلام كل المعطيات تتحرك في دائرة الإسلام الثابتة والمرنة في نفس الوقت والفن واحد من هذه المعطيات يبدأ من نقطة النفع والمصلحة ويتحرك إلى غايته دون أن يكون مطلقا بغير هدف أو هادفا إلى غاية غير الحق والخير .

والإسلام لا يقر هوايات الترف المطلقة . ولا الوسائل الدافعة إلى الإباحية والانحلال والفنان الذي لا يتحرك في إطار الوجه العام ، فهو نشاز في جوق أمته ، أو هادم لوحدتها أو خاج على حدود مجتمعا أو مفسد لمثلها الأعلى أو مبطل لخواطرها .

والعقلية الإسلامية هي عقلية راشدة وتحسن التلمذ على الطبيعة في تقدير لباب الأشياء ولا تسوئها حياة القشور المزوقة والثرثرة والجدليات ولا الاستعراضات المسرحية والانطلاق وراء النوازع والشهوات أو التحلل من قيود الاجتماع بمجه الحرية الفكرية .

والإسلام لا يقر الصور الفنية المنحرفة إلى دنازل وتفسد عقيلة ومشاعر الناس وتأخذهم إلى حياة اللذة والجموح الذي لا تحمي الحياة العملية ، ولا عبره بتلك العبارات البراقة الخادعة التي ينظمها أولئك التغريبيون من دعاة الفن للفن من أن الفن له مطلق الحرية ، أو أن الفن ليس مصلحا أو أن الفن تنحني أمامه الحياة فذلك زيف يراد به تقديس الباطل وإعلاء الفاسد ، وهادام الفن ليس منطلقا من الفطرة ، مطيعا للحق والخير فهو باطل وفاسد ، والإسلام لا يقر إطلاق الفن من قيد الأخلاق أو من دائرة الخير والحق ، والفنان ليس مؤهلا

لأن تكون له قياسية من أي مخرج، لا هو ولا الأديب أو الشاعر، وليس مطلوباً من الأديب أن تصور الذميمة بحيث يغري بها الذين لم يعرفوها، وإنما تكون دعوة الفن موازية لدعوة الخير والفضيلة والهدى، داعية إلى تطهير النفوس وتنقية القلوب وتحرير العقول من أهواء الشهوات والإباحيات والمحرمات.

ونحن نعرف أن الاسم لا تهزم إلا من انخراف فنونها وأدائها وخروجها على الضوابط والقيم ولقد دمرت الفنون المحرمة اليونان والرومان والفرس والفراعنة وكل المجتمعات لأنها خرجت عن الضوابط والحدود التي رسمها لها الدين الحق، وأن الفن الغربي المادى اليوم ليسير في نفس الطريق الذي سار فيه الفن الرومانى الوثنى هادماً كل القيم متحلاً من كل الضوابط قائماً على الإباحية والشذوذ والتشاؤم وكلما تصدر عن الفكرة الغربية المضمرة الخطيئة الأولى، التي لا يعرفها الإسلام ولا يقرها.

وعلى الفنان الحق أن يبحث في تراث قومه ومجتمعه عن ينابيع وحيه وأن لا يقتصر أساطير الآخرين وفلسفاتهم وأوهامهم، إن الآداب العالمية مليئة بالوثنيات والأساطير والرموز والقضايا الفلسفية التي هي غريبة عن أمتنا وفكرنا، ولا نفع لنا فيها، وليكن الفنان على يقين من ضوابط أربعة لابد من حياطها والحفاظ عليها:

١ - اليقين باليوم الموعود: يوم الحساب.

٢ - الخضوع للحق تبارك وتعالى.

٣ - العمل بما جاء في القرآن.

٤ - النظر إلى محمد صلى الله عليه وسلم كنبى بشر اصطفاه الله لتبليغ رسالته وأن يفرق بين الألوهية والنبوة، وأن يفرق بين النبوة المنصومة

والبشرية التي تخطىء وتصيب والإسلام لا يقر العرى ولا التجائل العارية ولا يقر الترف ولا استعمال الأواني الذهبية أو الموسيقى الصاخبة أو الأضواء الكاشفة التي تتمثل في المهرجانات اللاهية وإنما يعرف البساطة والتواضع والسلام بعيداً عن كل المظاهر البراقة .

ويؤمن الفنان المسلم بأن الفن أداة لغاية الإنسان السامية ، وأنه يسير دوماً وفق مجموعه السنن الأخلاقية ، والقيم العليا التي ترفع الإنسان فوق المادية والأهواء والفردية والأنانية وفوق اللذات والشهوات العاجلة . والفن بوصفه أداة يجب أن يخدم الغاية الكبرى وأن يسير وفق سنن الله ، غير متحرف لفساد أو متحيز لهُوى إيماناً بأن الحياة الدنيا ليست في ذاتها غاية ولا نهاية .

(٧)

القرآن والفن

يقدر الإسلام الفن الجميل لأنه يقر حق الإنسان في زينة الحياة الدنيا ومتاعها من غير سرف ووفق ضوابط سمحة ، دون الجور أو الانحراف ويرتبط الفن في مفهوم القرآن بالأخلاق والتربية وإيجابية بناء المجتمع ولذلك فهو يثرى النفس الإنسانية ويتسامى بها نحاول أن نحقق القوة والحركة والتقدم في الحياة . وتقدير القيم الأساسية : التوحيد والحق والخير والجمال والعدل .

والفنان في مفهومه الإسلامى ليس بعيداً عن الحب والعاطفة الحسية ولكنه يتمثل ذلك في إطاره الواسع الرفيع ، فهو يرفض إثارة الطاقة الغريزية السكائمة في أجواء النفس الإنسانية ولكنه يلفظها ويعلمها ويسمو بها ،

ويجمل هذا تآملاته الأساسية في الرسم والنقد والموسيقى والفن ، وفق قاعدة
التحرر الكامل والافتقار الواسع بمختلف الفنون والمظاهر ، وتوضيحه
فيها الأخلاق والدين والفكر المروعة والأريحية والقياس .

وقد عني القرآن بالفن الجميل ووجه الأنظار إلى مفهوم الجمال
والزينة في المخلوقات بمنزلة في نفس الوقت بناحية المنفعة ، وافتتحت القرآن
إلى الفن والمنفعة ومجلة في عبارة : « ولكم فيها جمال » ، وقد أباح الإسلام
الاستمتاع بالفن والزينة وحث من دائرة الاعتدال : « يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكُلُوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ،
« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين
آمنوا في الحياة الدنيا خاصة يوم القيامة » .

وبذلك دعا القرآن إلى تذيب الذوق وتربية حاسة الجمال . ودعا إلى
التأمل في مظاهر الجمال ، هذا التأمل الذي ينمي قوة الملاحظة وقوة الفكر
وقوة التدبر ، وهي العمد التي يقوم عليها الفن .

وقد تأثرت الفنون الإسلامية بجوهر العقيدة التي رسمها القرآن والسنة ،
وكان لهذه المبادئ والأسس أثر كبير في صياغة الفنون الإسلامية بما ألبسها من
شخصية مستقلة لا تفرقت بها بين الفنون الأخرى ، وانطلاق الفن في جو
الحضارة الإسلامية مستمد من مفهوم الإسلام نفسه الذي لا يجعل مثله
الأعلى زهداً في زينة الحياة أو إصرافاً في متعة الحياة بغير ما أحل الله .

فقد كان مفهوم الإسلام مطابقاً لفطرة الإنسان ونزعاته وما ركب فيه
من غرائز وميول ، فلم يحاول كبتها بل أتاح له فرصة تلبية ما تتطوى عليه
النفس البشرية من غرائز وميول مع الاعتدال والتوازن ، وقد تقبل الإسلام
مناهج الحياة وامتتها ما دامت لا تتعارض مع أصوله ولا تخرج عن دائرة

الاعتدال والتوازن . وبذلك لم يجد المسلمون في دينهم ما يحول بينهم وبين الفنون الجميلة .

وقف الإسلام إزاء (الفن) موقفاً مختلفاً عن موقف اليهودية والمسيحية فاليهودية قد عادت عداً سافراً مظاهر الفنون . والمسيحية دعت إلى ترك الدنيا والتجرد منها والانقطاع إلى الآخرة والإقبال عليها ، ويقول محمد عبد العزيز مرزوق أن المسيحية لم تبدع فناً جيلاً وعندما ثبتت أصولها واعترفت الدولة الرومانية بها استعانت بالفن الروماني في نشر عقائدها ، أما الإسلام فلم يذكر الفنون الجميلة كما أنكرتها اليهودية ولم يستند إليها في نشر دعوته كما استخدمتها المسيحية ، ولكنه تضمن توجهات مختلفة كان لها أبعاد الأثر في تكوين الفن الإسلامي في نضوجه . وقد حظى المسلمون ما أخذوه من فنون الأمم السابقة عليهم وتمثلوه وأضافوا إليه وهذبوه ثم برز الفن الإسلامي وله طابعه الخاص الذي أخذ يؤثر بدوره في الفنون التي حاصرتها والتي جاءت من بعده .

(٨)

يتصل الفن الإسلامي في جوهره بالقرآن والتوحيد وإطاره أخلاقي ، بينما يقوم الفن الغربي على أساس الارتباط بين الوثنية والمادية . فالفن الأوربي وثني المصدر استمد مصادره من الصراع بين الآلهة والإنسان أو الصراع بين القدر والإنسان وكل المسرحيات اليونانية والفن اليوناني في النحت والرسم قائمة على هذا الصراع ، وتقع المأساة حين يتحطم البطل على يد القدر أو يد الآلهة الجبارة — في نظرهم — التي لا ترحم والآلهة في تقديرهم شريرة وظالمة ، يقول الدكتور هاس : « كان المثل السكامل عندهم الجسم الجميل المناسب ، وليس ذلك إلا اعتداداً بالمحسوسات اعتداداً كبيراً ،

وكان أكبر عنايتهم بالرياضة والرقص وكان التشويق الفنى الذى يحثون على الشمر والغناء والفلسفة وعلوم الطبيعة لا يتجاوز حداً خاصاً حتى لا يكون ارتقاء الذهن على حساب الجسم .

ويقول الراهب اوجسطين : إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم فى المعابد ويهزأون بها فى دور التمثيل ، وأن الفكرة التى كانت تسيطر على الإمبراطورية الرومانية هى احتكار القوة لها واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة روما .

فلما جاءت المسيحية دخلت الوثنية فيها على حد تعبير (درابر) بتأثير الفنين تقلدوا وظائف رئيسية ، ونشأ عن هذا الاختلاط بين الوثنية والمسيحية ودين جديد تتجلى فيه النظرية الوثنية سواء بسواء ، وهنا يختلف الإسلام عن النصرانية إذ يحضى الإسلام على الوثنية قضاء تاماً ونشر عقائده خالصة .

وقد ورثت الحضارة الغربية مفهوم الوثنية المسيحية وورثت معها قيمها وأبرز هذه المفاهيم بند (اللاخلاقية) ومن ثم طغت فكرة الفن للفن على المفاهيم الأخلاقية السائدة واشتدت الحرب عندما شرع الزهاد وحماة الفضائل فى إدانة (الفن) على أنه لعب وحسن شهوانى يحول بين الإنسان وبين الاستقامة ومن ثم شن رجال الفن حرباً ضروساً ضد التعسف والزهد وظهرت نظريات زولا وأوسكار وايلد ، وبذلك اتسعت الهوة بين الفن والأخلاق.

وفى مفهوم الإسلام أن الفن والأدب يقوم على أساس الالتزام الأخلاقى ويتحرك طليقاً فى دائرته ، ولذلك لم يقيم صراع فى الفكر الإسلامى بين

الفن والأخلاق أو بين وحدة الفن والأخلاق أو انفصالهما لأن مفهوم
الفكر الإسلامى قائم أساساً على التكامل الجامع، فلا الفن يستعمل على الأخلاق
ولا علاقة الفن بالأخلاق علاقة خضوع أو قسر أو إيقاف له عن انطلاقه .
وليس فى تحرك الفن الإسلامى فى دائرة الأخلاق ما يحاول بينه وبين
تحقيق هدفه من إبراز حقيقة الشر والخير بل هو فى التحرر من إبراز الصورة
فى قالب الإغراء بها والحض عليها اما حدود خلاقية العمل الفنى فإنه لا يهاجم
القواعد التى يقوم عليها المجتمع ولا يحاول أن يبرز الرزيلة أو يهدم نظم
نظم الدين والعدالة والتوحيد . والفن فى الإسلام متحرر من المادية الخالصة ،
جامع بين الروح والفكر ، بعيداً عن مفهوم الأوثان والتماثيل والأحجار .

الفصل الرابع

المسرح

حاول دعاة مذهب النقد الغربي الوافد إثارة اتهام باطل لا محل له يرمى إلى انتقاص الأدب العربي لخلوه من المسرح والدراما والملاحم ، غافلين عن أن لكل أدب فنونه التي تشكلها طبيعته وبيئته وأنه ليس من الضروري لوصف الأدب العربي بالبراعة أو النبوغ أن يكون مماثلاً للأدب اليوناني أو الأدب الغربي في كل فنونه ، ولقد كان الشعر ، هو ديوان العرب في الجاهلية فلما جاء الإسلام شكل للامة العربية مثلاً أعلى استمد أسلوبه ومنهجه من القرآن على التوحيد ذي الطابع الواضح الصريح في العبارة والآداء ، وجاءت القصة القرآنية على ذلك النحو الذي عرف عنها بعيدة عن الرموز والغموض والتفاصيل وبعيدة عن الكذب الفني والحيلة والتحوير الذي عرفته القصة اليونانية الغربية ، ولذلك فلم يكن الأدب العربي في حاجة إلى المسرح الذي كان ولايد للمعبد والكنيسة والذي بدأ عند الأغريق أصلاً في أعياد باخوس إله الخمر ثم استعانت به الكنيسة بعد انتشار المسيحية في روما وباريس أثناء القرون الوسطى لعرض فكرتها عما ذهبت إليه من القول بصلب المسيح وآلام الشهداء .

أما المسلمون فإن بساطة مفهومهم الإسلامي ووضوحه وامتداداً لطبيعتهم التي عرفت بالصراحة والوضوح لم توجد عندهم الحاجة إلى المسرح ، ولذلك فقد انصرف العرب والمسلمون أبان حركة الترجمة عن نقل الآداب اليونانية واكتفوا بترجمة العلوم والفلسفات من حيث أنهم لم يكونوا في حاجة إليه بوعفه أداة تعبير عن النفس اليونانية والأغريقية وحدها ، ومن حيث أنهم

لهم أداة تعبيرهم التي تحقق لهم ذلك عن طريق الشعر والنثر ، ولعل سبباً هاماً حال بينهم وبين ترجمة اللادب اليوناني هو أنه كان ينطوي على خرافات وأساطير لها جذورها الممتدة إلى عقائدهم الوثنية القائمة على تعدد الآلهة ، وصراع الإلهة مع نفسها وعلى الإنسان ولتعارض هذه الصور والأفكار مع إيمان العرب والمسلمين بالخالق الواحد وأكباره وتعالى عن مثل ما توصف به ألهة اليونان من صراع وشهوات ، وما تصرف به من ذكورة وأنات ، وآلهات للميد والحر والحب . فقد نأى الأدب العربي عن ذلك وسما بالآلومية عن مضاهاة البشر التي لا يقرها عقله ولا يرضاها مزاجه النفسي . ولقد كان الأدب العربي واضحاً في التعبير عن النفس وواضحاً في العقيدة وضوحاً لا يقبل التزويل ولا يحتمل الشك ولا يتقبل التجسيم وكان هذا الوضوح هو لب العقيدة حيث لا يوجد ما يصعب فهمه أو تحتاج إلى مثل ما احتاجت إليه الوثنية القديمة والعقيدة المسيحية من بعد عرضه وشرح تعقيداته وتفسيره وتعالى عن طريق المسرح حتى يمكن الافتناع به وتقبله ومن هنا فلم تكن هناك حاجة في البيئة العربية ولا في الأدب العربي ولا في العقيدة التي اعتنقها العرب والمسلمون إلى المسرح .

ولقد افترض أدب القرآن طامعه على كل ما تخرجه القريحة العربية بعد أن بهرها بإعجازه في أسلوب السكتاب وتعاليمه ، هذه التعاليم التي أنشأت بعد ذلك فلسفة إسلامية تحترم العقيدة الدينية أكثر مما ينتجها الحياة الفكر المجرد والتقنيب عن متهاتات النفس وأصالة جلاء الغامض منها ،

وهناك وجه آخر من وجوه الخلاف والتباين بين الأدب العربي وبين الدراما أو المسرحية اليونانية الغربية ويتمثل ذلك في الصراع المأساوي الدرامي الذي هو حياة الحدث في المسرح مما لا يجد بيئة طبيعية في إيمان العرب ومعتقداتهم ، ذلك أن البطل المأسوي هو دائماً في صراع مع الآلهة بالقدر،

والإنسان العربي في سلام مع الله الواحد لا كبير ، وفي إيمان بالقدر لا يحول دون السعى وإن كان يحول دون المصارعة والصراع ، ومن هنا فإن العقل العربي لا يتصور الصراع بين الإنسان والله على نحو ما كان يتصور اليونان الذين يؤمنون بأن الحرب مع القدر وإن كانت نهايتها هي الهزيمة المأساوية فإنها حرب تدل على شجاعة الإنسان وجبروته وعلو شأنه .

وصراع الإنسان مع الله - جل شأنه - أمر لا يفهم و يقبل مع التوحيد الذى هو قمة العقائد فى الإسلام ، ولذلك فإن العرب لم يجدوا أنفسهم فى يوم من الأيام فى صراع مع القدر ، ذلك لاختلاف طبيعة البيئة الصحراوية عندهم عن طبيعة البيئة الجبلية فى اليونان ومن هنا فإنهم لم يعرفوا هذا اللون من الصراع حتى فى فترة جاهليتهم السابقة على الإسلام .

بل أن الوثنية العربية لم تكن مذهلة لهذه المفاهيم ، إذ لم تكن وثنية أصيلة بل كانت صورة مشوهة من دين قائم على التوحيد ، لذلك لم تكن لها جذور عميقة أو تقاليد قديمة كما كان الشأن لدى الوثنيات الأخرى ، ومن هنا فقد ارتبط المسرح اليونانى بالأسطورة إلى حد بعيد ، وجد فيها المؤلفون إطاراً يصورون فيه الصراع بين الإنسان والقوى الإلهية ، ولما كانت هذه النزعة وثنية فى طابعها فإن الإسلام لم يقرأها أو يقبلها .

كذلك لم يكن من الطبيعة العربية مثل هذه الاستعراضات التى تقوم على الترانيم والأناشيد والرقص . ولقد استعانت الكنيسة المسيحية فى القرن العاشر بالمسرح أيضاً فى عرض فكرها ، بعد أن سقط المسرح الوثنى مع سقوط الإمبراطورية الرومانية فكانت تقدم القداس الدينى ثم تتبعه بصورة تمثيلية طقوسية خطيرة كان يمثلها القساوسة بعد القداس فى قلب الكنيسة ثم تطورت إلى التمثيلات الدينية الطويلة التى تمثل على أعتاب الكنيسة أو

ساحتها وهي المعروفة بتمثيلات الأسرار عن معجزة ميلاد المسيح ثم آلامه وآلام الشهداء الذين أوزوا في سبيل الدفاع عن المسيحية . وقد كان المسرح وسيلة لتفسير نظريات المسيحية الفلسفية التي لم تكن من اليسير فهمها إلا بعرضها على هذا النحو .

(٢)

تقوم فلسفة المأساة الغربية على : (الخطيئة والقصاص والغفران) وترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية وهي خطيئة آدم ، وهناك مفهوم الصراع بين الآلهة والقدر وبين الإنسان والخطيئة ، ويبدو البطل في صورة المتحدى لإرادة الله والمتحدى للقدر .

وفي رواية (فاوست) نجد أنه يتحدى إرادة الله ويتناول على الشجرة المحرمة ، وقد كانوا يرون أنه مجرم ومخطئ . يجب إرساله إلى الجحيم ثم تحول الرأي في المأساة مع تحول المجتمع الأوربي فقالوا : أنه صريع القدر .

ويمكن القول جملة بأن هذا اللون من الأدب غريب على الذوق العربي وعلى مزاج النفس العربية ، فهو خلاصة لمفاهيم دينية وثنية أوغربية مسيحية تقوم على فلسفة أساسية : قوامها الخطيئة ، التي لا يعترف بها الإسلام ولا يقرها والتي ليس لها أي صدى في الأدب العربي فضلا عن صراع القدر وصراع الآلهة وكلاهما غريب عن النفس العربية . بل أن نهاية القصص وخاتمة التراجم في مفهوم الأدب اليوناني والغربي ، يجب أن تكون ثمرة وأن مصدر هذا أن التراث اليوناني الغربي كله يرى أن الإنسان ثمرة الخطيئة وأن حياته تكفير عن هذه الخطيئة وأنه لا قيمة لها ، بينما يرى الأدب العربي وفكره وآدابه بأن الإنسان كائن حي وحياته لها قيمتها الخاصة وأنه ليس مسئولاً عن خطيئة غيره ، وأن الخطيئة التي تتردد في هذه الآداب هي خطيئة آدم وهذه في مفهوم الإسلام قد غفرها الله له ولم يجعل جريرتها لأحد من بعده .

وفي مفهوم الأدب العربي المستمد من الإسلام أن الخير لا بد أن ينتصر في النهاية وأن الشر لا بد أن ينهزم وينسحق ، وإذا كان المسرح وليد المبدع والكنيسة فإنه يعد غريباً عن الأدب العربي حيث لم يعرف العرب هذه الأعياد الصاخبة المعروفة بمواكب خمر باخرين ولا ما يتصل بها من تمائيل وأنشيد وطقوس ورقص وأباحة ؛ والعرب في صميم فكرهم أهل بديهة وازدجال ، وفي بيانهم أهل إيجاز واختصار . لا يحتاجون إلى التحليل الطويل ولا يهتمون بالتفاصيل التي تخرج عن جوهر الحدث أو الخبر ، وقد علمهم القرآن ذلك ووضع لهم هذا المنهج ، والمجتمع الإسلامي لا يعرف التجسيم ولا يجد فيه لذته الفنية ، كما يفعل اليونان والفرزيون ، والفكر الإسلامي لا يقر الأساطير ولا يقبل الخرافة ويعتمد على الحقيقة التي يقبلها العقل وتوافق للصدق الذي تؤكده طبائع الأشياء . ويقف من الخالق سبحانه موقف التكریم ويسمو بمفهوم الألوهية عن مشابهة الخلق ولا يقر بوجود أرباب .

ويصور هذا المعنى زكي طلبات تصويراً طيباً حين يقول :

الإسلام هو دين التوحيد فلا بدع أن يناهض الوثنية التي تقوم على تعدد الأرباب فلا غرابة في أن يعمل على هو آثارها المادية المجسمة واستئصال جذورها المعنوية في نفوس العرب ، أن العقيدة الإسلامية في وقفها الأولى لمحاربة الوثيقة أحداث في الفنون التشكيلية حدثاً ليس له مثل إذ حولت مواضع الإلهام فيها من الطبيعة وصورها إلى الذهن واخيلته .

وسبب آخر يصرف الذهنية الإسلامية عن الأخذ بأسباب التعبير عن طريق المسرحية واتخاذ المسرح وسيلة للدعاية والتفسير ذلك أن العقيدة الإسلامية على وضوح أركانها وجلالة تعاليمها ومنطق أحكامها عقيدة لا يهويها لبس ولا غموض يتطلبان تمايلاً في التفسير ، فالوحدانية لا تقبل

التأويل ولا تحمل "شرك"، ليس هناك أواب ولا أنصاف أرباب كما هي الحال في الوثنية، كذلك لا يوجد عقدة يتعذر فهمها أو لا يوجد أب ولا ابن ولا روح قدس كما هو الحال في العقيدة المسيحية، وشعائر الإسلام على بساطة غنية وتكشف ظاهر، فليس في حاجة إلى عازف يمزف على آلة موسيقية أو نشد يلشد نداءات كهنوتيه أو راقص يدور على نفسه، مثل هذه العقيدة القوية في معنوياتها البسيطة في شعائرها القائمة على منهضة كل مظهر من مظاهر تعدد الأرباب وما يتصل به من فنون السحر لاجياء طقوسه ومناسكه لا يمكن أن تتمخض عن فن تمثيلي فإذا أضفنا إلى ذلك أن العرب بطبيعة عملهم ينظرون إلى السكيات عرفنا إلى أى مدى نجد التباين الضخم بين الأدب العربي والأدب الغربية في مجال القصة والمسرح، اهـ.

ومن ناحية أخرى فإن الصراع المأساوى أو الدرامى الذى هو عقدة المسرحية والقصة لا يجد بيئة طبيعية في إيمان العرب ومعتقداتهم، ذلك أن البطل المأساوى هو في صراع دائم مع الآلهة والقدر، أما المسلم بحكم وحدانيته فانه لا يستطيع أن يتصور الصراع مع القدر والآلهة على نحو ما كان يتصوره اليونان الذين يؤمنون بقوى متعددة ويؤمنون بأن الحرب مع العدو وإن كانت آخرتها الهزيمة المؤسفة فانها حرب تدل على تجبر الإنسان. إن الصراع مع الآلهة لا يفهم أصلا مع التوجيه، أما الإنسان العربي فهو في سلام مع الله الواحد الأكبر لا يستطيع أن يتصور الصراع مع القدر والآلهة على نحو ما كان يتصوره اليونان.

ولاريب أن رؤيا العرب واضحة غير مضببه، ولا يشوبها سحاب من الغمام وليست بين بين، وليست في صراع مع الطبيعة وكل هذه الرؤيا تنعكس في الأدب العربي، وهي مضاده لرؤية الغربي:

يقول المرحوم على أحمد باكثير: إذا لم يوجد المسرح عند العرب في

جاهليتهم ، فأحرى ألا يوجد لديهم بعد الإسلام الذى قضى على تلك الوثنية وأعاد إليهم دين التوحيد كاصنى وأبقى ما يكون . وتقديس الأشخاص من مظاهر الوثنية فالإسلام ينهى عن ذلك نهيا تاما بما أدى إلى عدم ظهور (الدراما) لأن نشأه الدراما فى عهودها الوثنية كانت تقوم على تقديس من كانوا ملوكا أو أبطالا ثم الهوم بعد وفاتهم .

(٣)

وقد أشار زكى طليمات فى أكثر من بحث إلى أن المسرح باللسان العربى ليس فنا أصيلا لا فى الأدب العربى وفى المجتمع العربى يقول : « فالمسرح لم يكن يوما من الفنون التى عملت فيها الأفلام والقرائح كما أنه لم يؤلف شعبة من العروض الجماهيرى أو لونا من ألوان التسلية العامة التى يؤمها الجمهور » ، ومعلوم أن الشرق العربى لم يمارس هذا الفن إلا فى أواسط القرن الماضى ، مارسه ضمن ما مارس من الوافدات والنحل الأوربية التى أفسحنا لها المجال فى مجتمعا بعد أن تهيأت واعيئنا إلى اعتناق مظاهر الحضارة الأوربية وذلك بتأثير التطور العام والتبادل الاقتصادى ثم بدافع الأحداث السياسية الكبرى .

ويقول : أن المتقصى مدارج المسرح باللسان العربى وباللهجات الإقليمية منذ قيامه على أيدي الرواد الأول ، يقف ولا شك أمام ظاهرة كاية اللون ، إن هذا المسرح على الرغم من قدامه ما يقرب من قرن وربع القرن وإمتداد جذور له فى التربة العربية ما برح يبدو لرجل الشارع وكأنه بضاعة مستوردة من الخارج أو هوى من أزياء التعبير لأهد له به ولكنه يتعاطاه من باب التظاهر بالإقبال على كل جديد وافد من أوربا ، ولعل أبرز دوافع يجمع بينها مظهر واحد تلحظه العين هو (قرقة) من ثمار القول السوداء واللب ، وعندنا ليس رجل الشارع فقط بل هى الطبيعة الاعق التى ترى فى

المسرح شيئاً مما رضى لفطرتها وطبيعتها الصريحة القوية المستعزنة في البيان العربي بغير حاجة إلى هذه الأساليب المعقدة . ذلك أن المسرحية كما تقول زكي طالبات : ما برحت أجنبية القالب ، أجنبية الحبكة . ، تقول وستظل كذلك بكل ما يحاول الآن أرباب الفن ، وامل أعرق العوامل لمعارضتها للفطرة الإنسانية للطبيعة العربية الإسلامية إنها صورة وهمية ليست من واقع الحياة وإنما تستعمل النصوص التاريخية بغير أمانه ويرى أصحاب هذا الشأن بأسهم من نجاح هذه المحاولة وذلك أن القالب الشكلي للمسرحية « أجنبي » من كل نواحيه ، « إذ أنه نقل (فوتغرافياً) سريعاً من غير تمعن عن المسرحية الغربية التي استوردتها مع كثير من النحل الغربية في أواسط القرن الماضي ويقولون أنه على الرغم من المحاولة التي جرت خلال أكثر من مائة سنة ، على استنبات المسرح في التربة العربية ، فقد بقيت المسرحية على قالبها - غربية المذاق ، عن رجل الشارع على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها لنشرها لأنها « تدبو عن مألوفه في التذوق وتعالى على الأفق الذي ألف أن يتعاطى منه الترفيه النفسى ولطائف التسلية ،

يرى هذا الرأى زكي طالبات وتوفيق الحكيم وغيرهما من أساطين هذا الفن الوافد ، يرون أن هذا المسرح قام دخيلاً في الأقطار العربية من غير تمهيد ولم يستند في قالب صياغته الشكلية على ركائز ، إنما نقلنا القالب الغربى المستورد نقلاً عضوياً واكتفينا في أمر تعريبه بمسحة سطحية أى أنه لم يعرب تعريباً جذرياً مستمداً من المزاج العربى العام في مفاهيمه الأدبية والتعبيرية والجماهيرية . .

ولاريب أن كل هذه الدراسات والخاوف تكشف بوضوح عن أن المسرح ليس فناً أصيلاً في الأدب العربى وأنه يجافى المراج العربى والوجدان الإسلامى .

(٤)

لا ريب أن من أقوى عوامل التطور بين الفن الإسلامى وبين المسرح روح الأباحة الواضحة في الآداب اليونانية والتي ورثها الأدب الغربى . ويقول أنيس فريجة أن مظاهر الأباحة والفسق والعريضة التي كانت تتمثل في حلقوس هذا الفن هي ذات مغزى دينى وأن شعار (البغاء المقدس) والذي يتضمن بيع النساء أجسادهن في أيام معدودات وشرايح ذبائح لمشتريات بأجورهن هي بقايا هي بقايا عادات قديمة سابقة عندما لم يكن زواج بالمعنى الذي نفهمه الآن ، بل عندما كان الزواج اجتماعياً مشتركاً (للنساء للرجال والرجال للنساء في القبيلة الواحدة فكانت المرأة عذراء ومتزوجة في آن واحد ، والربة الأم عذراء ومتزوجة وعشيقة طاهرة وغير ظاهرة . ويقول : والفأمر أن النساء كانت في طور من أطور حياتهن يقلدن هذه الربة الأم في بابل واشور وسوريا وجيل وفي باقوص في قبرص كانت عذراء تبيع نفسها قبل الزواج للبغاء ، هذه الصورة المفزعة التي سحقها الأديان وألغاهها الإسلام إلغاء تاماً هي ثمرة الفنون الغريبة المسرحية وغيرها ، يوم كانت هياكل عشتروت وإفروريت والزهرة حافلة بالبغاء المقدس وهذا هو تراث الأسطورة الذي تحاول أن تجدد المسرحية الغربية وتعزبه وهو بعيد كل البعد عن القيم التي قدمها الإسلام وحررها الإنسان من عبودية الوثن وعبودية الأباحية ورفعها إلى مستوى الكرامة . ولقد وقف المسلمون عندما ترجموا الفكر اليوناني والفارسي والهندي موقف الأعراض التام عن هذه الآثار ورفضوها رفضاً تاماً لأنها لا تتفق مع طبيعتهم ولا قيمهم ولا مفاهيمهم للحياة ، كذلك رفضوا الملاحم الأسطورية لأنها قائمة على شطحات الخيال والتهويل والأغراب ، ولقد كان الشعر الأغريقي الملحمي - كما يقول مفيد الصوباشي - يصور عالماً وهمياً لا يكاد يقوم صلة بينه وبين الحياة الحقيقية للمجتمع الإغريقي وتصف آلهة وعماقة وفساناً يتميزون بقدرات غير آدمية

ويتسامون وراء شهوات وأطماع وأحقاد ويأنفون أن تغلب عليهم الرحمة
أو يمس قلوبهم حب أو حنان ويرتكبون في سبيل تحقيق غاياتهم آثاما تنفوز
عنها النفوس ، ولا يعتمدون على الأحياء لحسب ، ولكنهم يمثلون بالجنت
والمرأة قاسية كالرجل فهناك امرأة تترك مع عشيقها في قتل زوجها والنسكيل
بأبنائها وأخرى تتزوج بأبنا وبينما كان ذلك الشعر يرسم تلك الصورة
الشوهاء لمجتمعهم ، حرص الشعراء العرب القدسي على تصوير عالمهم الحقيقي
بما فيه من خير وشر وتحليل عواطفهم كما أحسوها ووصف الأحداث على
نحو ما وقعت لهم .

(٥)

وإذا كان العرب قد رفضوا تماما ترجمة هذه الألوان من المسرحيات
والملاحم في عصر نهضتهم فإن محاولة الزج بها الآن في الأدب العربية لم
يحقق نتائج ذات أهمية وظلت ظاهرة قلقه غربية ، لأنها لم تلتق بالنفس
العربية ولا بالمشاعر والأشواق العربية .

وقد وجه سيد قطب إلى توفيق الحكيم رسالة مفتوحة عندما كتب مسرحية
الملك أوديب ، فلا أياها عن اليونانية :

قال : إنك لم تهتد بعد إلى النبع الأصيل الذي تستقي منه . أنتجت وأنت
تحاول وضع القالب الفني للتمثيلية المصرية إلى الأساطير الإغريقية مستلهما
موضوعاتك ، لماذا ، لأن نشأة المسرح كانت إغريقية ولأن الأوربيين ورثة
الإغريق قد جعلوا المسرح الإغريقي والتمثيلية الإغريقية والأساطير الإغريقية
أساساً لأعمالهم . لماذا لم ينقل العرب ذلك فيما نقلوا عن الإغريق ، إن كتاب
الجمهورية لأفلاطون قد ترجم إلى العربية وما أشك أن فيه من الأفكار حول

تلك المذنية المثالية ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه ولكن ذلك لم يمنع من نقله . إن الصعوبة الأساسية في الأساطير واستلزامها ليست في حاجة إلى الفهم ، ولكن الصعوبة الحقيقية كامنه في الشعور بها في أعماق الضمير .

لهذا لم يكن يمكننا أن نشعر العرب بجمال التراجيديات الإغريقية الممتدة من هذه الأساطير ولا أن ننقل إلى تراثهم الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية تدفعها حيوية حارمة إلى كل تصرفاتها ، حيوية لا تعرف العدل والحق والخلق والضمير لأنها حيوية عاتية شهوانية باطشة ، فليس لديها ما يمنع من صب كل هذه اللغة على أوديب لمجرد شهوة حقد من أبولون ، كذلك صنعت مع هرقل .

أما الإسلام فإنه ينفذ نهائياً فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله .

(٦)

يقول لويس جارديه : أن صراع العواطف النفسى الذى يعتبر المادة الأساسية للدراما والتراجيديات وتحايل الطباع الذى يقوم عليه كل الكوميديات الكبيرة لم يكن قط من خصائص المجتمع الإسلامى الكبير ، فهذا العدل بين الإنسان وقدره الذى مجده كتاب المسرح اليونانى لا يتناسب مع مفهوم الحياة ولا مع العلاقات التى تربط الإنسان بخالقه في المجتمعات العربية والإسلامية .

ويقول جوستاف جردنيوم : إن الإسلام السنى لم ينجح في خلق فن مسرحى رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية ، وهذا لا يعود إلى سبب

تاريخي قدر ما يعود إلى مفهوم الإنسان في الإسلام وهو مفهوم يمنع وقوع
أى صراع درامى .

ولقد كشف الباحث التونسي الدكتور محمد عزيزه عن الاسباب الدينية
السكينة وراءه واستحالته ، : قيام صراع بين الإنسان المسلم وخالفه فقال :
إن الإسلام دين ودنيا وأنه قد نظم الامور الدينية وقواعد الحياة والسلوك
بالنسبة لكل فرد وبالنسبة للمجموعة كلها ، وكل من يخرج عن مجموعة
المسلمين ولو مقدار فارق شعره فإنه يموت كافراً .

إن صراع الإنسان مع القدر : أى مع التاريخ الدرامى شئ يصعب
تصوره فى إطار الإسلام ، ذلك إننا لا نواجه التاريخ إلا إذا أحسننا
بوجوده الموضوعى المستقل عن رغباتنا الشخصية والذي لا يخضع لها ، أما
بالنسبة للإسلام فالتاريخ لا يتطور جدلياً فهناك زمن بعينه عتد الله فيه
ميثاقاً مع المؤمنين وقال الرب لعباده :

ألمست بربكم قالوا : بلى . وبين فترة وأخرى تأتى الأنبياء والرسل
يذكرون الناس بهذا الميثاق وهذا الزمن للبعيد غير المحدود ومهما كانت
الاحداث تبدو لنا من الوهلة الاولى مخالفة للمصالح العامة فإن الفكر
الإسلامى لا يشك لحظة واحدة فى تخطيط الله غير المكشوف للإنسان
والذى لا يمكن أن يودى إلا إلى الخير ولو بعد زمن طويل .

فهى حتمية متفائلة ترتكز على إنسجام نظام الكون وتجعل الإنسان
المسلم يتحرك بعيداً عن التناقضات والصراع .

وفى المفهوم الإسلامى للمجتمع فإن إرادة الفرد تنصهر برغبته فى إرادة
الجماعة وحيث يبدو أنها تسلبه كل شئ فهى توفر له كل شئ وتعوضه عن

ذلك ، في مثل هذا النظام الإجتماعى لإمكان الدراما لسبب بسيط هو أنها ليس لديها ما تقدمه .

ويقول : أن المجتمعات البشرية تمر بفترات أو مراحل عبر تطورها ، وتتميز المراحل البدائية بطغيان روح الجماعة على العلاقات جميعاً ، ولهذا السبب فإن أبرز ما يميز حياة هذه الجماعة البدائية ومنها البدوية : غياب الصراع بين الافراد والفتيات منها ، فالفرد هو مجرد لبنة صغيرة في بناء الجماعة يستمد منها عزها وكرامتها ، ترتب على ذلك رأى عام جماعى ونظرة إلى العالم وتصور للسكون جماعيان فكل فرد كأي فرد آخر ، مثل هذه القربة غير صالحة لوجود أدب درامى وبالتالى مسرح ، حتى لو عرفت الاضطرابات الثابتة ما لم تتجاوزها إلى مرحلة إجتماعية أخرى هي أعلى منها ، وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الحياة تقتصر إلى كل مبررات الصراع بين فرد وفرد أو بين فرد وجماعة ، أو بين جماعة وجماعة وقد تضطرب كل الجماعة مع جماعه أخرى غريبة ، (مجتمع آخر قبيلة مجاوره ، شعب آخر) غير أن مثل هذا النوع من الصراع يستدعى (الملحمه) لا الدراما .

فالملحمه هي السجل الخالد للجماعة : أعمالها وبطولاتها وآثرها وأبجادهما ولا يستدعى الدراما ، والعربى كان لا يزال بعيداً عن الإحساس بذاته المميزة عن ذات الجماعة لذلك لم يفكر بالأدب الدرامى .

إن اكتشاف الإنسان لنفسه كئند الآلهة أو كشخصية مستقلة تقف وحدها تجاهها يعنى القول بوجود إرادتين : إرادة الإنسان وإرادة الآلهة وبالنسبة للإسلام فإن مثل هذه الثنائية ليست غير موجودة ، فحسب ، بل وغير متصورة على الإطلاق ، فالله تبارك وتعالى فى الإسلام هو مصدر كل شئ وأس كل شئ وهو قف الإنسان إزاء إرادة الله هو موقف العبودية والتسليم الكامل ، ومن ثم فإن إرادة الإنسان هي جزء من إرادة الله الشاملة

ومن شأن هذا المفهوم أن يحرر النفس المسلبة من كثير مما تقاسى النفس الغربية من العذاب والآلام والتمزق والصراع .

هذا الصراع هو جوهر المسرحية والعمل الدرامي ، وهو غير متوفر إطلاقاً في أفق الإسلام أو المفهوم الإسلامى لعلاقة الإنسان بربه أو بالمجتمع الإسلامى نفسه .

وإذا كان هذا الصراع في الفكر الغربي دن أربع أنواع نهى جميعاً تنصهر وتذوب في مفهوم الإسلام الرحيم السامح الذي ينقذ الإنسان والبشرية من هذا الدمار النفسى .

(أولاً) الصراع بين الحرية البشرية والإرادة الإلهية الذى يصوره (برومبوس) لوجود له في الإسلام حيث أن الإرادة الإنسانية الحرة ، تتحرك في إطار الإرادة الإلهية الكبرى وتخضع لها عن طواعية وتسليم ورضا كامل .

(ثانياً) الصراع الذى يجسد المواجهة بين حرية الفرد وبين الكيان الإجماعى لا وجود له في الإسلام حيث أن حرية الفرد تنمو بالغيرية والعطاء والإتفاق والرحمة حتى تنصهر تماماً في المجتمع دون أن تفقد وجوده ذاته .

(ثالثاً) الصراع الذى يحسد المواجهة بين العقوبة البشرية وبين القدر لا وجود له في الإسلام حيث يؤمن المسلم بأن ما أصابه من شر فمن نفسه وما أصابه من خير فهو من رحمة الله الذى تطلب منه الهداية (اياك نعبد وإياك نستعين) فالمسلم يتحرك في الحياة فيعطى ثم يلتمس من الله العفو والغا فيه .

(رابعاً) الصراع الذى يجسد المتناقضات الداخلية في الإنسان ، لا وجود

فه حيث أن المسلم يؤمن بأنه جماع روح ومادة وشهوة وأشواق عاوا وأنه قابل للرجبات الدنيا والمطامح الربانية فهو قادر على الموازنة بين ذلك وذلك دون أن تقع في التناقض أو الصراع .

ويتساءل الباحث عما إذا كان المسلم حسب حضارته ودينه يستطيع أن يحيا إحدى هذه الحالات الصراعية الأربع ، هل يستطيع أن يضع المسلم حريته الشخصية أمام إرادة الله ، أو أمام الكيان الاجتماعي لمدينته أو يواجه بها منطق التاريخ والقدر أو أن يكتشف أخيراً في أعماقه إنساناً آخر يصارعه .

وتكون الإجابة أن أوجه الصراع المختلفة هذه التي يقاسيها الغربي وتمثل في المسرحية والدراما بالذات لا توجد في الفكر الاسلامي ولا في المجتمع الاسلامي ولذلك فإن الفكر الاسلامي لا يعرف هذا اللون الذي يتعارض مع عقيدته وطبيعته النفسية والعقلية والروحية .

وبعد قادر التغريب حين احتال إلى إدخال المسرحية إلى الأفق العربي الاسلامي وهي غريبة عنه غير معقولة لديه ، إنما كان يستهدف إدخال مفاهيم مسمومة تتعارض مع القيم الاسلامية الأصلية عن طريق الفن والقصة والمسرح ، نظراً للأقبال على هذا الفن والاعجاب به لغرابته ، ولما كانت المسرحية هي حوار معد أساساً لإدخال نكره ما إلى النفس والعقل فإن هناك محاذير كثيرة تواجه الشباب المسلم الذي لم يتحصن تحصناً كافياً بالمفاهيم الاسلامية ، ومن ذلك مسرحيات سارتر وكامي وبكيت ويونسكو التي تحاول أن تسخر من قيم الأخلاق والدين وتصف كل شيء بأنه غير مقدس وتثير الشبهات في كل أفق سليم ولا شك أن مسرحيات اليبس وللا معقول والرفض المكشوبه والمشاهدة تقدم سموها كثيرة للعقل الذي لم تحصن معطيات إسلامية كثيرة في طور النشأة .

ولعل أخطر ما يواجهنا هو التفرقة بين الواقع الانساني القائم في المجتمع والصورة الفنية الخيالية المنسوجة على هيئة مسرحية ، ذلك أن هذا العالم الخيالي المزور المزيف يختلف عن عالم الواقع تماماً فهو مضاد له كثيراً، ولا شك أن في اعتباره حكماً على عالم الواقع تجاوز كبير وخطر مستطير، لأنه يخرج عن الحقيقة التاريخية وعن طبائع الأشياء ولأنه يتكئ على الجانب المظلم والأباحي من النفس الإنسانية ويسرف في الإباحه والتشاؤم ويركز على الأوضاع المسفّه المنحلة .

الفصل الخامس

السينما

الصور المتحركة أو السينما هي واحدة من أدوات التسلية والترفيه العصرية التي أصبح لها بعد المسرح مكاناً واسعاً في المجتمعات العالمية وقد استطاعت القوى المسيطرة أن توجهها توجيهاً خطيراً يستهدف بها دفع الشباب والفتيات إلى مفاهيم خطيرة في العلاقات الإجتماعية وخاصة في مشئون الزواج والحب والتعامل يتعارض تماماً مع كل القيم والمقررات والضوابط التي حملت لوائها الأديان وما يتصل بها من اخلاقيات وفضائل فكان لها أبعاد الأثر في خلق طابع من الشرعية على الفساد والانحرافات وأساليب الاغتصاب وخاصة فيما يتصل بمجال الجريمة والجنس .

وقد انتقلت السينما في العقود الآخرة إلى أجواء أشد فساداً وكانت نكسة ١٩٦٧ م. نقطة لدفع طابع الجنس في الصور المتحركة والروايات المعروضة إلى أقصى حد وطرح في أفق المجتمعات الإسلامية أفلاماً غاية في الإباحية والفساد وكان هذا دافعاً للسينما المحلية إلى أن تجرى هذا المجرى حتى لا تفوتها فرصة التجارة والتنافس .

وقد حفلت هذه الأفلام السينمائية التي يمكن القول بأنها أوقفت نفسها على الجنس والجريمة بالابتذال الرخيص ، وحفلت بسبيل متلاحق من العبارات والألفاظ والتلميحات والاسقاطات الجنسية التي تفيض بها مسرحيات الإضحاك والتسلية الرخيصة وقد تقذت هذه الأفلام إلى البيوت والأسر والأطفال عن طريق الإذاعة المرئية فأصبحت خطراً لا حصر له وأصبح على ألسنة الأطفال والشباب كلمات نائية وفي عقولهم وأذهانهم

لها أبعد الأثر على حركتهم في المجتمع وعلى فهم للعلاقات بين الرجل والمرأة
والأمرة والزواج وهي مفاهيم منحرفة بعيدة عن الأصالة والفطرة .

ولقد اشتهرت أفلام تمجد القسوة والتعذيب في مجال الجنس واستعلاء
المذاهب السادية والماشوسية وقد مدت مواقف ومشاهد جنسية يكاد المرء
لا يصدق نفسه إنها كتبت بكل هذه الحرية والصراحة التي تكاد تبلغ حد
الابتذال الفاضح .

وقد انطلقت هذه الظاهرة من مفاهيم فرويد التي طرحها منذ سبعين عاماً
والتي تلقفتها القوى الأجنبية ونبتها ودفعت بها إلى تدمير القيم الأخلاقية
والدينية في الجماعة البشرية المعاصرة ويقول الباحثون في هذا المجال إنه لم يخل كاتب
أجنبي في العصر الحديث من آثار هذه الدعوة ولكن عصرنا من العصور لم
يشهد ما شهده عصرنا من موجات الجنس المتلاحقة التي تكاد تغطي أوروبما
تغرق كل أنواع الفنون والآداب ومن ذلك الفيلم الأخير الذي قبل أنه
يجرى إخراجه عن حياة السيد المسيح الجنسية .

ويقول الباحث أن الحكومات الغربية قد عملت على وقف عرض هذه
الأفلام داخل ساحات عرض خاصة مع تحريم تعليق الإعلانات والصور .

وهذا ضرب من الإحلال المفروض على الحضارة الأوروبية بحكم تطورها
وتفسخها ومن هذه الانهيارات أن القضاء أصبح يؤيد التعبير الفني المكشوف،
عن قصص كانت ممنوعة في الجيل السابق أمثال قصة لورانس : عشيق اللورد
تشارلي وهكذا فتحت الطريق أمام مسرحيات أشد عنفها مسرحيات الكونت
دى ساد وما تحويه من فحش السادية وبشاعتها ومسرحية برنادرشو التي دمع
فيها القرن العشرين بأنه قرن تجارة الرقيق الأبيض والتي أشارت بأصبع الاتهام
العريضة لما تحولت إليه الحضارة الغربية كعبادة للصناعة الحديثة من إنتاج

الإسلامية وتجارة وتسويق الجنس وتحقق نبوءه برناردشو وغرق الفن في الجنس حتى أخضع القدمين وتوالت موجاته فسيطرت على الأفلام البوليسية والتحليل النفسى والأفلام السياسية .

ويتصل بهذا ما يقوله مدير التليفزيون الفرنسى إنه سوف لا يوجد منذ سنين شريطاً واحداً يصلح للغرض التلفزى نظراً لاتجاه المنتجين إلى إنجاز أفلام عنيفة أو جنسية وأكد علماء الاجتماع أن العنف ينتشر مع تمجيده على الشاشة فالمتفرج وخاصة المراهق أو الشاب وفي بعض الأحيان الطفل يتأثر بتلك المشاهد ، شيئاً فشيئاً تصبح عاديه لديه وربما تعجبه إلى درجة أنه يعتمد إلى تقليد أبطالها ثم تدخل في سلوكه وينحرف لأن الأفلام الحالية تصور شباباً عادياً يمسو ويفزع ويهاجم ويعذب ثم يقتل .

وقد بدأ العنف في ثوبه الجديد يكتسح السينما منذ أن شرعت السينما الإيطالية لإنتاج أفلام الرعاة البقر وإنما في قالب طريف يغلب عليه العنف الشديد الذى يصل إلى حد الفظاظة والاشتمزاز .

هذه هي الصورة العالمية للسينما والاختطار التي تتصل بها ومدى التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم إزاء تصدر جانب من هذه الأفلام إلى بلاد الاسلام مع كل الحيطه فإن عدداً ضخماً من الأفلام الجنسية القاسية قد دخل وأحدث إثارة خطيرة وهدد نفسيات الشباب المسلم على نحوه أبعاده الخطيرة في مستقبل شباب السينما الجنسية .

والخطر اليوم ليس خطر السينما وحدها ولكنه قد تضاعف مع مجيء التليفزيون ونقله لهذه الأفلام وتقديمها داخل البيوت وخاصة أفلام رعاة البقر التي تعمد على العنف والمطاردات والقتل ومشاهد التعذيب والاختطاف وهي مشاهد قاسية بعيدة عن اللطف والبشاشة واللياقة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى مدى الخطر الذي يواجه المجتمع الإسلامى نتيجة لهذه الظاهرة، التى وصفت بأنها تنفيذ لخطة جهنمية وأنها ليست تصويراً الواقع المجتمع أو ثوره على تقاليده .

وايس صحيحاً - كما يقول الأستاذ محمد الصيغى - ما يقوله المدافعون عن هذه الأفلام من أنها تشخيص لحقيقة واقعية بشكل واقعى فى مجتمع لم يعد أبناؤه يرغبون فى غير الاطلاع على كل خاف وتعرية كل مستور ومن حيث تشكل العلاقات الجنسية غير الشرعية خلال خلقها واقعياً يجب معالجته وايس صحيحاً أن أفلام الجنس ليست إلا تعبيراً رمزياً عن معارضة المجتمع الحديث بكل تقاليده ومعتقداته حيث يمكن التعبير عن ذلك بوسائل غير هذه الوسيلة التى تدمر كل شئ والصحيح أن هذه الأفلام وسيلة سهلة الربح المادى حيث أن إنتاج هذه الأفلام لا يحتاج لقدرات فنية ولا إمكانيات مادية

ويقول أن هذه الأفلام هى الوسيلة الوحيدة لمنافسة الأفلام الجادة من إناس لا يستطيعون ولا يريدون عن قصد إنتاج أفلام جادة بنائه والنتيجة أن الأفلام الجادة تأخذ الإبتعاد ويدا رويداً أو أنها تصبح محدودة الجمهور عدداً ونوعاً وبالتالي تروج سوق الأفلام الرخيصة وينشأ نمط ثقافى هزيل منحط .

ومن هنا فإن النتيجة هى إنصراف جمهور الشباب عن الاشياء الهادفة المفيدة بحكم الألفة والتعدد وتسيطر على عقولهم نزوات وفتن تدمر قيم المجتمع وتذشر فيه الجريمة والانحلال . وهذا هو الهدف الحقيقى من إنتاج الأفلام وكتب ومجلات الجنس الرخيص وأن وراء ذلك كله توسعات منتشرة فى جميع أنحاء أوروبا وأمريكا وإن أغلب أصحابها يهود وإذا تذكرنا ذلك فسوف تعود بنا الذاكرة تلقائياً إلى بروتوكولات حكماء صهيون حيث تقرر

أن تدمير القيم والأخلاق في العالم مستمد من الجنس كأحد الأسلحة الفعالة
ليتسنى لهم أن يحكموا كل الشعوب .

ولا ريب أن المراقبين يذكرون كيف غزت الأسواق في الشرق العربي
بعد حرب ١٩٦٧ موجة من هذه الأفلام الجنسية ما زالت مستمرة ومتزايدة .
وقد صبغت صناعة السينما المحلية بلونها القاتم ومفاهيمها المسمومة ،
والمقصود هو : - عيم جر الهزيمة والخيول بدون نشوء جو من المقاومة واليقظة
بين الشباب وقد فعل اليهود ذلك في المناطق المحتلة وعلى مدار التاريخ .

فقد كان اليهود ينشرون الفساد الخلقى في كل بقعة يحملون بها أو يحتلون
ليركس غيرهم إلى الذات فلا يتنبهون لخطرهم فيقاومونهم ،

وقد واجهت هذه المحاولات الخطيرة مقاومة ونقداً من كثير من العلماء
الإجتماعيين فقالوا : « لا للسينما الفاضحة » ، بعد أن ترددت السينما في حماة
الكتابة الداعية التي تؤلف لاستثارة إحدى الغرائز الحيوية في الإنسان
لأهداف من كتابتها سوى الكسب المضمون فالخيال في غريزة الجنس عنصر
مشديد الفاعلية .

وقد تطور أدب العصر عن بعض أهله إلى ما يوصف : البورتوجرافيا
(الكتابة الداعية) والمثل الذي يحضر في هذا الصدد هو روايه عشيق اللبلى
تشارلى تأليف د . ه . لورنس وهو المعبود من أوائل من كشفوا الستار
عن سيكولوجية تلك الغريزة ولا ريب أن أسوأ ما يدعو إليه كتاب السينما
هو قولهم أن أهم عنصر في السينما هو الجنس والجريمة .

وأن التصوير السينمائي تحول من التصوير الجانبي إلى التصوير المكشوف
للعلاقات الجنسية ، وأصبحت المناظر الداعية شيئاً عادياً وإن واحد من ثلاث أفلام

تعرض الآن في الغرب بعضها واحداً من هذا النوع حتى أصبح لا يمكن التمييز بين دور السينما وبيوت الدعارة .

وتؤكد الأبحاث أن وراء هذه الظاهرة الخطيرة : تحقيق الأرباح الخيالية وتنفيذ الاستراتيجيات التي ترمي إلى تدمير القيم الإنسانية والأخلاقية في الشعوب والأمم : العربية والإسلامية .

وإن وراء طرح هذه الأفلام الرديئة العمل على إستعباد الإنسان أينما كان .

وإن محاولة خطيرة تحاول محاصرة الإنسان للتقضاء على وجوده وتدميره داخلياً وذلك عن طريق أفلام اللامعقول والأفلام الخيالية والجنسية وقصص الرعب وأفلام الكوارث وأفلام الحيوان التي تقول أن الحيوان هو عدو الإنسان الأوحده حيث تطرح أفلام متعددة عن وحوش مجسدة بميته وقاتله وضفادع ضخمة بشعته ورهيبة أبتلع إنساناً ، وجرز وافاعي وحيثان وزواحف تدمر المدن ويتفقت هدف هذه الأفلام من أفكار دموية مفزعة زادت حدة الفزع لدى المشاهدين . ومن بين هذه الأفلام فيلم البلعوم ، عن حوت مصنوع يقوم بأعمال بشعة ومفزعة على الشاشة ، وقد حقق الفيلم في إحدى عشر أسبوعاً من العرض رقماً خيالياً من الدخل بلغ (١٢٤ مليون دولار)

ولا ريب أن هذه الأفلام التي تخصص للعالم الإسلامي والبلاد العربية تستهدف أمراً خطيراً هو إلهاء هذه الشعوب عن حقيقة واقعها وظروفها والتحديات التي تواجهها .

أما السينما المحمية فقد جرت هذا المجرى فافسدت أذواق الجماهير بعرض

أشياء لا هدف لها، الضحك للضحك ، ولم يعد عالم السينما سوى مايوهات
وصدور عارية، وأن الجيل الجديد من الممثلين والكتاب والمخرجين قد
أجرم إجراماً شديداً فقد عمل إلى صهر الإنسان وراء الرمزيات والجرائم
والإباحيات مما أفسد كثيراً من الأذواق وتصل إلى الواقع الخفيف للشباب
مفاهيم فاسدة مسمومة ستظل بعيدة التأثير في حياتهم كلها .

ولا ريب أن أخطر ما في هذا العمل كله هو عمل المخرج : الذي تنقف
ثقافة الغرب واحتوته مفاهيم التلموزية والباطنية والمفاهيم التي يقدمها
الدراما الغربية واليونانية والمفاهيم المسمومة التي تطرحها عن العلة بين
الخالق تبارك وتعالى وبين الناس .

كل هذا ينقل لتصهر فيه مسرحيات وروايات عربية أو شرقية تختلف
في قيمها واتجاهها عن المفهوم الغربي الفاسد فالفكر العربي الإسلامي يقوم
على الساحة والرحمة والكرامة وتبديد الغرائز وليس على القتل البشع
والجريمة الجنسية ومشاهد التعذيب والموت البطيء والاغتصاب والتشيل
بالجثث، تلك صفة المجتمع الغربي وهي مضادة للفطرة ومعارضة للمفاهيم والقيم
التي عرفها العرب والمسلمون منذ أربع عشر قرناً وهي تدخل قلوب وعقول
مجموعات من الشباب الصغير الذي لم يستوعب ثقافة الإسلام ولا مفاهيمه
التي قدمت له الأديان وقدمها له الإسلام .

وهي في مجموعها تهدف تدمير النفس العربية الإسلامية والعقل العربي
الإسلامي ، ونصويره بصورة المغلوب على أمره خاصة عندما يرى أمثال
طرزان ودريكولا من أبطال وهميين غربيين يقهرون السود والشرقيين ،
والمشاهد القياسية البعيدة عن اللطف والبشاشة واللياقة .

ولقد وصف كتاب الغرب السينما بأنها افيمون الإنسان المتمدن وأنه يذهب إليها هارباً من نفسه لينسى واقعه السيئ بأن يعيش في خيال كاذب مدمر وإذا عاد إلى حياته وجد أنه لم ينتقل خطوة واحدة ، وهذا ما يعترض عليه المفهوم الإسلامى الذى يدعو المسلم أن يواجهه لحياه بطبيعتها ويعالج واقعها وأزماتها دون أن يهرب منها أو يخفى رأسه كالنعام فى الرمال .

وما نقوله عن السينما نقوله عن الأغنية التى فسدت وانهارت وقامت فى تصميمها على محور الحب المريض الذى تدور حوله كلنات الأغاني وهذه الحركات المبتهله التى يؤدى بها المطرب أو المطربة اللحن بترقيص الحواجب وغمز العينين وهز الثديين ، وتوظيف الوسط والردفين وتحريك الرأس وتقليص عضلات الوجه بصورة متشنجة تعبيراً عن الألم الشديد للفراق والهجر . ويتصل بهذا الموسيقى الرخوة المعبرة عن أجواء قصور الحریم وتملق عواطف الطرب الرخيص والإحساسات السوقية .

كل هذا يكشف عن فساد الأعمال الفنية المطروحة فى أفق المجتمع الإسلامى وما لها من آثار بعيدة المدى فى تكوين الأجيال الجديدة .

ملاحق البحث (أولا)

عودة المرأة إلى البيت

- لماذا تقف جماعة دعاة التقدم لتحول دون تصحيح وضع خاطئ ؟
- لقد أثبتت التجربة فشلها أليس من الحق أن تعود إلى الصواب
- لقد تعالت صيحة المرأة الغربية في العودة إلى البيت بعد أن دمرت الأسرة وتحطمت الطفولة فهل نتنظر حتى نصل إلى هذه المأساة ؟

...

منذ وقت طويل ، والصيحات تتعالى في الغرب تطالب فيها المرأة بالعودة إلى البيت ، المرأة هي التي تطالب العودة بالرغم من كل وسائل المواصلات المتاحة وأجور التفرغ وغيره من الامتيازات ، وقد جاء ذلك نتيجة إحساس داخلي بالضيق وفقدان الهوية فلم تكن المرأة في الحقيقة هي التي خرجت للعمل ولكن الرجل هو الذي أخرجها . ومن يدرس قضية المرأة في الغرب يعلم أن لها خلفيات خطيرة وبعيدة المدى ، أبرزها محاولة إخراجها من البيت ومن الأسرة ومن الأوضاع الطبيعية إلى أن تكون أداة ، تجري وراء التفسير المادى للتاريخ فيحاول أصحاب المصانع تشغيلها بأجور أقل من أجور الرجال ، ويحاول أصحاب التفسير السيكولوجى الفرويدى جعلها أداة ، توفيه ومتعة في مراكز العمل ، ولقد كانت أبحاث العلماء وإحصائيات الدارسين كلها تكشف عن أن صلاحية المرأة للعمل صلاحية جزئية وأن إنتاجها ضعيف ورندي وإنها تحتاج إلى مساعدة الرجل ومجاملته من أجل الوصول إلى أدنى درجة من التقدير العملى ، وذن وراء ذلك فلسفة مادية خطيرة يرددها البعض إلى محاولة قوى الغزو التلوىدى المجتمع الغربى في هدم الأسرة وتدمير الطفولة

وانقاص النسل وشغل المرأة بالزينة والسهرات والأندية وبذلك يمكن تدمير المجتمع وقد كشفت دراسات الباحثين عن نتائج خطيرة في هذا المجال ، ثم جاء دور الشرق ، ولسنا نحاول أن نستعرض التاريخ والمؤامرات ونوصي من يريد أن يلم بها أن يقرأ كتاب الأستاذ محمد عطية خميس « مؤامرات ضد الأسرة المسلمة » ، ولكن نقول ماذا عن عصارة التجربة بعد خمسين عاماً أو يزيد . . . وانتحدث بمقاييس العصر . . . هل استطاعت المرأة أن تقدم إنتاجاً نافعاً أو تعطى مجالات العمل ما يحقق التنمية أو زيادة الدخل ؟

إن كل الإحصائيات التي قامت بها الدوائر المختصة قد كشفت عن عجز المرأة ، وأن عملها في مجمله لا يحقق للأمة أى نتيجة لو أن هذه الوظائف كان يشغلها رجال ، وذلك راجع لأن عملية تشغيل المرأة لم تتم على وجه سليم ، بل أن تعليم المرأة لا يزال يتم على أسس غير طبيعية ، فالمرأة ذات السكبان الخاص والطبيعة الخاصة يجب أن تتمكن لها منهاجها الدراسية المختلفة عن منهاج الرجل والتي يجب أن تعمل على أعدادها لمهمتها الأساسية والخاصة والتي هي أكبر من كل عمل . تلك هي الأسرة والامومة وتنشئة الطفل وإعداد المنزل . هذه هي مهمتها الاولى التي إذا تعرضت للخطر كان على المرأة أن تضحي بكل عمل في سبيل حمايتها وإقامتها على أصولها ، أما نحن الآن فإننا نعرض لمليون طفل على الأقل لرعاية الخدم ونتركهم في البيوت معرضين لآخطار الرضاعة الصناعية وظروف البيوت من بوتا جازومرض وهم في تلك الفترة ينفقون أكبر مقوم لحياة الطفولة وهو الحنان حيث يعاملون عن طريق الخاديمات ومراكز الطفولة بأسلوب جاف ويتعرضون لمخاطر متعددة في الحركة أو الطعام أو الشراب ولا يجدون يد الام الحانية خلال هذه الفترة التي تمتد إلى الساعة الثالثة بعد الظهر فإذا عادت الام إلى البيت كانت منهكة من العمل والمواصلات وكانت ملهوفة على إعداد طعام

الغذاء وبذلك لا يعود الحنان إلى الطفل إلا في المساء بعد يوم كامل قاس ،
فإذا جاء المساء كانت الزوجة تستعد للسهرة وللخروج للزيارة أو للسبيل أو
للسهرة في هذا النادى أو ذلك فإذا الطفل يفقد بقية اليوم إلا من الحظوظ
قليلة لا تكفى لتكوين حياته وللملء نفسه ومن ثم ينشأ الطفل محروماً من
حنان الامومة الذى يتصل بمباشرتها ورعايته ومن ثم يمرض في حياته
المستقبلية لاضطرابات عصبية ونفسية لا حد لها ، ونحن نرى ، الام ، الآن
تعيش ظاهرة خطيرة : تلك هى ظاهرة كراهية الاطفال فهى تنجب بمفهوم
الزوجة التى تريد إرضاء الرجل بالولادة ، وهى فى نفس الوقت تكره تربية
هذا المولود وتحرص على هجرانه والابتعاد عنه وتسليمه للخادومات وإذا كبر
وأخطته معها فى زيارة أو خروج فإن عبارات تعاملها معه ، وما فيها من
جفاف تكشف عن هذه الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة انفصام شديد بين المرأة
والطفل ، هن فى الصباح مشغولة عنه فى عصبية شديدة لأنها استيقظت
متأخرة وتريد أن تلتحق بالعمل ، وفى المساء مشغولة عنه بزياراتها ووقتها
الذى تريد أن تستمتع به ، والضحية فى هذا كله هو الطفل ، ذلك لان هذه
الفتاة لم تتعلم مهمتها الاساسية : مهمة الامومة ومهمة الزوجية ومهمة البيت
ولكنها تعلمت تعليم الرجال لى تحصل على شهادة وبعدها تعمل وتقبض
مرتباً تنفقه على الفساتين والاحذية ، وعلى الكماليات دون أن ينتفع منه
البيت بمليم واحد ، فإذا جاء اليوم داع يدعو المرأة إلى تحقيق رغبتها بعد
شقوة شديدة شاهدها مرارا والمرأة داخلة إلى عملها بعد أن تمثلت قسوة
المواصلات والزحام والخروج المبكر وترك الطفل المريض المرتفع الحرارة
أو ترك الطفل قريباً من الموقد أو البوتاجاز وتظل تلك الفترة فى ذلك القلق
الشديد ، الذى لا يمكنها من أن تعمل عملاً نافعاً ، أو مجدياً ، إذا جله هذا
الداهية الطيب الكريم ليحقق لها ذلك الامل : أمل العودة إلى البيت ورعايته

طفلها بنصف أجر وتبدى من وراء ذلك أمل جديد هو قيام حياة الأسرة مرة أخرى على أساس طيب ، تتفرغ فيه المرأة لبيتها وزوجها وطفلها وجدنا أولئك الكارهين للأسرة الراغبين في تدميرها أو الداعين لهدف بروتوكولات صهيون الذين عاشوا حياتهم يزينون المرأة الخروج والتحلل من مسؤوليتها ، ويدفعونها إلى مسابقات الجمال ، ومسابقات الأزياء ، والسهرات والنوادي ، نراهم وقد قامت قيامتهم الآن يقولون وهم الكاذبون المضللون .

د ليس من السهل إرجاع المرأة إلى البيت فإنه مخالف للتطور والاتجاه العام وأنه ردة إلى الوراء ليست مقبولة بأي منطق أو تبرير ،

لماذا : أليس رجوع المرأة إلى البيت هو رجوع إلى الأمالة والفطرة والطبيعة ، أليست تلك تجربة قد تصلح وقد تبوء بالفساد ، وإذا كان قد تبين فشل التجربة ، بالإحصائيات في مجال العمل الذي يدفع لها الأجر ، وإذا تبين مدى الاخطار التي لحقت بالأسرة ولحقت بالطفل ، أليس من الخير الرجوع إلى الحق وهو أولى من التماهى في الباطل .

وما هو هذا التطور الذى يتشدد به أولئك المضللون ، وما هو الاتجاه العام ، أليس الاتجاه العام هو بناء الأمة وبناء أبنائها ، وأجياها ، أليست لنا مفاهيم وقيم عربية إسلامية تختلف عن غيرنا ثم أليست أمامنا تجربة الغرب الفاسدة التى دمرت الأسرة والطفولة ، هل علينا أن نستمر حتى نصل إلى تلك النتائج الشريرة ، أم أنه من الخير لنا ما دمننا قد رأينا فساد تجربة ما أن نرجع في منتصف الطريق ، ما دمننا قد رأينا فساد تجربة أن نرجع في منتصف الطريق ، أن ما يدعونا إليه هؤلاء من الاستمرار في تجربة خاطئة

إنما هو الحق بعينه ، إنما هو الضلال والباطل ، والكذب على الأمة ،
والتغريب بها وغشها .

أن هذه الملايين من الأطفال مستكون في القريب شباب هذه الأمة
وعمادها فإذا نشأت هذه النشأة الحزينة الضارة ، محرومة من ابن الأم ومن
حنان الأم ومن الأسرة الطيبة الجامعة ، حيث تحرم آفاق الفهم والعلم
والتعرف إلى الرغبات والظروف عن طريق الأب والأم في إجتماعها بأبنائها
يوماً بعد يوم ، أي خير في هذه الحياة المضطربة التي تقضيها المرأة في دوائر
العمل اليومي ، ولا عمل لها إلا التريكو ، أو الحديث أو قراءة الصحف أو
قراءة القصص ، ودون أن يحقق لأسرتها شيئاً ، على العمل وعلى الدولة ،
ودون أن يحقق لأسرتها شيئاً ، فإذا عادت منهوكة القوى فإنها لن تجد في
بيتها شيئاً ، وأي حياة تلك التي يحياها الرجل وزوجاتهم لا وقت لديهم لإعداد
بيت أو إطعام طفل ، إنها حياه تافهة فارغة لا قيمة لها .

من الحق أن تعمل المرأة في ظروف خاصة ، وأن تعمل المرأة في نوع
معين من العمل يتفق مع طبيعتها ولسكن العمل على إطلاقه على النحو القائم
الآن ، لا يؤدي إلى شيء ، فلا هو منتج في دائرة العمل ولا هو صالح في
دائرة البيت . ولا يصح في مفهوم الإسلام تضحية الأسرة والبيت والطفل
من أجل العمل ، من أجل مورد ضئيل يضع أغلبه على ملابس الخروج
ومصاريف الانتقال ، وعلى كميات تافهة لا قيمة لها ولا وزن لها أزاء الخسارة
الكبرى البالغة التي تخسرها الأسرة والمجتمع والأمة والبيوت .

نحن في هذا الحديث لا نعمم القول إلا بقدر ، ولسكننا في الواقع نتحدث
إلى المرأة المسلمة التي تريد أن تعرف حكم دينها والتي ترغب في تحكمه في كل
شئون حياتها فيما أباحه الإسلام فهو عندها المحرم .

أحب أن تعلم المرأة أنها لم تخلق لتنافس الرجل وإنما خلقت لتعينه وليكمل أحدهما الآخر ، وليمكن إياها :
[ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها] ومن سنن الحياة وطبايعها التي لا تبدل ، أن للرجل قوامه تنظيم أهول الحياة ، وقد توات الطبيعة قسمة القوة والضعف بين الرجل والمرأة ، فجعلت القوة من نصيب الذكر والضعف من نصيب الانثى وجعلت الرجل أقوى قوة وأمن بناء وأكثر احتيالا وأقداما وأكثر استعدادا لحل المسئوليات الجسام وجعل المرأة أكثر احتمالا لمهمة الولادة والرضاعة والقيام على الأسره فيها بذلك يتكاملان . ومن أجل ذلك فقد أعفى الإسلام المرأة عليهم من الولاية العامة بل حرم الولاية العامة عليها فليس لها أن تؤم الرجال ولا أن تأتمر عليهم ولا أن توجههم فليس للمرأة المسلمة إذن أن تتمنى الوصول لمكانة الرجل أو أن تطلب هذا النوع من المساواه فيما فضل الله به بعضهم على بعض . ولكن لها أن تفهم مهمتها ورسالتها وتؤديها وعلى الامة أن تعدها لذلك وأن توجهها إليه .

وأن المرأة الآن تؤيد العوده إلى البيت ، تلك المملكة الضخمة التي يحاول أن بغض من قدرها الكاذبون الذين يصورونها بأنها المطبخ او غسيل ملابس الأطفال ولكن الرجل هو الذى يعوقها ، فلماذا ، هل لانه يريد ان يجعلها موردا له ، يزيد به دخله ويحسن به وضعه المادى ، وهذا حرام فان أجر المرأة هو من حقها ، ام ان الرجل يريد هافى دوائر العمل لاسباب اخرى اما الكتاب الذين يحاربون القمكه فنحن نعرف خلفياتهم ونعرف اهداف المأسونية واندية الروتارى والليونز التى تريد ان لا تعود المرأة إلى البيت لان ذلك سيحول دون تحقيق هدف الصيريه فى تدمير الأسره المسلمة والقضاء على وجودها .

ومع ذلك فسوف تنصر فكرة الاصاله ، والفطارة ، وسوف تمتلك المرأة إرادتها الحققة فى العمل الذى خلقت له :

ثانياً : عندما دخلت بلادنا رياح السموم :

الماركسية والفرويدية والوجودية والمادية والشيوعية والعلمانية لإزالة
الذاتية العربية وإذابة الكيان الإسلامى .

هذا الانحراف الخطير الذى تردى فيه شبابنا وبناتنا فى غياب المنهج
الإسلامى الأصيل .

إن النظرة السريعة إلى الصحف المصرية فى هذه الأيام تكشف عن
ظاهرة خطيرة ، قد أصبحت واضحة فى مجتمعنا عميقة الأثر والدليل على
ذلك : الانحراف الخطير الذى يتردى فيه شبابنا وبناتنا فى غياب منهج
التربية الإسلامية بصاحب ويرافق بناء هذه الأجيال الجديدة فى الأسرة
وفى المدرسة وفى الشارع وفى المجتمع على النحو الذى يحميه من غائلة الاخطار
والتحديات التى يحتاجه بشدة . وإن هذه المادة التى تقدمها الصحف لتلك
الأحداث المتوالية لتلفت النظر إلى أن هناك شيئاً من ورائها هو غيبة الآباء
والامهات غيبة تامة عن واجبهم المقدس فى رعاية هذه الاجيال وتوجيهها
وحمايتها مما توى فيه من أخطار على نحو يكاد يصل إلى القول بأن الآباء
والامهات يشاركون أو يحرضون أبناءهم وبناتهم على سلوك هذا الطريق
المنحرف .

وأن مجرد مراجعة العبارات التى يقال ليدل دلالة أكيدة على مدى عمق
الخطر السامن فى نفوس الاجيال الجديدة والمفاهيم الوافدة المسمومة التى
اعتنقت هذه القلوب والعقول .

وعندما نرى مثلاً : فتاة تقول : (من أين إذن نأتى بمثل هذه الملابس
الغالية التى يبلغ ثمن الواحدة منها ثلاثون جنيهاً) فى الرد على استفهام المستفهم

عن الأوضاع التي يقارفونها ندهش أشد الدهشة ونعرف مدى الخطر الذي لحق أمننا وأجيالنا الجديدة نتيجة تلك المعطيات الخطيرة التي أصبح يقدمها الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح للشباب من خلال المسرحية والأغنية :

ذلك أن (أيدولوجية كاملة) خطيرة أشد الخطر مسمومة أشد السم ، تقدم لشبابنا وأبنائنا من خلال ذلك الحوار الذي يجري في التمثيليات والمسرحيات ، ومن خلال تلك الكلمات التي تشبه المصطلحات التي تجري على ألسنة أبطال هذه التمثيليات ثم تصبح من الأمثلة التي يرددها الناس كأنما هي حقائق أو قوانين أو مسلميات . هذه المفاهيم الخاصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة ، وقضية الحب العريضة الواسعة التي تناقش بأساليب غاية في الكشف والإباحية . . والعلاقة بين الأب والابن وتلك الصور التي تقدم وفيها إتهام للأباء . . وفيها احتقار للزوج وما يتصل بهذا مما تصوره فيلم (أريد حلا) وما يفهم الشباب والفتيات من هذا الحوار الخطير ، وذلك الأسلوب الرديء البذئ الذي يجري به الحوار ، وتلك التأوهات والتهديدات والصيحات التي تعلو أثناء الحوار المسرحي ، كل هذا قد انطبع على ألسنة الناس وعلى ألسنة الشباب وفي التعامل بين النساء والرجال ، وبين الذين في موضع خدمة الناس وبين المتعاملين معهم : . وتستطيع أن ترى هذه الصورة في وضوح تام إذا ركبت (أتوبيسا) أو دخلت سوقا أو وقفت في طابور جمهية تعاونه . . أسلوب الحديث كله تحفز ، وعباراته قاسية ورديته ، ونيات مطوية على دخل وكرامية ورغبة في أخذ ما ليس لها بحق ، سواء في علاقات الحب أو الزواج أو الأسرة أو التجارة أو التعامل .

هذه الظاهرة الخطيرة التي تسيطر على مجتمعنا الآن تكشف بوضوح مدى الخطر الذي يهدد الأجيال الجديدة في علاقاتها الاجتماعية وفي مفاهيمها ،
(م ١٤ - المجتمع الإسلامي)

وفي الثوب التي تحف تعاملها والتي تشمل في رغبة مباشرة إلى « الفواية » مدخلا إلى « الاعتصام » ونجد كتاباً من كتاب القصة يتخصصون في هذا الفن ، في إعطاء الشباب والفتيات مفاتيح التردى ، وأسلوب التعامل في هذه اللعبة الخطرة ، وذلك بتقديم تلك الصور المكشوفة والإباحية والجنسية المفرقة التي لا تقوى قدرات الشباب والفتيات النفسية على قبولها أو هضمها ، بالإضافة إلى أفلام العنف وأفلام الجنس والإباحية والمخدرات والسرققات التي هي دعوة مباشرة إلى الانخراط في هذا السبيل حتى لتكاد المسرحيات والتشكيلات والأفلام تقتصر على محورين اثنين : (الجريمة والجنس) هذا بالإضافة إلى ظاهرة الكتب الرخيصة المبثوثة على الأسوار وفي الطرقات وكلها تتحدث عن الجريمة والجنس على محور يخلق في نفوس الشباب إحساساً عميقاً بشرعية هذه التيارات لأنها لا تعدلج إلا في صور التقبل والإعجاب والاستحسان ولا تشر في الصحف إلا في أسلوب البطولات .

وتلك الإعلانات السينمائية بصورها الصارخة وعباراتها القاسية (المرأة والنائب) السكس ١١ الخ وهذه الأظاني التي تدعو إلى الرغبة الجنسية وتجرح ضمائرهم وتكاد تستوجب ساعات الليل والنهار وبرامج إذاعة كاملة هي إذاعة الشرق الأوسط المفتوحة منذ الصباح إلى ما بعد منتصف الليل في كل المقاهي .

من شأن هذا الجو كله أن يعطى منطلقاً واحداً للشباب والشابات أن الحياة كلها هو وفراخ وجريمة وجنس وطغى وتسليمه وخداع وصراع وتحريض وانتقام وغواية واصطياد وليس لهذا كله حدود ولا عقوبات ، هكذا تصور التمثيليات من خلال حوارها وتعطى الشباب التحريض على أسره وأخطه ، وللفئة الانتماء إلى طائفتهم أو أمثالها . والرواية أن تبحث عن طريق غير طريق البيت أو الأسماء لأنها ما لم تأت عوجاً ... وما هكذا

يمكن أن يكون المجتمع الإسلامي الذي يقوم منذ أربعة عشر قرناً على منهج من الرحمة والأخلاق والسكرامة والعفة تضبطه حدود ووضوابط وزواجر حتى لا يتعدى أحد حقه على حق غيره: من مال أو عرض ومن وراء ذلك كله لباس شفاف كاشف ، وشعور مرخاة ، وخطط عجيب بين أزياء الرجال وأزياء النساء ومخالفة فيها ترجل المرأة ، وتأنث الرجل . . وصدق المثل حين قال « استنوق الجمل » .

جاء في البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون : ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأتقيين (غير اليهود) وجعلناه فاسداً متعفنأ بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام ولكننا نحن أنفسنا الملقون لها .

هذه الأجيال التي نحن مسئولون عنها أمام الله وأمام التاريخ وأمام هذه الأمة إننا لم نمد لها طريق الحق ، ولم ندلها على منابع الخير ، ولم نقوم ببناءها على أساس الإيمان هناك مسؤولية الآباء ومسؤولية الأمهات أولاً ، وهناك مسؤولية وسائل المسرح والبيت الإذاعي والسينمائي والتلفزيوني . وهناك الصحافة بما تقدمه من صورة مكشوفة وقصة عارية ، وحديث عن كتب غريبة فاضحة تمثل مجتدعها ولا تمثلنا . هذه الأجيال التي يجب أن تعرف التحديات الخطيرة التي تواجهها وتواجه أمتها ، وذلك الخطر المائل في هذه المنطقة العربية الإسلامية من صهيونية واستعمار وماركسية ، وما تحاول به كل القوى احتواء هذه الأمة بالسيطرة على شبابها وإخراجها من منطقة الإيمان ومزحاج الدين ومن منهج الخلق ليسكون عاجزاً بالتحلل والإباحية والفردية والأهواء عن مقاومة الخطورة التي تضمرها الصهيونية للمجتمعات البشرية والاستيلاء عليها ، وإن ما زام الآن لينذر! بالخطر وليكشف بصورة واضحة ما أضمرته بروتوكولات صهيون التي ركزت على هدم شباب

الأمم وتمزيق قلبه وتزييف عقله ، واحتوائه ، والسيطرة عليه ، وصهره في بوتقة الإيماء عن طريق حرية الجنس والجري ، وعن طريق لغة التمثيليات والحوار الهابط ، وعن طريق الأغنية المكشوفة ، والصورة العارية ، والقصة الإباحية ، وعن طريق ذلك الاحتواء الذي تفرضه لعبة كرة القدم على تلك الجماهير المكشوفة فتحررها من أن تفهم رسالتها في بناء هذه الأمة ، وتفهم رسالتها البشرية في هذا الوجود ، وتعرف حق الله عليها والتزامها الأخلاقي ومسئوليتها التي يقوم عليها الحساب والجراة الأخرى .

كل هذا تقتحمه الدعوات والتيارات والأيدولوجيات التي تواجه مجتمعنا اليوم حين دخلت إلى بلادنا رياح الماركسية والفرويدية والوجودية والمادية تحت تأثير غيبة نور الإيمان بالله ، كما يقدمه الدين الحق . في هذه السنوات التي سيطرت فيها محاولات تغريب العرب والمسلمين واحتوائهم وتغيير مناهجهم ودفعهم إلى الحلقة المغلقة التي يدورون فيها دائرة السوء ، دائرة العلمانية والإيماء من أجل أن يفقدوا ذاتيتهم وكيانهم الأصيل .

جاء في البروتوكول الثاني عشر : الأدب والصحافة هي أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين : ولقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامه أدباء مريضاً قدراً يقضى النفوس .

وفي ظل الفراع الموحش في النفس الإنسانية من ثقافة الروح والنفس والمعنويات وهطاء الأديان استطاعت هذه الرياح أن تنفذ إلى القلوب والعقول حيث لم تجد ما يصدها عنه ويرجع إلى نقص أسلوب التربية القويمة التي لم تجعل لبناء النفس الإنسانية أهمية بقدر ما عملت على بناء العقل والتعليم ، وحين أصبحت هذه النظريات الغريبة المتضاربة التي لم تصل إلى درجة العلم والتي عجزت أن تحقق شيئاً مجتمعا ، أن تصبح هذه النظريات مناهج عليه

ندرس في كلياتنا وجامعاتنا وهي تتعارض تعارضاً تاماً مع جوهر الدين الحق ، وتبدو وكأنه لا يوجد للفكر الاسلامي العربي وجهات نظر أو مناهج أصيلة في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والقانون ، وهكذا وجد شبابنا أنهم ليسوا إلا شظايا طائرة لا جذور لها ولا أصالة تمتد إلى ثقافتها ودينها وعقائدها ، وإن كل شيء في الفكر والثقافة هو غربي الأصل والواقع ، ومن ثم تشكل في النفس والعقل العربي ذلك الإحساس بالانتقاص للامة والفكر والثقافة العربيين الاسلاميين ، ثم فتحت له هذه المفاهيم الوافدة التي تدرس في جامعاتنا على أنها علوم ، خاصة ما يتعلق منها بالأخلاق والنفس والاجتماع ومسألة خلق الانسان في كليات العلوم كل هذا خلق ذلك الاحساس الخطير الذي يتمثل الآن في الاندماج بالحياة على أنها مهزلة أو لعبه ، وأن الأخلاق نسبية وأن الحياة لقمة عيش عند ماركس وعطاء جنس عند فرويد ، كل هذا يتلقاه أبنائنا على أنه مناهج علمية مع أنه لم يصل إلى درجة الحقائق العلمية وما تزال مذاهب دارون وماركس وفرويد وسارتر تجذب نقيضها وتنكشف كل يوم عن زيفها واضطرابها . وأخطر ما في ذلك كله أن نجد هذه المذاهب تقاوم منهج الايمان بالله والالتزام الأخلاقي والارادة الفردية والمسئولية والجزاء وتدفع الشباب نحو الاهواء والرغبات والمطامع دون تقدير لحدود الله وضوابط المجتمعات . ومن هنا نجد ذلك الاضطراب الذي يسود الحياة الاجتماعية ، ويدفع إلى هذه التجاوزات الخطيرة نريد أن نضع العلوم والدراسات في إطار القيم الدينية والخلقية . فيكون الايمان بالله موجهاً لها وحامياً ومحافظاً ، ولا يكون متعارضاً ولا خصيماً .

تقول بروتوكولات حكماء صهيون : لا تتمحوروا أن تصرحاً بآرائنا ككلمات جوفاء ، لاحظوا أن نحاح دارون وماركس وفيتشه قد رتبناه من قبل .

والآثار الأخلاقية لانتهاكات هذه العلوم في الفكر الأعمى (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد .

ويكفي أن نضع تحت أبحار الغيورين على هذه الأمة هذا الخبر الذي نشرته الإهرام يوم ٢٠ فبراير ١٩٧٦ .

• طابخة بالشقق المفروشة مستدرجت جارتها التليذة بالثانوى فجرت خلفها طابوراً من التليذات تحت إغراء المال والملابس .

هذا عن انحراف الطالبات . أما انحراف الطلاب فإليك هذا الخبر الذي نشرته الصحف في هذا التاريخ :

• عصابة أخرى يتزعمها طلبة تزوير الشهادات الدراسية : شهادة مزورة مقابل ٨٠٠ جنيه لكل طالب .

وفي أخبار اليوم ٧٥/١١/٢٩ :

• حرض المدرس تليذه على سرقة أبيه .

• طالب سرق من شقة جاره الموظف منقولات ومبالغ ٦٠٠ جنيه .

وفي الأخبار ١٩٧٦/٢/٢ :

• طالبة جامعية تقول للنيابة : طلقوني . . اتضح أن زوجي الطبيب طالب بالثانوى .

ومنها :

• لإخالة المحاسب قاتل ابنه إلى محكمة الجنايات .

ومنها :

• لإعدام سفاح المحلة الذي اعتدى على فتاة ثم قتلها .

وفي الأخبار ٨/٢/١٩٧٦ :

• طالب يقتل فتاة في الشارع بقلوب .

ومنها :

• شبان يحاولان خطف فتاة بشارع مجاس الأمة .

ومن قبل نشرت الصحف هذه العناوين :

• عصابة لتجارة الرقيق الأبيض تزعمها صاحبة محل كوافير وزوجها

ومن هذه الإشارات نعرف مجرى الريح ونكشف مصدر الخطر
الذي يواجه الأجيال الجديدة .

أما الشقق المفروشة وما وراءها من محاذير تتعلق بالسياحة وغيرها
وأثر ذلك على الأسرة المصرية فذلك موضوع آخر ، أما موضوع اليوم
فهو هذا الخطر الذي يحيط بالشباب والشابات . يقول الأستاذ حسين
نعمان مدير النيابة :

إن نسبة طالبات الثانوى المتهمات في جرائم الآداب فى ارتفاع ..
وهذا مرجعه فى الأصل كما أسفرت التحقيقات إلى تفكك أسر هؤلاء
الطالبات وانشغال رب الأسرة وانصرافه عن رهايه بناته .. حيث لوحظ
أن الطالبات يخرجن فى أوقات متأخرة دون أن يتعرضن للسؤال عن كيفية
قضاء هذا الوقت بعيداً عن منازلهم .. وعند حضور ولى الأمر لاستلام
ابنته من النيابة يصاب بالذهول عندما يجد ابنته فى مثل هذا الموقف ويعمل
ذلك بانشغاله طوال الوقت ويتعهد أن يتعهدا بعد ذلك بالإشراف
والتمسوه .. يضاف إلى ذلك عدم إشراف المدرسة على تلميذاتها الإشراف
الكافى من حيث إخطار أهلن بغيابن وانقطاعهن عن المدرسة . وهناك

نوع من الطالبات ابتمدن عز تعاليم الدين وقيم المجتمع الشرقى حيث يعتبرن قضاءهن الوقت مع بعض الشبان داخل مساكنهم نوعاً من الحرية الشخصية تنطابه المدنية والحضارة . والاسف يمدن استجابة من أمرهن وهؤلاء أكثر انتشاراً فى الأوساط الاجتماعية الراقية وحتى نحن من هذه الظاهرة يجب تعديل قانون الأحداث بإرجاع سن الحدث كما كان ١٥ سنة بدلاً من ١٨ لأن معظم الطالبات بالثانوى يعتبرن أحداثاً طبقاً للقانون الجديد مما تضطر معه النيابة إلى تسليمهن لأهلن أو أحياناً لنيابة الأحداث لعدم الاختصاص وتخرج الفتاة بدون عقاب والطباخت فى الشقق المفروشة يلعبن الدور الرئيسى فى التعبير بالطالبات .

ويرد دكتور عاطف وصفى أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة عن أسباب نفشى ظاهرة المعاكسات وحوادث خطف الفتيات إلى عدة عوامل منها ما تقدمه أجهزة الإعلام من تصورات للعلاقة بين الشاب والفتاة وما تقدمه الأغاني مثل أغنية « فانت جنبنا ، وأغنية « ساكن قصادنا ، وغيرهما وكذلك جميع الأفلام التى بها نمط المعاكسة مثل « مدرستى الحسنة ، و « مدرسة المشاغبين ، كذلك الموضوعات الحديثة فى ملابس المرأة وأثر ملابس الموضة المشهورة . وقال إن العوامل الاجتماعية السابقة لا تؤدى وحدها للجريمة فهى تؤثر على نمط معين من الشخصية يتسم بالتهور والجراءة وحب المغامرة وتحت تأثير كل هذه العوامل يتصور الشخص المريض أن خطف فتاة والاعتداء عليها ليس جريمة ويرد الدكتور عاطف هذه الانحرافات إلى التطور الحضارى السريع الذى لا يسير مع نفس الخط مع التطور الاجتماعى ويرى أن القانون الجنائى جاء فى ظروف اجتماعية مخالفة لما هو سائد الآن فهو يحتاج إلى تعديل شامل نظراً لظهور أنماط اجتماعية

ناشئة عن التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي أصابت المجتمع وأن أحكام جرائم الخطف والاعتصاب الموجودة الآن غير رادعة وغير كافية بإصلاح المجتمع ..

ونحن نرى غير ما يرى الدكتور : نرى أن السبب الوحيد هو أن القوانين الوضعية والمناهج التربوية والتعليم مقصرة وقاصرة وعاجزة عن استيعاب حقيقة النفس الإنسانية وعلاجها ، وأن التعلل بالحضارة وتطورها أو العوامل الاقتصادية هذا كله لا يستطيع أن يقدم الإجابة الصحيحة لهذا الموقف وأن منهج الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية هما وحدهما صمام الأمن الوحيد الذي يلزم الأب والأم بالرعاية ويحمل المدرس والمعلم مسؤولية موجهاً وقوده .. ولا بد من أن تصبح القيم العقائدية والأخلاقية في نفوس شبابنا ذات قوة فاعلة وأثر كبير ، وأن تكون حدود الله وضوابطه لحماية النفس الإنسانية والمجتمع موضع الرعاية والتطبيق ولذلك فإنه :

لا بد من أن يتقرر منهج تربوي إسلامي كامل يحمي المجتمع من هذه الأخطار ويحمي الشباب والشابات من هذه التحديات التي تواجههم .

• لا بد أن تقدم الثقافة النفسية والروحية والدينية لتكون إطاراً للثقافة العقلية والعملية .

• لا بد من تحرير مناهج التعليم من الآثار التي تركتها عهود الاحتلال ومن الأهداف التي قصد إليها الاستعمار والفكر والثقافي والتي تحول دون قيام أجيال جديدة من الشباب القادر على الربط بين الثقافة والخلق والجمع في التربية بين النفس والعقل والجسم وهو ما تزال مناهج التربية والتعليم قاصرة عن بلوغه .

• لا بد من قيام التعليم في إطار التربية الخلقية والدينية أصحاً وأن تكون التربية والتعليم متكاملة : روحاً وجسماً وعقلاً .

• لا بد كأساس من وجود تعليم مستقل للشباب وتعليم مستقل للمرأة لأن كلا منها يجب أن يتلقى ثقافة خاصة تشكله حسب تركيبه العقلي والجسمي وحسب هدفه ومسؤوليته في الحياة وحسب العلاقات بينه وبين الآخر على نحو يحقق حسن الاتصال بينهما على شرم الله ووفق الأهداف التي رسمها الدين الحق وطبقاً لرسالة الرجل ومسؤوليته في الحياة ورسالة المرأة في البيت والأسرة والطفل .

• كل هذه الأخطار والتحديات التي يواجهها جيلنا هذا من الشباب والفتيات إنما تعود إلى تقصير الآباء والأمهات أولاً عن مسؤوليتهم الحقيقية في محيط الأسرة على النحو الذي كشفت عنه تحقيقات النيابة مما أوردناه . وأن الرجل مغفول والمرأة مشغولة عن نتائجها الذي يحميانه ويتمنيانه ويرعاهه حتى يكبر .

• لا بد أن تكون العلاقة بين الأب والام ، وبين الاب والام والابناء ، وبين الأبناء والفتيات في الأسرة الواحد وفي المجتمع كله واضحة وصريحة وسليمة وقائمة على غير أساس « الغواية » التي دعا إليها وحسبها وقدمها للشباب وقصص وتمثيلات ومهرجانات وأفلام سينمائية جماعة من أبناء هذا البلد متتابعين في ذلك ما حدث من زيف فلسفات الفرويدية والوجودية والإباحية والملاذية .

فإذا هي فاعلة تلك السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والاعلام .

لقد وجدنا الشريعة الإسلامية أنصلاً فهل نجد التأسيسية الإسلامية أعواناً ... ذلك ما نرجوه ونحن نقدم صورة هذا الخطر إلى القلوب المؤمنة والعقول الواعية لتحمل مسؤوليتها أمام الله وأمام أوطانها وأمتها وقد بلغت اللهم فاشهد .

آفاق البحث

ص

٣١

مدخل البحث

- ١٠ الباب الأول : رياح السموم التي طرحتها النظريات المادية
- ١٣ الفصل الأول : أثر الروافد الثلاث
- ٢١ الفصل الثاني : هدم الأسرة المسلمة
- ٢٨ الفصل الثالث : محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية
- ٣٤ الفصل الرابع : محاذير تواجه رسالة الأمومة
- ٤١ الفصل الخامس : أخطار في وجه الطفل المسلم
- ٤٩ الفصل السادس : فساد أسلوب العيش الغربي
- ٦٣ الباب الثاني : التحديات في وجه المرأة
- ٦٥ الفصل الأول : التحديات في وجه المرأة المسلمة
- ٧٧ الفصل الثاني : عطاء الإسلام وعطاء الحضارة
- ٨٦ الفصل الثالث : تحديات الأمومة المسلمة
- ١٠١ الفصل الرابع : اللباس والزينة
- ١١٠ الباب الثالث : التحديات في وجه الشباب
- ١١٢ الفصل الأول : التحديات في وجه الشباب
- ١٢٢ الفصل الثاني : الجريمة والجنس

١٤٣

الفصل الثالث : الفن

١٦٢

الفصل الرابع : المسرح

١٧٨

الفصل الخامس : السينما

ملاحق البحث

٢٨٢

(أولا) عودة المرأة إلى البيت

١٩٧

(ثانياً) عندما دخلت بلادنا رياح الماركسية